بسم الله الرحمن الرحيم

# تفسير القرطبي

# سورة يوسف

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

| | | | |
|---|---|---|---|
| **تاريخ المحاضرة:** | **١٤٣١/١١/١٨هـ** | **المكان:** | |

**"سورة يوسف -عليه السلام-، وهي مكية كلها، وقال ابن عباس وقتادة: إلا أربع آيات منها. وروي أن اليهود سألوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن قصة يوسف فنزلت السورة، وسيأتي. وقال سعد ابن أبي وقاص: أنزل القرآن على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فتلاه عليهم زمانا فقالوا: لو قصصت علينا، فنزل: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ} [يوسف: ٣] فتلاه عليهم زمانا فقالوا: لو حدثتنا، فأنزل: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ} [الزمر: ٢٣]. قال العلماء: وذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة، بألفاظ متباينة على درجات من البلاغة، وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها، فلم يقدِّر.."**.

فلم يقْدِر.

**"مخالف على معارضة ما تكرر، ولا على معارضة غير المتكرر، والإعجاز لمن تأمل"**.

هو معجز، سواء كان مما تكرر؛ كقصة موسى، وقصة آدم، وهو أيضًا معجز في ما لم يتكرر؛ كقصة يوسف -عليه السلام-، معجز على كل وجه، لا يقال: تكرار ممل، ولا جاء مرة واحدة تحتاج إلى تفصيل في موضع آخر، أو إيجاز، أو بسط، كله معجز، بل في ذروة البلاغة والفصاحة.

**"قوله -تعالى-: {الر} [يوسف: ١] تقدم القول فيه، والتقدير هنا: تلك آيات الكتاب، على الابتداء والخبر. وقيل: {الر} [يوسف: ١] اسم السورة، أي هذه السورة المسماة {الر} [يوسف: ١]، {تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ} [يوسف: ١]، يعني بالكتاب المبين: القرآن المبين، أي: المبين حلاله وحرامه، وحدوده وأحكامه، وهداه وبركته. وقيل: أي: هذه تلك الآيات التي كنتم توعدون بها في التوراة.**

**قوله -تعالى-: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا} [يوسف: ٢]، يجوز أن يكون المعنى: إنا أنزلنا القرآن عربيًّا، نصب {قُرْآنًا} [يوسف: ٢] على الحال، أي مجموعًا. و{عَرَبِيًا} [يوسف: ٢] نعت لقوله: {قُرْآنًا} [يوسف: ٢]، ويجوز أن يكون توطئة للحال، كما تقول: مررت بزيد رجلًا صالحًا، و{عَرَبِيًا} [يوسف: ٢] على الحال، ، أي: يقرأ بلغتكم يا معشر العرب."**.

فيكون {قُرْآنًا} [يوسف: ٢]، ورجلًا توطئة للحال، والحال {عَرَبِيًا} [يوسف: ٢]، وصالحًا، يعني حال كونه {عَرَبِيًا} [يوسف: ٢]، و{قُرْآنًا} [يوسف: ٢] توطئة للحال، ومررت بزيدٍ حال كونه صالحًا، ورجلًا توطئة لهذا الحال.

**"أعرب: بيّن"**.

أعرب: بيَّن.

**"أعرب بين، ومنه الثيب تعرب عن نفسها."**.

يعني: تعبر عما في نفسها وضميرها.

**"{لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف: ٢] أي: لكي تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه. وبعض العرب يأتي بأن مع (لعل) تشبيهًا بعسى. واللام في (لعل) زائدة للتوكيد، كما قال الشاعر:**

يـــا أبتـــا علـــك أو عســـاكا .....

**وقيل: {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف: ٢]، أي: لتكونوا على رجاء من تدبره".**

الأصل (لعل)، و(عل) بدون اللام، لغة في (لعل)، لغة عند بعض العرب، وإلا فالأصل (لعل)، أما كون اللام زائدة هنا، فهي من أصل الكلمة، من بنية الكلمة، الأصل فيها (لعل).

**"فيعود معنى الشك إليهم لا إلى الكتاب، ولا إلى الله -عز وجل-.**

**وقيل: معنى {أَنْزَلْنَاهُ} [يوسف: ٢]، أي: أنزلنا خبر يوسف، قال النحاس: وهذا أشبه بالمعنى؛ لأنه يروى أن اليهود قالوا: سلوه لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ وعن خبر يوسف، فأنزل الله -عز وجل- هذا بمكة موافقا لما في التوراة، وفية زيادة ليست عندهم. فكان هذا للنبي -صلى الله عليه وسلم- إذ أخبرهم ولم يكن يقرأ كتابًا قط ولا هو في موضع كتاب- بمنزلة إحياء عيسى -عليه السلام- الميت على ما يأتي فيه".**

هو معجزة محضة، معجزة محضة، لا يقرأ ولا يكتب، ولا يلتقى بمن يقرأ ولا يكتب، ولا جلس يتلقى عند من يقرأ ويكتب، ويخبر بأخبار انقطعت عن الأرض على ضوء ما جاء في الكتب السماوية، غير ما جاء في التوراة، بل بأفصح وأبلغ وأوضح منها، هذا معجِز؛ لأنه غيب، ولا يطلع على الغيب إلا من أطلعه الله -سبحانه وتعالى- عليه.

**"قوله -تعالى-: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ} [يوسف: ٣] ابتداء وخبره. {أَحْسَنَ الْقَصَصِ} [يوسف: ٣] بمعنى المصدر، والتقدير: قصصنا أحسن القصص. وأصل القصص تتبع الشيء، ومنه قوله -تعالى-: {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ} [القصص: ١١] أي تتبعي أثره، فالقاص يتبع الآثار فيخبر بها. والحسن يعود إلى القصص لا إلى القصة. يقال: فلان حسن الاقتصاص للحديث أي: جيد السياقة له.**

**وقيل: القصص ليس مصدرًا، بل هو في معنى الاسم، كما يقال: الله رجاؤنا، أي مرجونا فالمعنى على هذا: نحن نخبرك بأحسن الأخبار. {بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ} [يوسف: ٣] أي بوحينا، فـ{بِما} [يوسف: ٣] مع الفعل بمنزلة المصدر. {هذَا الْقُرْآنَ} [يوسف: ٣] نصب القرآن على أنه نعت لهذا، أو بدل منه، أو عطف بيان. وأجاز الفراء الخفض، قال: على التكرير".**

الإشارة إذا جاء بعدها معرفة صارت بدلًا أو بيانًا، بدلًا أو بيانًا، وأجاز الفراء الخفض على إيش؟

طالب: .....

خفض بما مقدرة بالباء، على نية تكرار الجار، بوحينا إليك بهذا القرآن، يعني: على تكرير الجار.

**"وأجاز الفراء الخفض، قال: على التكرير، وهو عند البصريين على البدل من (ما).**

**وأجاز أبو إسحاق الرفع على إضمار مبتدأ".**

عند البصريين على البدل من (ما)، فيكون مجرورًا، مجرورًا أم منصوبًا؟

**طالب: .....**

لكن المصدر مجرور بالباء، بوحينا، ويحتمل عندهم الجر بدلًا من اللفظ، والنصب بدلًا من المعنى.

**"كأن سائلًا سأله عن الوحى فقيل له: هو هذا القرآن. {وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [يوسف: ٣]، أي: من الغافلين عما عرفناكه.**

**مسألة: واختلف العلماء لم سميت هذه السورة أحسن القصص من بين سائر الأقاصيص؟ فقيل: لأنه ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم ما تتضمن هذه القصة، وبيانه قوله في آخرها: {لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ} [يوسف: ١١١].**

**وقيل: سماها أحسن القصص لحسن مجاوزة يوسف عن إخوته، وصبره على أذاهم، وعفوه عنهم- بعد الالتقاء بهم- عن ذكر ما تعاطوه، وكرمه في العفو عنهم، حتى قال: {لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ} [يوسف: ٩٢].**

**وقيل: لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين، والجن والإنس والأنعام والطير، وسير الملوك والممالك، والتجار والعلماء والجهال، والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن، وفيها ذكر التوحيد والفقه والسير وتعبير الرؤيا، والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش، وجمل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا. وقيل لأن فيها ذكر الحبيب والمحبوب وسيرهما".**

ولذا قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: النساء يرغبن سورة يوسف، ويملن إليها أكثر من ميلهن إلى سورة النور؛ لأن هذه قصص، وأخبار المحب والمحبوب، وأخبار العشق، وتلك فيها أحكام، وجلها يتعلق بالنساء، فالأحكام ثقيلة على الأنفس إلا من سخره الله -سبحانه وتعالى- لمصلحة نفسه، والله المستعان.

**طالب: أحسن الله إليكم، عوام الناس فعلًا يميلون إلى سماع سورة يوسف أكثر من غيرها.**

نعم.

**"وقيل: {أَحْسَنَ} [يوسف: ٣] هنا بمعنى أعجب.**

**وقال بعض أهل المعاني: إنما كانت أحسن القصص؛ لأن كل من ذكر فيها كان مآله السعادة، انظر إلى يوسف وأبيه وإخوته، وامرأة العزيز، قيل: والملك أيضًا أسلم بيوسف وحسن إسلامه، ومستعبر الرؤيا الساقي، والشاهد فيما يقال: فما كان أمر الجميع إلا إلى خير".**

فمآلهم كله حسن، يوسف عُرف مآله -عليه السلام-، وأبوه معروف المآل، وإخوته، قرر جمع من أهل العلم أنهم أنبياء كلهم، وإن كان الحافظ ابن كثير -رحمه الله- يقول: لا يوجد ما يدل

على أنهم أنبياء، إنما شيخ الإسلام يذكر أنهم أنبياء، والعزيز قيل: إنه أسلم، امرأته، كل هؤلاء مآلهم إلى خير.

"**قوله -تعالى-: {إِذْ قالَ يُوسُفُ} [يوسف: ٤] {إِذْ} في موضع نصب على الظرف، أي اذكر لهم حين قال يوسف. وقراءة العامة بضم السين. وقرأ طلحة بن مصرف {يؤسف} بالهمز وكسر السين. وحكى أبو زيد: {يؤسف}**".

يوسف، ويونس في كل منهما ست لغات، السين مثلثة بالهمز وعدمه، فتكون ست لغات، والنون مثلثة في يونس بالهمز وعدمه، ففيها ست لغات أيضًا.

"**وحكى أبو زيد: {يؤسف} بالهمزة وفتح السين. ولم ينصرف؛ لأنه أعجمي، وقيل: هو عربي. وسئل أبو الحسن الأقطع- وكان حكيمًا- عن يوسف فقال: الأسف في اللغة الحزن، والأسيف العبد، وقد اجتمعا في يوسف، فلذلك سمي يوسف**".

لكن هل كانت التسمية بعد أن اجتمعا أو قبل؟

**طالب:** .....

قبل أن يجتمع.

**طالب:** .....

لا، لا، أول من سن القتل ابن آدم؛ كما هو معروف، وعليه كفل من جميع ما يوجد على وجه الأرض من قتل، كما جاء في الحديث الصحيح.

**طالب:** .....

عفوي! القتل قتل سواء كان منظمًا أو ..

**طالب:** .....

نعم، لكن أيهما أشد، هل عفوي إذا صدر من ابن آدم، أم صنيع إخوة يوسف؟ ما بينهما نسبة.

**طالب:** .....

لا، ما بينهما نسبة.

"**{لِأَبِيهِ يا أَبَتِ} [يوسف: ٤] بكسر التاء قراءة أبي عمرو وعاصم ونافع وحمزة والكسائي، وهي عند البصريين علامة التأنيث أدخلت على الأب في النداء خاصة بدلًا من ياء الإضافة، وقد تدخل علامة التأنيث على المذكر فيقال: رجل نكحة وهزأة، قال النحاس: إذا قلت {يا أَبَتِ} بكسر التاء**".

فُعلة، همزة، ولمزة، نكحة، هزأة، يكثر النكاح، يكثر الاستهزاء بالناس، وهكذا، يكثر اللمز والهمز، هذا الوزن.

"**فالتاء عند سيبويه بدلًا من ياء الإضافة، ولا يجوز على قوله الوقف إلا بالهاء، وله على قوله دلائل: منها- أن قولك: (يا أبه) يؤدي عن معنى (يا أبي)**".

الهاء هذه، يسمونها؟ هاء السكت.

**"وأنه لا يقال: {يا أبت} إلا في المعرفة، ولا يقال: جاءني أبت، ولا تستعمل العرب هذا إلا في النداء خاصة، ولا يقال: (يا أبتي) لأن التاء بدل من الياء فلا يجمع بينهما. وزعم الفراء أنه إذا قال: {يا أَبَتِ} فكسر دل على الياء لا غير، لأن الياء في النية. وزعم أبو إسحاق أن هذا خطأ".**

نعم، كيف تكون في النية والتاء بدل عنها؟ على هذا يلزم منه الجمع بين البدل والمبدل.

**"والحق ما قال، كيف تكون الياء في النية وليس يقال: (يا أبتي)؟ وقرأ أبو جعفر والأعرج وعبد الله بن عامر {يا أبتَ} بفتح التاء، قال البصريون: أرادوا (يا أبتي) بالياء، ثم أبدلت الياء ألفًا فصارت {يا أبتا} فحذفت الألف وبقيت الفتحة على التاء.**

**وقيل: الأصل الكسر، ثم أبدل من الكسرة فتحة، كما يبدل من الياء ألف فيقال: يا غلامًا أقبِل.**

**وأجاز الفراء {يا أبت} بضم التاء".**

يقولها: تنوين أم ألف؟ الظاهر أنها ألف، يا غلامًا أقبل، قلت: تزاد الألف في المنادى، والهاء أيضًا، تقول: يا غلاماه ، يا أبتاه، يا أماه، وهكذا.

**"{إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا} [يوسف: ٤] ليس بين النحويين اختلاف أنه يقال: جاءني أحد عشر، ورأيت ومررت بأحد عشر، وكذلك ثلاثةُ عشر".**

ثلاثةَ، مبني على فتح الجزأين.

**"وكذلك ثلاثة عشر وتسعة عشر وما بينهما، وجعلوا الاسمين اسمًا واحدًا وأعربوهما بأخف الحركات. قال السهيلي: أسماء هذه الكواكب جاء ذكرها مسندًا، رواه الحارث بن أبي أسامة قال: جاء بستانة -وهو رجل من أهل الكتاب- فسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الأحد عشر كوكبًا الذي رأى يوسف فقال: «الحرثان والطارق والذيال وقابس والمصبح والضروح وذو الكنفات وذو القرع والفليق ووثاب والعمودان، رآها يوسف -عليه السلام- تسجد له»".**

لكن هذا الخبر تفرد به الحارث، وهو ضعيف، ضعيف، وهذا الغالب فيما يتفرد به الحارث بن أبي أسامة في مسنده، الغالب عليه الضعف، مثل ما يتفرد به الخطيب وابن عساكر والديلمي، مثل هؤلاء غالب ما يتفردون به يحكم عليه بالضعف، فهي مظان الضعيف.

**طالب: .....**

نعم، واللفظ أيضًا، أقول: هذه الألفاظ فيها نكارة، وليس من عادة الشرع أن يبين ما لا حاجة للناس به، مثل هذه الأشياء لا يبينها الشرع؛ لأنه لا حاجة للناس بها.

**"قال ابن عباس وقتادة: الكواكب إخوته، والشمس أمه، والقمر أبوه.**

**وقال قتادة أيضًا: الشمس خالته؛ لأن أمه كانت قد ماتت، وكانت خالته تحت أبيه".**

لكن يحتاج، يحتاج إلى نقل، وإلا فالأصل أنها أمه، المؤرخون يجزمون بأشياء وإن كان لا مستند لهم عليها، يتوارثونها؛ كما قالوا في والد إبراهيم -عليه السلام-، قالوا: ليس أبوه حقيقة، وإنما عمه؛ لأن أباه قد مات، جزمًا منهم بذلك، أو إرثًا منهم عن الإسرائيليات، وتلقيًا عن أهل الكتاب، والقرآن نص على أنه أبوه.

"{رَأَيْتُهُمْ} [يوسف: ٤] توكيد. وقال: {رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} [يوسف: ٤]".

{رَأَيْتُهُمْ} [يوسف: ٤] توكيد، لما تقدم {إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ} [يوسف: ٤].

"{رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} [يوسف: ٤] فجاء مذكرًا، فالقول عند الخليل وسيبويه أنه لما أخبر عن هذه الأشياء بالطاعة السجود، وهما من أفعال من يعقل، أخبر عنهما كما يخبر عمن يعقل".

نعم، هؤلاء، هذه الكواكب لما أخبر عنها بأنها تسجد، والسجود خاص بالعقلاء، أخبر عنها بما يُخبر عنه العاقل، قال: {رَأَيْتُهُمْ} [يوسف: ٤] ما قال: رأيتها، بميم الجمع، والعاقل دون غيره، فلما نزلها منزلة العقلاء لفعلها فعل العقلاء عبر عنها بما يُعبر عن العقلاء؛ كما أنه لما نزل النسوة منزلة من لا يعقل عبر عنها بما يعبر عنه ما لا يعقل، {فانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم} [النساء: ٣]، الأصل أن يقال: من طاب؛ لأن النسوة عقلاء، لكن لما نزل هؤلاء النسوة منزلة من لا يعقل، وهن ناقصات في العقل، عبر عنها بـ(ما) التي هي في الأصل لغير العاقل.

"وقد تقدم هذا المعنى في قوله: {وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ} [الأعراف: ١٩٨]. والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل إذا أنزلوه منزلته، وإن كان خارجًا عن الأصل.

قوله -تعالى-: {قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [يوسف: ٥].

فيه إحدى عشرة مسألة: الأولى قوله -تعالى-: {فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا} [يوسف: ٥] أي يحتالون في هلاكك؛ لأن تأويلها ظاهر، فربما يحملهم الشيطان على قصدك بسوء حينئذ. واللام في {لَكَ} [يوسف: ٥] تأكيد، كقوله: {إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ} [يوسف: ٤٣]".

وإلا؛ فالأصل فيكيدوك؛ لأن كاد يتعدى بنفسه، لكن زيدت اللام تأكيدًا.

"الثانية: الرؤيا حالة شريفة، ومنزلة رفيعة، قال -صلى الله عليه وسلم-: «لم يبق بعدي من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة الصادقة يراها الرجل الصالح أو ترى له». وقال: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا». وحكم -صلى الله عليه وسلم- بأنها جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، وروي: «من سبعين جزءًا من النبوة»، وروى من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-: «جزءًا من أربعين جزءًا من النبوة»، ومن حديث ابن عمر: «جزء من تسعة وأربعين جزءًا»، ومن حديث العباس: «جزء من خمسين جزءًا من النبوة»، ومن حديث أنس: «من ستة

**وعشرين»، وعن عبادة بن الصامت: «من أربعة وأربعين من النبوة»، والصحيح منها حديث الستة والأربعين".**

**طالب: أحسن الله إليكم! .....**

لا، لا، ما هي متساوية، فيه راجح ومرجوح، لكن لو كانت متساوية صار اضطراب.

**طالب: كيف نعرف أنها غير متساوية يا شيخ؟**

غير المتساوية إذا كان بعضها أصح من بعض، الستة والأربعين في الصحيحين، في الصحيحين.

**طالب: يعني المضطرب يا شيخ لا بد أن تكون الروايات متساوية؟**

قالوا في تعريفه: هو الذي يُروى على أوجه مختلفة متساوية، فإذا أمكن ترجيح بعضها على بعض انتفى الاضطراب.

**طالب: .....**

هم قالوا في شرح الحديث: كونه جزءًا من ستة وأربعين، أن النبي -عليه الصلاة والسلام- مكث ستة أشهر يرى رؤيا ولم ينزل عليه وحي، ثم بعدها ثلاثًا وعشرين سنة وحي، ينزل عليه الوحي، فصارت نسبة الستة أشهر إلى ثلاث وعشرين واحدًا من ستة وأربعين، واحدًا من ستة وأربعين جزءًا.

**"والصحيح منها حديث الستة والأربعين، ويتلوه في الصحة حديث السبعين، ولم يخرج مسلم في صحيحه غير هذين الحديثين، وأما سائرها فمن أحاديث الشيوخ".**

حديث الشيوخ، ما معنى حديث الشيوخ؟

**طالب: .....**

نعم، هم من وُصف بلفظ شيخ، ولفظ شيخ من ألفاظ الجرح أم التعديل؟

**طالب: .....**

إذا قيل: فلان شيخ؟

**طالب: عند أبي حاتم جرح يا شيخ، لكن .....**

نعم، تجريح، تجريح، هي تجريح؛ لأنهم إذا قالوا: فلان شيخ، يعني ملتفت لنفسه وصدوق وعابد ما عنده خلاف، لكن ليس من أهل الشأن، ليس من أهل الشأن، غافل عما هو بصدده من طلب العلم والحديث.

**"قاله ابن بطال. قال أبو عبد الله المازري: والأكثر والأصح عند أهل الحديث «من ستة وأربعين». قال الطبري: والصواب أن يقال: إن عامة هذه الأحاديث أو أكثرها صحاح، ولكل حديث منها مخرج معقول، فأما قوله: «إنها جزء من سبعين جزءًا من النبوة»، فإن ذلك قول عام في كل رؤيا صالحة صادقة، ولكل مسلم رآها في منامه على أي أحواله كان، وأما قوله:**

**«إنها من أربعين -أو- ستة وأربعين» فإنه يريد بذلك من كان صاحبها بالحال التي ذكرت عن الصديق -رضي الله عنه- أنه كان بها، فمن كان من أهل إسباغ الوضوء في السبرات، والصبر في الله على المكروهات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فرؤياه صالحة -إن شاء الله- جزء من أربعين جزءًا من النبوة، ومن كانت حاله في ذاته بين ذلك فرؤياه الصادقة بين جزأين، ما بين الأربعين إلى الستين، ولا تنقص عن سبعين، وتزيد على الأربعين، وإلى هذا المعنى أشار أبو عمر ابن عبد البر، فقال: اختلاف الآثار في هذا الباب في عدد أجزاء الرؤيا ليس ذلك عندي اختلاف متضاد متدافع -والله أعلم-؛ لأنه يحتمل أن تكون الرؤيا الصالحة من بعض من يراها على حسب ما يكون من صدق الحديث، وأداء الأمانة، والدين المتين، وحسن اليقين، فعلى قدر اختلاف الناس فيما وصفناه تكون الرؤيا منهم على الأجزاء المختلفة العدد، فمن خلصت نيته في عبادة ربه ويقينه وصدق حديثه، كانت رؤياه أصدق، وإلى النبوة أقرب؛ كما أن الأنبياء يتفاضلون، قال الله -تعالى-: {وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ} [الإسراء: ٥٥]".**

وعلى هذا يكون بعض الناس رؤياه جزءًا من مائة جزء من النبوة، وبعض الناس جزء من ألف جزء، على حسب قربه وبعده في الصدق والإخلاص واليقين.

**"قلت: فهذا التأويل يجمع شتات الأحاديث، وهو أولى من تفسير بعضها دون بعض وطرحه، ذكره أبو سعيد الأسفاقسي عن بعض أهل العلم قال: معنى قوله: «جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»".**

يعني مثل ما يقال في الفقراء وأنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، رواية: بأربعين عامًا، بمائة وعشرين، الفقراء يتفاوتون، منهم من هو شديد الفقر، ومنهم من هو حاله أخف، فمن كان فقره أشده يدخل بالمقدار الأكثر، من كان مستواه أفضل وأحسن ينقص هذا، ومن كان أقرب إلى الأغنياء يكون أقرب إلى الوقت منه.

الأسفاقسي هذا نسب إلى سفاق، والأصل أن يقال: سفاقسي.

**"فإن الله -تعالى- أوحى إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- في النبوة ثلاثة وعشرين عامًا- فيما رواه عكرمة وعمرو بن دينار عن ابن عباس -رضى الله تعالى عنهما- فإذا نسبنا ستة أشهر من ثلاثة وعشرين عامًا وجدنا ذلك جزءًا من ستة وأربعين جزءًا، وإلى هذا القول أشار المازري في كتابه المُعْلم".**

المُعْلِم هذا شرح صحيح مسلم، من أوائل الشروح لصحيح مسلم، وبنى عليه كثير من أهل العلم تكميلات؛ كالقاضي عياض سمى كتابه: إكمال المعلم، الأُبّي سمى كتابه: إكمال إكمال المعلم، السنوسي سمى كتابه مكمل إكمال الإكمال، وهكذا، ومطبوع ومعروف.

"**واختاره القونوى في تفسيره من سورة يونس عند قوله -تعالى-: {لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا} [يونس: ٦٤]. وهو فاسد من وجهين**".

القونوي هذا نسبة إلى قونية، تركيا، قال: هو صدر الدين، وهو محسوب على أهل وحدة الوجود، ولم يطبع من تفسيره إلا تفسير سورة الفاتحة، وهو غير صاحب الحاشية على البيضاوي، غيره تمامًا.

"**أحدهما: ما رواه أبو سلمة عن ابن عباس وعائشة بأن مدة الوحى كانت عشرين سنة، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- بعث على رأس أربعين، فأقام بمكة عشر سنين، وهو قول عروة والشعبي وابن شهاب والحسن وعطاء والخراساني وسعيد بن المسيب على اختلاف عنه، وهى رواية ربيعة وأبى غالب عن أنس، وإذا ثبت هذا الحديث بطل ذلك التأويل. الثاني: أن سائر الأحاديث في الأجزاء المختلفة تبقى بغير معنى**".

إذا وجهنا الست والأربعين، ما وجهنا السبعين.

"**الثالثة: إنما كانت الرؤيا جزءًا من النبوة**".

لكن أقول: هذا التأويل ظاهر، والست والأربعين هي أصح الروايات، وإذا نسبنا الستة الأشهر إلى الثلاث والعشرين ظهرت النسبة، والمدة -مدة الرسالة- ثلاث وعشرون سنة، ثلاث عشرة منها قبل الهجرة، وعشر بعدها، فالمجموع ثلاث وعشرون، الرسول إن كان نبئ على رأس الأربعين، وُلد في ربيع الأول، وأُنزل عليه القرآن في رمضان، يعني مكث ستة أشهر لا يُنزل إليه، أنزل إليه في رمضان، مكث ستة أشهر لا يُوحى إليه بالقرآن، وإنما بالرؤيا كما ذُكر عن ابن عباس، فإبطال مثل هذا ليس له وجه.

**طالب:** .....

كيف؟

**طالب:** .....

كلامه -عليه الصلاة والسلام- كله وحي، فالنبوة أفعاله وأقواله وتقريراته، مجموعها، هذه حقيقة النبوة، وهي إما بوحي أو برؤيا، رؤيا منه أو من غيره إذا أقرها -عليه الصلاة والسلام-؛ كرؤيا الأذان مثلًا، كثيرًا ما يسأل أصحابه: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ والوحي أقسام، لكنه كله يطلق عليه وحي، وهذا مدون في كتب أهل العلم.

**طالب:** .....

في حكمها، في حكم المرأة الصالحة، في حكم المرأة الصالحة، لكن إطلاق التعبير، وتعبير كل رؤيا، والتعبير لكل شخص، هذا فيه ما فيه؛ لأن الذي لا تكاد تخطئ هي رؤيا المؤمن الصالح، أما غالب ما يراه كثير من الناس لا سيما من لا يتصف بالصلاح، غالبها أضغاث من تلاعب الشيطان، التي لا تكاد تخطئ هي رؤيا المؤمن، والمؤمن -كما هو معروف- غير المسلم،

وصفه هنا بالصلاح، وهو قيد معتبر، بخلاف من يؤول كل ما يُذكر له من غير أن يعرف الرائي، لا بد من معرفة الرائي وما يليق به من التعبير؛ لأن بعض الرؤى تحتمل أوجهًا لكل رايٍ ما يناسبه من هذه الأوجه، بعض من يتعرض للتأويل في هذه الأيام يجزم بتأويله ولا يتردد، حتى أنه، أو حتى كأنه إنما يُلهم الرؤى، التأويل الهام بحيث يجزم جزمًا لا يحتمل الخطأ عنده، وهذا عين الخطأ.

**"الثالثة: إنما كانت الرؤيا جزءًا من النبوة؛ لأن فيها ما يعجز ويمتنع كالطيران، وقلب الأعيان، والاطلاع على شيء من علم الغيب، كما قال -عليه السلام-: «إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصادقة في النوم» الحديث. وعلى الجملة فإن الرؤيا الصادقة من الله، وأنها من النبوة، قال -صلى الله عليه وسلم-: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان»، وأن التصديق بها حق، ولها التأويل الحسن، وربما أغنى بعضها عن التأويل، وفيها من بديع الله ولطفه ما يزيد المؤمن في إيمانه، ولا خلاف في هذا بين أهل الدين والحق من أهل الرأي والأثر، ولا ينكر الرؤيا إلا أهل الإلحاد وشرذمة من المعتزلة".**

لكن تبقى رؤيا، لا يرتب عليها حكم، ولا يخالف فيها شرع، مهما كان الرائي، مهما كان الرائي، ومهما كان منزلة المؤول، بعض الناس يرتبون عليها أشياء، ويعدون بأشياء، ويخبرون عن مغيبات بسببها، ويُذكر في تواريخ المتأخرين أن امرأة صالحة رأت في المنام من يقول لها: ليصبح الناس صائمون في هذا اليوم يوم الخميس مثلًا، ليلة خميس قالت: إنها رأت من يقول لها، أو من يأمر بصيام الناس كلهم في هذا اليوم، فتكررت عليها الرؤيا ثلاث مرات، فأخبرت بها، فتأهب الناس للصيام، فعلم الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم -رحمه الله-، وقال: لا يصوم أحد، الصيام إنما يثبت بالشرع، من صام؛ لأن يوم الخميس صيامه فاضل، ومما يستحب صيامه، فلا بأس، لكن يصوم من أجل هذه الرؤيا واعتمادها فلا؛ لأن الوحي انقطع بموته -عليه الصلاة والسلام-.

من المؤسف أن يوجد من ينفذ بعض الحدود أو بعض التعزيرات بسبب رؤيا، امرأة تتصل على أحدهم فتقول: إنها رأت الشغالة تنظر في وجهها إذا نامت، فطلب منها أن تحدد مكان بيتها ليأتي إليها في وقت الضحى، قالت: ما يمكن؛ لأن البيت ما فيه أحد، فألح عليها، وجاء إليها وضرب الخادمة.

تأويله صحيح لكن تنفيذ مثل هذه الأمور ليس له، يقول: من خلال الرؤيا تبين أنها رجل وليست بامرأة، وبالفعل تبين أنها رجل، لكن تنفيذ هذه الأمور ليست له ولأمثاله.

فقد يكون التأويل صحيحًا، لكن يترتب عليه آثار لا تحمد عقباها، وقد يغرر الشيطان ببعض الناس، ويأتيه، وتأتيه الرؤى من الآفاق متفقة بحيث لا يتواطؤون على الكذب، لكن الشيطان تراءى لهم في هذه الأقطار؛ كما حصل قبل أكثر من عشرين سنة، رأوا أكثر من ستين رؤيا أن

فلان هو المهدي، من أقطار متباعدة، من المشرق والمغرب والشمال والجنوب، من الهند، والمغرب، من أمريكا، من أقطار متباينة، ولا يحتمل تواطأهم على الكذب، فصدقوا هذه الرؤيا وبنوا عليها ما بنوا، وصارت الكارثة المعروفة.

فيخشى أن تتكرر مثل هذه المسألة؛ لأن الرؤى كثر اعتمادها من قبل بعض الناس، وتأويلها وعدم التردد فيها، وترتيب بعض الأمور، بل بعض أشراط الساعة رُبطت بهذه الرؤى، وأمور مغيبة، ودقائق لا يطلع عليها أحد، ومع ذلك تعرضوا لها، منهم من يرى رؤيا فيسأل عنها، فيقال: أنت تأخذ امرأة اسمها فلانة، هذا غيب، اسمها فلانة، وأنت اسمك فلان، وتدخل عليها وعليها من الثياب كذا، سبحان الله! هذا هو الكهانة بعينها، ليس هذا هو التأويل أبدًا، والله المستعان.

**طالب: أليس إذا تواطأ مثلما قلتم أناس لا، إذا اتفق أناس لا يتواطأ، لا يحتمل تواطؤهم على الكذب، أليس هذه قرينة قوية أن هذه الرؤيا صحيحة؟**

لا، لا، لا يلزم؛ لأن شيخ الإسلام قرر في مواضع أن الشيطان يتراءى للناس في أكثر من موقع، بل تراءى لهم بصورة الشيخ نفسه -شيخ الإسلام-، وقال لهم: أنا فلان، آمركم بكذا، ورُؤي في المغرب ورُؤي في المشرق في آن واحد، وهو شيخ الإسلام.

**طالب: كيف الناس يعلمون مثل هذه الأمور؟**

قد يعلمون، لكن لا يرتبون عليها أحكامًا، ما يبنون عليها أشياء، ما يخطون خطوات عملية بمجرد رؤى، عندهم كتاب الله وسنة رسوله، وإيش قاصر عليهم؟ ما عليهم قاصر أبدًا، الدين كامل.

**طالب: مثل هذه، لما يأتي رؤيا يقول: أنا فلان، أو هذا هو المهدي، أو؟**

لا، أبدًا، نقول: ما هو بصحيح، حتى نطبق الأوصاف، وننظر في الظروف والأحوال، ما نعتمد على رؤى، طيب جاءت ستين رؤيا، وصدقوا بها، وفعلوا ما فعلوا، ماذا فعل؟ صار صحيحًا؟ ستين رؤيا، جعلوا الناس لا تتردد بأن هذا هو المهدي، ثم ماذا؟

**طالب: أحسن الله إليكم! .....**

هذه وسيلة، دعاية، هذه دعاية لهم، والناس يتعلقون بأذيال مثل هذه الأمور، وأكثر زبائنها النساء والجهال وعامة الناس.

**"الرابعة: إن قيل: إذا كانت الرؤيا الصادقة جزءًا من النبوة، فكيف يكون الكافر والكاذب والمخلط أهلًا لها؟ وقد وقعت من بعض الكفار وغيرهم ممن لا يرضى دينه منامات صحيحة صادقة، كمنام رؤيا الملك الذي رأى سبع بقرات، ومنام الفتيين في السجن، ورؤيا بخت نصر، التي فسرها دانيال في ذهاب ملكه، ورؤيا كسرى في ظهور النبي -صلى الله عليه وسلم-،**

**ومنام عاتكة عمة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في أمره وهى كافرة، وقد ترجم البخاري باب رؤيا أهل السجن؟**

**فالجواب: أن الكافر والفاجر والفاسق والكاذب وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات لا تكون من الوحى ولا من النبوة، إذ ليس كل من صدق في حديث عن غيب يكون خبره ذلك نبوة، الرابعة: إن قيل: إذا كانت الرؤيا الصادقة جزءًا من النبوة، فكيف يكون الكافر والكاذب والمخلط أهلا لها؟ وقد وقعت من بعض الكفار وغيرهم ممن لا يرضى دينه منامات صحيحه صادقة، كمنام رؤيا الملك الذي رأى سبع بقرات، ومنام الفتيين في السجن، ورؤيا بخت نصر، التي فسرها دانيال في ذهاب ملكه، ورؤيا كسرى في ظهور النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومنام عاتكة، عمة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في أمره وهى كافرة، وقد ترجم البخاري باب رؤيا أهل السجن– فالجواب أن الكافر والفاجر والفاسق والكاذب وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات لا تكون من الوحى ولا من النبوة، إذ ليس كل من صدق في حديثه عن غيب يكون خبره ذلك نبوة.**

**وقد تقدم في الأنعام أن الكاهن وغيره قد يخبر بكلمة الحق فيصدق، لكن ذلك على الندور والقلة، فكذلك رؤيا هؤلاء، قال المهلب: إنما ترجم البخاري بهذا لجواز أن تكون رؤيا أهل الشرك رؤيا صادقة، كما كانت رؤيا الفتيين صادقة، إلا أنه لا يجوز أن تضاف إلى النبوة إضافة رؤيا المؤمن إليها، إذ ليس كل ما يصح له تأويل من الرؤيا حقيقة يكون جزءًا من النبوة".**

ولو كان مسلمًا مؤمنًا من أعبد الناس، ورأى رؤيا صالحة، بل رأى ستًا وأربعين رؤيا، فنقول: صار نبيًّا؟ إذا رأى هذا المؤمن الصالح الصادق ستًّا وأربعين رؤيا، حصل له من النبوة ست وأربعين جزءًا، على ست وأربعين صار إيش؟ صار نبيًّا، على مقتضى هذا، لو قلنا بهذا المفهوم، لكن الرؤيا تشبه النبوة، الرؤيا الصادقة تشبه النبوة من حيث إنها إعلام في خفاء، إعلام صادق في خفاء، هذا وجه الشبه بينها وبين النبوة والوحي.

**"وقد تقدم في الأنعام أن الكاهن وغيره قد يخبر بكلمة الحق فيصدق، لكن ذلك على الندور والقلة، فكذلك رؤيا هؤلاء، قال المهلب: إنما ترجم البخاري بهذا لجواز أن تكون رؤيا أهل الشرك رؤيا صادقة، كما كانت رؤيا الفتيين صادقة، إلا أنه لا يجوز أن تضاف إلى النبوة إضافة رؤيا المؤمن إليها، إذ ليس كل ما يصح له تأويل من الرؤيا حقيقة يكون جزءًا من النبوة.**

**الخامسة: الرؤيا المضافة إلى الله –تعالى– هي التي خلصت من الأضغاث والأوهام، وكان تأويلها موافقًا لما في اللوح المحفوظ، والتي هي من خبر الأضغاث هي الحلم، وهى المضافة**

**إلى الشيطان، وإنما سميت ضِغثًا؛ لأن فيها أشياءَ متضادة، قال معناه المهلب. وقد قسم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الرؤيا أقسامًا تغنى عن قول كل قائل، روى عوف بن مالك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «الرؤيا ثلاثة: منها أهاويل الشيطان؛ ليحزن ابن آدم، ومنها ما يهتم به في يقظته فيراه في منامه، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة». قال: قلت: سمعت هذا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ قال نعم! سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-".**

خرجه؟

**طالب: .....**

مخرج؟ يمكن نفس الذي عند الشيخ؟

**طالب: .....**

ماذا يقول؟

**طالب: .....**

**"السادسة: قوله -تعالى-: {قالَ يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ} [يوسف: ٥] الآية. الرؤيا مصدر رأى".**

رأى، الفعل رأى، الفعل واحد، وله مصادر تختلف باختلاف المعاني، فرأى رؤية، ورأى رأيًا، ورأى رؤيا، فالرؤيا التي تكون في النوم، والرأي هو ما يراه بعقله، والرؤية ما يراه ببصره.

**"الرؤيا مصدر رأى في المنام، رؤيا على وزن فعلى كالسقيا والبشرى، وألفه للتأنيث، ولذلك لم ينصرف. وقد اختلف العلماء في حقيقة الرؤيا، فقيل: هي إدراك في أجزاء لم تحلها آفة، كالنوم المستغرق وغيره، ولهذا أكثر ما تكون الرؤيا في آخر الليل لقلة غلبة النوم، فيخلق الله -تعالى- للرائي علمًا ناشئًا، ويخلق له الذي يراه على ما يراه ليصح الإدراك".**

بعض الناس يقول: إن ما يراه الشخص في نوم النهار ليس بالرؤيا، ليس برؤيا ولا ينبغي تعبيرها؛ لأنه جاء في الحديث الصحيح: "فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح"، فتكون سابقة لفلق الصبح، لكن هذا استدلال فيه بُعد.

**"فيخلق الله -تعالى- للرائي علمًا ناشئًا، ويخلق له الذي يراه على ما يراه ليصح الإدراك، قال ابن العربي: ولا يرى في المنام إلا ما يصح إدراكه في اليقظة، ولذلك لا يرى في المنام شخصًا قائمًا قاعدًا بحال".**

ما يُجمع بين المتناقضات في الرؤيا، في المنام؛ كما أنه لا يجمع بينها في اليقظة.

**طالب: يمكن أن يرى يا شيخ في المنام ما يقدر أن يفعله في اليقظة؟**

نعم، لكنه يفعله، لكن يفعل ولا يفعل، ما يفعل المتناقضات.

"وإنما يرى الجائزات المعتادات. وقيل: إن لله ملكًا يعرض المرئيات على المحل المدرك من النائم، فيمثل له صورًا محسوسة، فتارةً تكون تلك الصور أمثلة موافقة لما يقع في الوجود، وتارةً تكون لمعاني معقولة غير محسوسة، وفى الحالتين تكون مبشرة أو منذرة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في صحيح مسلم وغيره: «رأيت سوداء ثائرة الرأس تخرج من المدينة إلى مهيعة»".

مهيعة: الجحفة.

"«إلى مهيعة فأولتها الحمى»، و«رأيت سيفي قد انقطع صدره، وبقرًا تنحر، فأولتهما رجل من أهل بيتي يقتل، والبقر نفر من أصحابي يقتلون»، و«رأيت أنى أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة»، و«رأيت في يدي سوارين فأولتهما كذابين يخرجان بعدي». إلى غير ذلك مما ضربت له الأمثال، ومنها ما يظهر معناه أولًا فأولًا، ومنها ما لا يظهر إلا بعد التفكر، وقد رأى النائم في زمن يوسف -عليه السلام- بقرًا فأولها يوسف السنين، ورأى أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر فأولها بإخوته وأبويه.

السابعة: إن قيل: إن يوسف- عليه السلام- كان صغيرًا حين رؤياه، والصغير لا حكم لفعله، فكيف تكون له رؤيا لها حكم حتى يقول له أبوه: {لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ} [يوسف: ٥]؟

فالجواب: أن الرؤيا إدراك حقيقة على ما قدمناه، فتكون من الصغير كما يكون منه الإدراك الحقيقي في اليقظة، وإذا أخبر عما رأى صدق، فكذلك إذا أخبر عما يرى في المنام، وقد أخبر الله -سبحانه- عن رؤياه، وأنها وُجدت كما رأى فلا اعتراض، روي أن يوسف -عليه السلام- كان ابنَ اثنتي عشرة سنة".

نعم، والصدق كما يكون في اليقظة، والكذب يكون في اليقظة، أيضًا يكون الصدق والكذب في المنام، لكنه في المنام أشد، فالذي يكذب في الرؤيا ويري عينه ما لم تره، فالوعيد عليه شديد، أشد من الكذب في اليقظة.

"الثامنة: هذه الآية أصل في ألا تقص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل فيها، روى أبو رزين العقيلي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «الرؤيا جزء من أربعين جزءًا من النبوة»، و«الرؤيا معلقة برجل طائر ما لم يحدِّث بها صاحبها، فإذا حدث بها وقعت، فلا تحدثوا بها إلا عاقلًا أو محبًّا أو ناصحًا»، أخرجه الترمذي وقال فيه: حديث حسن صحيح، وأبو رزين اسمه لقيط بن عامر. وقيل لمالك: أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال: أبالنبوة يُلعب؟ وقال مالك: لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها، فإن رأى خيرًا أخبر به، وإن رأى مكروهًا فليقل خيرًا أو ليصمت، قيل: فهل يعبرها على الخير وهى عنده على المكروه لقول

**من قال: إنها على ما تأولت عليه؟ فقال: لا! ثم قال: الرؤيا جزء من النبوة فلا يتلاعب بالنبوة".**

إذا رأى تأويلها ليس في مصلحة الرائي، بل هي شر له، يصرفه عن طلبه، يصرفه عن طلبه، إن أصر يخبره؛ كما أخبر يوسف -عليه السلام- الذي تأكل الطير من رأسه.

**"التاسعة: وفى هذه الآية دليل على أن مباحًا أن يحذّر المسلم أخاه المسلم ممن يخافه عليه، ولا يكون داخلًا في معنى الغيبة؛ لأن يعقوب- عليه السلام- قد حذر يوسف أن يقص رؤياه على إخوته فيكيدوا له كيدًا، وفيها أيضًا ما يدل على جواز ترك إظهار النعمة عند من تخشى غائلته حسدًا وكيدًا، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود»".**

الحديث ضعيف؟

**طالب: ذكره السيوطي في الجامع من رواية الطبراني، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي، وذكره في الصغير من رواية العقيلي في الضعفاء.**

يعني ضعيفًا.

**طالب: وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق معاذ، وجزم الحافظ العراقي بضعفه.**

يعني ضعيفًا، حديث ضعيف كما هو معروف، لكن إخفاء النعمة خشية العين أو الحسد لا بأس به، لكن مع ذاك لا يتحدث بضدها أو يتشكى، أو يقول: إنه لم يؤت خيرًا، إنما لا يتحدث بهذه النعمة في هذا الظرف، ويتحدث بها عند أمن سوء العاقبة، عند من لم يعرف بالعين؛ لأن إظهار النعم وشكرها هذا أمر مطلوب.

**طالب: .....**

نعم؟

**طالب: .....**

استعينوا على إنجاح؟ والله بعض الناس ينبغي أن يكتم عنه، وبعض الناس ينبغي أن يخبَر، أقول: الناس يتفاوتون، ولا شك أن كل ذي نعمة محسود، يوجد من يحسده.

**"وفيها أيضًا دليل واضح على معرفة يعقوب -عليه السلام- بتأويل الرؤيا، فإنه علم من تأويلها أنه سيظهر عليهم، ولم يبال بذلك من نفسه، فإن الرجل يود أن يكون ولده خيرًا منه، والأخ لا يود ذلك لأخيه. ويدل أيضًا على أن يعقوب -عليه السلام- كان أحس من بنيه حسد يوسف وبغضه، فنهاه عن قصص الرؤيا عليهم خوفًا أن تغل بذلك صدورهم".**

تغل: تحقد.

**"فيعملوا الحيلة في هلاكه، ومن هذا ومن فعلهم بيوسف يدل على أنهم كانوا غير أنبياء في ذلك الوقت، ووقع في كتاب الطبري لابن زيد أنهم كانوا أنبياء، وهذا يرده القطع بعصمة**

**الأنبياء عن الحسد الدنيوي، وعن عقوق الآباء، وتعريض مؤمن للهلاك، والتآمر في قتله، ولا التفات لقول من قال: إنهم كانوا أنبياء".**

أما كونهم تُدعى عصمة قبل النبوة، فلا، موسى -عليه السلام- حصل منه قتل، وآدم حصلت منه المعصية، وإبراهيم -عليه السلام- حصلت منه الكذبات الثلاث، لكن يوفقون للتوبة منها، وأما ما يقع قبل النبوة، فلا إشكال فيه، وهذا وقع قبل النبوة عند من يقول بنبوتهم، وهو ما يقرره شيخ الإسلام -رحمه الله-، وإن كان الحافظ ابن كثير في تفسيره يقول: إنه لم يقف على ما يدل على نبوتهم.

**طالب: ...**

هو ما فيه إلا كلام الشيخ -رحمه الله-، كلام شيخ الإسلام.

**"ولا يستحيل في العقل زلة نبي، إلا أن هذه الزلة قد جمعت أنواعًا من الكبائر، وقد أجمع المسلمون على عصمتهم منها، وإنما اختلفوا في الصغائر على ما تقدم، ويأتي.**

**العاشرة: روى البخاري عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات»، قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة»، وهذا الحديث بظاهره يدل على أن الرؤيا بشرى على الإطلاق، وليس كذلك، فإن الرؤيا الصادقة قد تكون منذرة من قبل الله -تعالى- لا تسر رائيها، وإنما يريها الله -تعالى- المؤمن رفقًا به ورحمة، ليستعد لنزول البلاء قبل وقوعه، فإن أدرك تأولها بنفسه، وإلا سأل عنها من له أهلية ذلك، وقد رأى الشافعي -رضي الله عنه- وهو بمصر رؤيا لأحمد بن حنبل تدل على محنته، فكتب إليه بذلك ليستعد لذلك، وقد تقدم في يونس في تفسير قوله -تعالى-: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [يونس: ٦٤] أنها الرؤيا الصالحة. وهذا وحديث البخاري مخرجة على الأغلب، والله أعلم".**

قد أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام- عثمان أنه تصيبه بلوى بعد أن بشره بالجنة من أجل أن يستعد لها.

**طالب: أحسن الله إليك، هل يؤخذ من هذا لو ائتمن الإنسان شخص على سر مثلًا أو على أمر يتعلق بشخصية ثالثة فيه بشرى له، وقال: لا تخبره، هل للثاني هذا -المؤتمن- أن يخبر صديقه على أن يبشره أن يحذر من هذا البلاء الذي سيوقع به الأول؛ ليستعد به حتى يأخذ حذره أم تعتبر خيانة؟**

وما الفائدة من ائتمانه؟

**طالب: الفائدة من ائتمانه أن يخبره أن هذا الشخص سيحصل له بشرى من قبلي -أنا الشخص الأول-، أو سيحصل له ابتلاء مني، فيود الثاني أن يخبره بهذا الأمر حتى يستعد لهذا البلاء؟**

على كل حال؛ إذا كان الذي يبتليه ظلمًا له وعدوانًا يحذر منه مهما استأمنه على ذلك، إذا أراد أن يبتليه ظالمًا له معتديًا عليه، يحذر ليأخذ حذره، وينصح الآخر، لا على سبيل النميمة، ولا على سبيل الإفساد بينهم، ولكن ليأخذ حذره، وإن كان ما فيه بشرى، ولا يضر الآخر، فإن أخبر بطريق مناسب يعني غير صريح ليجمع بين المصلحتين، فلا بأس.

**"الحادية عشر: روى البخاري عن أبي سلمة قال: لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت أبا قتادة يقول: وأنا كنت لأرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها، وليتفل ثلاث مرات، ولا يحدث بها أحدًا، فإنها لن تضره»".**

**طالب:.....**

يخبر بها الناصح اللبيب له الذي لا يترتب على إخباره حسد له.

**"قال علماؤنا: فجعل الله الاستعاذة منها مما يرفع أذاها، ألا ترى قول أبي قتادة: إني كنت لأرى الرؤيا هي أثقل علي من الجبل، فلما سمعت بهذا الحديث كنت لا أعدها شيئًا. وزاد مسلم من رواية جابر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثًا، وليتعوذ بالله من الشيطان ثلاثًا، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه»، وفي حديث أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل».**

**قال علماؤنا: وهذا كله ليس بمتعارض، وإنما هذا الأمر بالتحول، والصلاة زيادة، فعلى الرائي أن يفعل الجميع، والقيام إلى الصلاة يشمل الجميع؛ لأنه إذا صلى تضمن فعله للصلاة جميع تلك الأمور؛ لأنه إذا قام إلى الصلاة تحول عن جنبه، وإذا تمضمض تفل وبصق، وإذا قام إلى الصلاة تعوذ ودعا وتضرع لله -تعالى- في أن يكفيه شرها في حال هي أقرب الأحوال إلى الإجابة، وذلك السحر من الليل".**

اللهم صل على محمدٍ، يكفي -إن شاء الله-، جزاك الله خيرًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

# تفسير القرطبي

# سورة يوسف

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

| | | | |
|---|---|---|---|
| **تاريخ المحاضرة:** | **١٤٣١/١١/١٨هـ** | **المكان:** | |

**"بسم الله الرحمن الرحيم.**

**الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى-:**

**"قوله -تعالى-: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ} [يوسف: ٦] الكاف في موضع نصبP لأنها نعت لمصدر محذوف، وكذلك الكاف في قوله: {كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ} [يوسف: ٦] و{ما} كافة.**

**وقيل: {وَكَذَلِكَ} [يوسف: ٦] أي كما أكرمك بالرؤيا فكذلك يجتبيك، ويحسن إليك بتحقيق الرؤيا.".**

الكاف في موضع نصب؛ لأنها نعت لمصدر محذوف تقديره: الاجتباء، لكن أين موقع الاجتباء الموصوف؟ وكذلك الاجتباء يجتبيك، ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك، أين الكاف التي في موضع نصب؟

**طالب:** .....

أي كاف، عندنا كم كاف؟

**طالب:** .....

{وَكَذَلِكَ} **[يوسف: ٦]** فيها اثنتان، و{يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ} **[يوسف: ٦]** خمسة أو ستة، {وَكَذَلِكَ} **[يوسف: ٦]**، تقدير الكلام؟

**طالب:** .....

{يَجْتَبِيكَ} **[يوسف: ٦]**؟ التقدير: ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك، لكن يستقيم هذا التعبير، لتكون الكاف نعتًا؟ على هذا التقدير تكون الكاف قبل المنعوت، ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك، يمكن أن يتقدم النعت على المنعوت؟

**طالب:** .....

كيف يكون تقدير الكلام؟

**طالب:** .....

يكون فيه تقديم وتأخير، الكاف في موضع نصب؛ لأنها نعت لمصدر محذوف، المصدر المحذوف يدل عليه السياق وهو الاجتباء، هذا المصدر المحذوف، لكن أين موقع هذا المصدر ليتم وصفه بالكاف؟ اجتباءٌ مثل ذلك الاجتباء يجتبيك، تكون نكرة موصوفة بالكاف، وإتمام كالإتمام على أبويك من قبل.

**"قال مقاتل: بالسجود لك. وقال الحسن: بالنبوة. والاجتباء: اختيار معالي الأمور للمجتبى".**

الاجتباء، الاجتباء اختيار معالي الأمور للمجتبى، الاجتباء معناه الاختيار، ومعناه الاصطفاء، فالمجتبى والمصطفى والمختار معانيها متقاربة، المجتبى والمصطفى والمختار معانيها متقاربة،

والاجتباء اختيار معالي الأمور للمجتبى، هذا الكلام صحيح ولا فيه ما فيه؟ أو اختيار للمجتبى نفسه؟ الاجتباء اختيار للمجتبى نفسه، للمختار نفسه، هل الاجتباء اختيار للشيء نفسه أو اختيار له؟

**طالب: اختيار للشيء نفسه، اختيار الرسول، {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلًا} [الحج: ٧٥].**

**طالب: الاصطفاء اختيار الشيء نفسه، والاجتباء اختيار للشيء.**

الاصطفاء اختيار الشيء نفسه، وقلنا: الاجتباء والاختيار والاصطفاء معناه متقاربة.

لو كان اجتناء غير الاجتباء، الاجتناء يجتني لك، وقد جنيتك يعني جنيت لك، أما اجتبيتك واخترتك واصطفيتك، يعني اخترت لك واصطفيت لك؟ أو اخترتك نفسك أنت؟ نعم، فالاختيار له نفسه، وهنا يقول: والاجتباء اختيار معالي الأمور للمجتبى، لكن من لازم المجتبى أن يكون مشتملًا على معالي الأمور، فهذا من لازم الاجتباء وليس هو معنى الاجتباء.

**"وأصله من جبيت الشيء أي حصلته، ومنه جبيت الماء في الحوض، قاله النحاس. وهذا ثناء من الله -تعالى- على يوسف -عليه السلام-، وتعديد فيما عدده عليه من النعم التي آتاه الله- تعالى-، من التمكين في الأرض، وتعليم تأويل الأحاديث، وأجمعوا أن ذلك في تأويل الرؤيا.**

**قال عبد الله بن شداد بن الهاد: كان تفسير رؤيا يوسف -صلى الله عليه وسلم- بعد أربعين سنة، وذلك منتهى الرؤيا. وعنى بالأحاديث ما يراه الناس في المنام، وهي معجزة له، فإنه لم يلحقه فيها خطأ. وكان يوسف -عليه السلام- أعلم الناس بتأويلها، وكان نبينا -صلى الله عليه وسلم- نحو ذلك، وكان الصديق -رضي الله عنه- من أعبر الناس لها، وحصل لابن سيرين فيها التقدم العظيم، والطبع والإحسان، ونحوه أو قريب منه كان سعيد بن المسيب فيما ذكروا.**

**وقد قيل في تأويل قوله: {وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} [يوسف: ٦] أي أحاديث الأمم والكتب ودلائل التوحيد".**

يوسف -عليه السلام- برز في تأويل الرؤيا، والنبي -عليه الصلاة والسلام- له من ذلك النصيب الوافر، فكان يسألهم ويؤول لهم، وطلب أبو بكر من النبي -عليه الصلاة والسلام-؛ كما في الصحيح فأولها، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: **«أصبت شيئًا، وأخطأت شيئًا»**، وهذا أبو بكر -رضي الله عنه-، وله من التقدم في الدين والسابقة والمنزلة الرفيعة العالية، وله أيضًا من هذا الباب الحظ الوافر أصاب وأخطأ، مع أن تأويله للرؤيا لا يكاد يخطر على بال أحد، وهو أقرب للإصابة من غيره، ويوجد من يجزم بتأويل كل رؤيا؛ كأنها الشمس، كأنه يلقى في روعه هذا التأويل، ويخبر ما تحتف به هذه الرؤيا من دقائق بعضها من علم الغيب.

لا شك أن تعبير الرؤيا له أصل، وأن الرؤيا منها ما يكون له حقيقة أنه يأتي مثل فلق الصبح، ومنها ما هو أضغاث أحلام لا تؤول، والرؤيا تختلف باختلاف السائلين، فلا بد من معرفة السائل، ومعرفة وضعه وظرفه، والله المستعان.

ابن سيرين حصل له في ذلك الباب التقدم العظيم مع أنه ما أُثر عنه في تعبير الرؤيا شيء قليل بالنسبة لما نُسب إليه، نسب إليه الشيء الكثير، لكن الكتب المطبوعة باسم ابن سيرين كلها موضوعة عليه، قد يكون فيها شيء من الصواب، لكن هي موضوعة؛ كما أن التفسير المنسوب لابن عباس موضوع عليه، وإن كان لابن عباس من ذلك القدح المعلى في التفسير، لكن فرق بين أن ينسب الشيء إلى الشخص وهو لم يقله، وإن كان بارعًا في ذلك الباب، ولولا براعته في هذا الباب لما نسب إليه كل هذه الأمور، فكتب التعبير الموجودة المنسوبة لابن سيرين موضوعة مكذوبة عليه، نعم هو متميز في هذا الباب، لكن لا يلزم أن يكون كل رؤيا تنسب إليه تكون ثابتة بالنسبة إليه؛ كما أن تنوير المقباس من تفسير ابن عباس موضوع على ابن عباس.

**طالب: يا شيخ!**

نعم.

**طالب: أحسن الله إليك، هل بالنسبة لتفسير ابن عباس هو لم يقله أصلًا حتى ولو....**

قد يوافق، قد يوافق، هو مروي عنه بهذه الطريقة بإسناد فيه بعض الوضاعين، لكن ابن عباس هل يمكن أن يمسك القرآن يفسره كلمة بكلمة بمقدارها مثل ما يفسر الجلالين؛ لأنه بحجم الجلالين الكلمة ومعناها، مروي عنه بإسناد مسلسل بالمتهمين والوضاعين.

**طالب: فيه رسالة في.....**

كونه يجمع تفسير ابن عباس المروي عنه بالأسانيد، وينظر في هذه الأسانيد، وينظر في الثابت وغيره، لا بأس، لكن يقال: هذا المجلد من وضع ابن عباس، نقول: ليس بصحيح.

**طالب: .....**

يعني أهل التأويل، أهل التفسير أجمعوا على أن تعليم هذه الأحاديث في هذا الباب.

**طالب: .....**

نقل الإجماع يسارع كثير من أهل العلم إلى حكايته إذا لم يطلع على مخالف، وبعضهم يتساهل فينقل الإجماع مع وجود المخالف، وأحيانًا هو يذكر نفسه المخالف، على أنه قد يكون هذا المخالف من يعتد بقوله، ومن لا يعتد بقوله، وهذا موجود عند ابن عبد البر، وابن قدامة، وابن المنذر، والنووي، كلهم يسارعون في نقل الإجماع في مسائل بعضها الخلاف موجود، وبعضهم يقتصر على نفي الخلاف علمه، لا يعلم في هذه المسألة مخالف، ولا يُعلم لهم مخالف -على حد علمه-، وهذا أسهل، لكن الكلام على نقل الإجماع الذي هو حجة، إجماع مجتهدي الأمة حجة، مع وجود المخالف في كثير من هذه الإجماعات، تجعل طالب العلم -كما قال الشوكاني-

لا يهاب الإجماع، معنى الإجماع ينبغي -إذا ثبت-أن تكون له هيبة؛ لأن الأمة لا تجمع على ضلالة أبدًا حتى إن بعض الأصوليين قدم الإجماع على النصوص، على نصوص الكتاب والسنة؛ لأن النصوص تحتمل النسخ والتأويل أما الإجماع فلا.

النووي -رحمه الله- نقل الإجماع على أن صلاة الكسوف سنة مع قول أبي عوانة في صحيحه: باب وجوب صلاة الكسوف، نقل الإجماع على أن عيادة المريض سنة مع قول الإمام البخاري باب وجوب عيادة المريض، وغير ذلك.

الإمام مالك -رحمه الله- قال: لا أعلم مخالفًا أو أحدًا قال برد اليمين مع أن قضاة عصره يقولون بذلك، ابن أبي ليلى، وابن شبرمة، وغيرهما، قضاة عصره.

الشافعي ذكر، أو نفى الخلاف على حسب علمه، الخلاف في وجوب الزكاة في أقل من ثلاثين من البقر، مع أن الخلاف في العشر معروف عن عثمان وابن عباس.

المقصود أن مثل هذه الإجماعات لا بد أن يتثبت فيها ويتأكد منها.

**طالب: .....**

ما يلزم، فراسة، فراسة ومهنة، دربة، دربة وفراسة.

**طالب: .....**

يعني ما يمكن أن يطول أمدها أكثر من أربعين، يعني وقوع التأويل لا يطول أمده بعد الرؤيا أكثر من أربعين.

**طالب: .....**

نعم.

"**فهو إشارة إلى النبوة، وهو المقصود بقوله: {وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ} [يوسف: ٦] أي بالنبوة. وقيل: بإخراج إخوتك، إليك، وقيل: بإنجائك من كل مكروه. {كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ} [يوسف: ٦] بالخلة، وإنجائه من النار. {وَإِسْحَاقَ} [يوسف: ٦] بالنبوة. وقيل: من الذبح، قاله عكرمة**".

معروف الخلاف في الذبيح، هل هو إسحاق أو إسماعيل؟ كلام طويل لأهل العلم، لكن المرجح عند المحققين منهم أنه إسماعيل.

"**وأعلمه الله -تعالى- بقوله: {وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ} [يوسف: ٦] أنه سيعطي بنى يعقوب كلهم النبوة، قاله جماعة من المفسرين**".

والخلاف في نبوتهم معروف، أثبته شيخ الإسلام -رحمه الله-، أما الحافظ ابن كثير فيقول: لا أعلم ما يدل على نبوتهم.

"**{إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ} [يوسف: ٦] بما يعطيك. {حَكِيمٌ} [يوسف: ٦] في فعله بك.**

**قوله -تعالى-: {لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسَّائِلِينَ} [يوسف: ٧] يعني، من سأل عن حديثهم. وقرأ أهل مكة (آية) [يوسف: ٧] على التوحيد، واختار أبو عبيد {آياتٌ} [يوسف: ٧] على الجمع، قال: لأنها خير كثير. قال النحاس: و(آية) [يوسف: ٧] هنا قراءة حسنة، أي لقد كان للذين سألوا عن خبر يوسف آية فيما خبروا به؛ لأنهم سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو بمكة فقالوا: أخبرنا عن رجل من الأنبياء كان بالشام أخرج ابنه إلى مصر، فبكى عليه حتى عمي؟".**

قد يقول قائل: ما هذا السؤال؟ صغار الطلاب يعرفون الجواب عليه، فكيف يُسأل نبي مؤيد بالمعجزة؟

أخبرنا عن رجل من الأنبياء كان بالشام أُخرج ابنه إلى مصر، فبكى عليه حتى عمي، لو تسأل طالبًا في أدنى المراحل التعليمية أجابك من هو؟ فكيف يُسأل عنه نبي؟ يعني هو تلقى هذا، هذا من القرآن، تلقى الجواب من القرآن، لكن المسألة مفترضة في شخص ما نزل عليه وحي أصلًا، أو ما نزل عليه إلا وحي من السماء، يعني ما تلقى علومًا من غير الوحي، فبذلك تثبت نبوته -عليه الصلاة والسلام-.

**"ولم يكن بمكة أحد من أهل الكتاب، ولا من يعرف خبر الأنبياء، وإنما وجه اليهود إليهم من المدينة يسألونه عن هذا- فأنزل الله -عز وجل- سورة يوسف جملة واحدة، فيها كل ما في التوراة من خبر وزيادة، فكان ذلك آية للنبي -صلى الله عليه وسلم-، بمنزلة إحياء عيسى ابن مريم -عليه السلام- الميت. {آياتٌ} [يوسف: ٧] موعظة، وقيل: عبرة. وروي أنها في بعض المصاحف (عبرة) [يوسف: ٧]. وقيل: بصيرة. وقيل: عجب، تقول فلان آية في العلم والحسن أي عجب.**

**قال الثعلبي في تفسيره: لما بلغت الرؤيا إخوة يوسف حسدوه، وقال ابن زيد: كانوا أنبياء، وقالوا: ما يرضى أن يسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه! فبغوه بالعداوة، وقد تقدم رد هذا القول".**

رد هذا القول من جهة أن الأنبياء لا يقع منهم مثل هذه الأمور، وهذه التصرفات من محاولة قتله، أو إلقائه في الجب، أو حسده، لكن إن كان ذلك قبل النبوة فظاهر، وإن كان بعدها فالخلاف معروف، هل يقع من الأنبياء شيء من المعاصي ويوفقون للتوبة منها؟ والمسألة معروفة عند أهل العلم.

**"قال الله -تعالى-: {لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ} [يوسف: ٧] وأسماؤهم: روبيل وهو أكبرهم، وشمعون ولاوي ويهوذا وزيالون ويشجر، وأمهم ليا بنت ليان، وهي بنت خال يعقوب، وولد له من سريتين أربعة نفر، دان ونفتالى وجاد وآشر، ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل،**

**فولدت له يوسف وبنيامين، فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا. قال السهيلي: وأم يعقوب اسمها رفقا، وراحيل ماتت في نفاس بنيامين، وليان بن ناهر بن آزر هو خال يعقوب.**

**وقيل: في اسم الأمتين ليا وتلتا، كانت إحداهما لراحيل، والأخرى لأختها ليا، وكانتا قد وهبتاهما ليعقوب، وكان يعقوب قد جمع بينهما، ولم يحل لأحد بعده، لقول الله -تعالى-: {وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ} [النساء: ٢٣]. وقد تقدم الرد على ما قاله ابن زيد، والحمد لله".**

يعني من زعمه أنهم أنبياء.

**"قوله -تعالى-: {إِذْ قالُوا لَيُوسُفُ} [يوسف: ٨] {لَيُوسُفُ} [يوسف: ٨] رفع بالابتداء، واللام للتأكيد، وهي التي يتلقى بها القسم، أي والله ليوسف. {وَأَخُوهُ} [يوسف: ٨] عطف عليه. {أَحَبُّ إِلى أَبِينا مِنَّا} [يوسف: ٨] خبره، ولا يثنى ولا يجمع؛ لأنه بمعنى الفعل".**

أحب، أحب خبر المبتدأ: {لَيُوسُفُ} [يوسف: ٨]، اللام هذه موطئة لقسم محذوف، ما تجيء ابتدائية؟ تجيء أم ما تجيء؟

**طالب: .....**

تأكيد، اللام المؤكدة، {لَمُرْسَلُونَ} [يس: ١٦]، هل يجر بالقسم؟ لا، هذه هي اللام التي يسمونها إيش؟ المزحلقة، والأصل أن تقترن بالمبتدأ، لكن زحلقت إلى الخبر.

لماذا لا نقول: {لَيُوسُفُ} [يوسف: ٨] هذه اللام التي هي لام التأكيد؟ لماذا نقول: موطئة؟

**طالب: .....**

يوسف رفعت بالابتداء، واللام للتأكيد، وهي التي يتلقى بها القسم؛ لأنه واقع في قسم محذوف، موطئة لقسم محذوف، تقديره للقارئ: والله ليوسف وأخوه أحبُّ، وأفرد أحب؛ لأنه أفعل تفضيل، أفعل التفضيل يثنى ويجمع أم يطابق ولا يلزم حالة واحدة؟

**طالب: إذا كان مجردًا من (أل) يا شيخ، يلزم حالة واحدة.**

والآن فيها (أل)، أحب؟ والأصل أنهما اثنان.

**طالب: لكن هو يلزم الإفراد.**

وهو إيش؟

**طالب: يلزم إفراده.**

التذكير.

**طالب: والتذكير.**

التذكير.

**طالب: .....**

على القول بنبوتهم لا بأس بالتسمية بأسماء الأنبياء والملائكة، لا بأس، ما لم يقتضِ تزكية.

**"وإنما قالوا هذا؛ لأن خبر المنام بلغهم فتآمروا في كيده. {وَنَحْنُ عُصْبَةٌ} [يوسف: ٨] أي: جماعة، وكانوا عشرة. والعصبة ما بين الواحد إلى العشرة، وقيل: إلى الخمسة عشر. وقيل: ما بين الأربعين إلى العشرة، ولا واحد لها من لفظها كالنفر والرهط. {إِنَّ أَبانا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} [يوسف: ٨] لم يريدوا ضلال الدين، إذ لو أرادوه لكانوا كفارًا".**

يعرفون أنه نبي، ولو رموا نبيًّا بالضلال، أو رمى أحد نبيًّا بالضلال لكفر، نسأل الله العافية، لكن ما معنى هذا الضلال؟ لم يريدوا ضلال الدين، بل أرادوا.

**"بل أرادوا لفي ذهاب عن وجه التدبير، في إيثار اثنين على عشرة مع استوائهم في الانتساب إليه. وقيل: لفي خطأ بيّن بإيثاره يوسف وأخاه علينا.**

**قوله -تعالى-: {اقْتُلُوا يُوسُفَ} [يوسف: ٩] في الكلام حذف، أي قال قائل منهم: {اقْتُلُوا يُوسُفَ} [يوسف: ٩]؛ ليكون أحسم لمادة الأمر. {أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا} [يوسف: ٩]".**

لأن غير القتل من وجهة نظر هذا القائل ما يحسم المادة، ويقضي على الموضوع من مهده، لو ما فعل به غير القتل احتمال أن يعود إليهم فيحصل له ما يحصل مما يغيظه ويكيده.

**"{أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا} [يوسف: ٩] أي في أرض، فأسقط الخافض، وانتصب الأرض".**

فيكون في هذا منصوبًا على نزع الخافض.

**"وأنشد سيبويه فيما حذف منه (في):**

لـــدن بهـــز الكـــف يعســـل متنـــه فيـــه كمـــا عســـل الطريـــق الثعلـــب"

يعني عن الطريق.

**"قال النحاس: إلا أنه في الآية حَسَن كثير".**

حَسَنٌ كثير، يعني حذف الجار هنا في مثل هذا التركيب حَسَنٌ كثير.

**طالب: .....**

ماذا؟

**طالب: .....**

كيف؟

**طالب: .....**

هو ما فيه شك أن يعقوب -عليه السلام- يؤثر يوسف بلا شك، يؤثره، ولا يمنع أن يكون في شريعته جواز ذلك، أو يؤثره بالميل إليه بالقلب الذي لا يُملك.

**"إلا أنه في الآية حَسَن كثير؛ لأنه يتعدى إلى مفعولين، أحدهما بحرف، فإذا حذفت الحرف تعدى الفعل إليه. والقائل قيل: هو شمعون، قاله وهب بن منبه. وقال كعب الأحبار، دان. وقال**

**مقاتل: روبيل، والله أعلم. والمعنى أرضًا تبعد عن أبيه، فلا بد من هذا الإضمار؛ لأنه كان عند أبيه في أرض. {يَخْلُ} [يوسف: ٩] جزم؛ لأنه جواب الأمر، معناه: يخلص ويصفو".**

إما جواب الأمر أو جواب شرط مقدر على خلاف في ذلك.

**"{لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ} [يوسف: ٩] فيقبل عليكم بكليته. {وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ} [يوسف: ٩] أي من بعد الذنب، وقيل: من بعد يوسف. {قَوْمًا صالِحِينَ} [يوسف: ٩] أي تائبين، أي تحدثوا توبة بعد ذلك فيقبلها الله منكم، وفي هذا دليل على أن توبة القاتل مقبولة؛ لأن الله -تعالى- لم ينكر هذا القول منهم.**

**وقيل: {صالِحِينَ} [يوسف: ٩] أي يصلح شأنكم عند أبيكم من غير أثرة ولا تفضيل.**

**قوله -تعالى-: {قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ} [يوسف: ١٠]، فيه ثلاث عشرة مسألة:**

**الأولى: قوله -تعالى-: {قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ} [يوسف: ١٠] القائل هو يهوذا، وهو أكبر ولد يعقوب، قاله ابن عباس. وقيل: روبيل، وهو ابن خالته، وهو الذي قال: {فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ} [يوسف: ٨٠] الآية. وقيل: شمعون. {وَأَلْقُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ} [يوسف: ١٠] قرأ أهل مكة وأهل البصرة وأهل الكوفة: {فِي غَيابَتِ الْجُبِّ} [يوسف: ١٠]".**

يعني على الإفراد، غيابة.

**"وقرأ أهل المدينة: (في غيابات الجب) [يوسف: ١٠] واختار أبو عبيد التوحيد؛ لأنه على موضع واحد ألقوه فيه، وأنكر الجمع لهذا. قال النحاس: وهذا تضييق في اللغة، (وغيابات) على الجمع يجوز من وجهين: حكى سيبويه سير عليه عشيانات وأصيلانات، يريد عشية وأصيلًا، فجعل كل وقت منها عشية وأصيلًا، فكذا جعل كل موضع مما يغيب غيابة. والآخر: أن يكون في الجب غيابات جماعة. ويقال: غاب يغيب غيبًا وغيابة وغيابًا، كما قال الشاعر:**

ألا فالبثا شهرين أو نصف ثالث  أنا ذاكما قد غيبتني غيابيا

**قال الهروي: والغيابة شبه لَجَفٍ أو طاق في البئر فويق الماء، يغيب الشيء عن العين. وقال ابن عُزَيْز: كل شيء عنك غيب شيئًا فهو غيابة. قلت: ومنه قيل للقبر: غيابة".**

ابن عزيز هذا معروف؟ معروف أم ليس معروفًا؟

**طالب: .....**

نعم، سجستاني، سجستاني، له غريب القرآن، جزء صغير، مطبوع ومتداول، ابن عزيز السجستاني.

**طالب: .....**

لا، هو من حيث المعنى، تكلموا من حيث المعنى، والرد لا يعني أنها ترفض، يعني أنها تفضل تلك عليها، ومن حيث المعنى **(غيابات)** [يوسف: ١٠] الجب ما فيه إلا غيابة واحدة، كيف يقول: **(غيابات الجب)** [يوسف: ١٠]؟

هذا مجرد ترجيح.

**طالب: ما يكون الجمع هذا على سبيل المبالغة مثل ما يقول: ظُلَم مدلهمات، وكذا؟**

نعم، لكن ظلم جملة ظلمة، والظلم أكثر من واحدة.

**طالب: .....**

لكن هل يتصور أن يوسف يدخل في غيابات كثيرة أو في غيابة واحدة في الجب؟

**طالب: في غيابة واحدة، وعلى سبيل المبالغة تُجمع، يعني مثل ما قلنا: مشى في ظلمة مدلهمة، في ظلمات مدلهمات، يقصدون ظلم الليل.**

ظلم الليل وغيره.

**طالب: أو غيره، نعم.**

ظلم الليل وغيره، **{ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ}** [الزمر: ٦]، قد تزيد على ذلك.

**طالب: .....**

هناك في الأول.

**طالب: .....**

هو على حسب السياق، إن كانت سيقت مساق الإنكار، فلا يحتاج النص على إنكارها، إن كان السياق يقتضي الإنكار فهي منكر، إن كان السياق يقتضي الإقرار فهي مقرة، ولذا لما قال اليهودي: إن الله -سبحانه وتعالى- يضع السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، إلى آخره، هل هذا إقرار أم إنكار لما ساقه النبي -عليه الصلاة والسلام-؟ يسوقه مساق الإقرار أم الإنكار؟

إقرار، لكن النافي يقول: يسوقه مساق إنكار، الجهمية وغيرهم الذين ينكرون الصفات يقولون: أبدًا، يسوقه للتعجب منه، كيف يجرؤ ابن آدم أن يقول مثل هذا الكلام؟ فالسياق هو الذي يدل على إثباته وعلى نفيه.

**طالب: .....**

كيف؟

**طالب: .....**

لكن هو إقرار أم إنكار؟ سياقها، سياق إقرار أم إنكار؟ لا شك أنه إقرار، إقرار، يعني لما ساق النبي -عليه الصلاة والسلام- قصة الغلام، في قصة أصحاب الأخدود، وأنهم ذهبوا به ليرموه

من شاهق، ويغرقوه في البحر، وأنه فعل وترك، وأنهم لم يستطيعوا قتله إلا بما دلهم عليه به، سيقت في شرعنا مساق إقرار أم إنكار؟

إقرار بلا شك، والسياق يدل على ذلك.

فالسياق له نصيب من الإقرار ونفيه.

**طالب: .....**

أين؟

**طالب: .....**

نعم، معروف.

**طالب: .....**

لكنهم عزموا وألقوه، ألقوه في غيابة الجب، يعني يغلب على الظن هلاكه، ألقوه وتركوه، إما مات بالوقوع، أو بحية، أو بجوع، عطش، فالغالب على الظن هلاكه.

**"ومنه قيل للقبر غيابة، قال الشاعر:**

فـــإن أنـــا يومًـــا غيبتنـــي غيـــابتي فسـيروا بسـيري فـي العشـيرة والأهـل

**والجب الركية التي لم تطو، فإذا طويت فهي بئر، قال الأعشى:**

لـــئن كنـــت فـــي جـــب ثمـــانين قامـــة ورقيـــت أســـباب الســـماء بســـلم

**وسميت جبًّا؛ لأنها قطعت في الأرض قطعًا، وجمع الجب جببة وجباب وأجباب".**

يعني ما يكفي أنك على سطح الأرض فارتفعت هذا الارتفاع العظيم، لو أنت في جب ثمانين قامة، ثمانين رجلًا، طول ثمانين رجلًا مثلًا، يعني مائة وخمسين مترًا تحت الأرض، ثم بعد ذلك رُقِّيت إلى أسباب السماء، فلن تعدو قدرك، فأنت بشر مخلوق.

**"وجمع بين الغيابة والجب؛ لأنه أراد ألقوه في موضع مظلم من الجب حتى لا يلحقه نظر الناظرين.**

**قيل: هو بئر بيت المقدس، وقيل: هو بالأردن، قاله وهب بن منبه. وقال مقاتل: وهو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب.**

**الثانية: قوله -تعالى-: {يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ} [يوسف: ١٠] جزم على جواب الأمر".**

**طالب: .....**

ما أدري، ما أدري، الحين اختلف في مكانه بيت المقدس، أو بالأردن.

**طالب: .....**

لا، لا، مثل هذا الوقوف عليه ما ينفع، ما ينفع، الله -سبحانه وتعالى- أقول: أضل الناس عن كثير من هذه المواقع التي قد يكون بسببها شيء من الشرك والغلو، فأعمى الناس عنها.

نعم.

**"وقرأ مجاهد وأبو رجاء والحسن وقتادة: (تلتقطه) [يوسف: ١٠] بالتاء".**

من نعم الله على خلقه أن ضاعت هذه الأمور، ولم تكن تعرف، تجدون في رحلة ابن بطوطة نصف وقته تتبع مثل هذه الآثار، شهرًا يطلع جبل في المشرق يشوف موضع قدم وطئ فيه آدم، طلوع في الجبل، ثم ماذا؟

من نعم الله -سبحانه وتعالى- على عباده أنهم أعماهم عن هذه الأمور وأضلهم عنها؛ لأنه لا يترتب عليها حكم شرعي، بل العكس، ضرر.

**طالب: أقول يا شيخ -أحسن الله إليكم-من ضمن إفساد الآلات المرئية، حدثني أحدهم أنهم قدموا في إحدى القنوات برنامج عن القبور في العالم، قبور العلماء أو المزارات، ومثل هذا.**

لا، وفيها مصنفات، فيها مصنفات.

**"وهذا محمول على المعنى؛ لأن بعض السيارة سيارة، وقال سيبويه: سقطت بعض أصابعه، وأنشد:**

**وتشرق بالقول الذي قد أذعتَه كما شرقت صدر القناة من الدم**

**وقال آخر:**

**أرى مر السنين أخذن مني كما أخذ السرار من الهلال"**

يعني بدأ في النقص شيئًا فشيئًا إلى أن صار هلالًا بعد أن كان بدرًا، وهذا حال الإنسان، الله المستعان.

**"ولم يقل: شرق ولا أخذت. والسيارة الجمع الذي يسيرون في الطريق للسفر، وإنما قال القائل هذا حتى لا يحتاجوا إلى حمله إلى موضع بعيد، ويحصل المقصود، فإن من التقطه من السيارة يحمله إلى موضع بعيد، وكان هذا وجهًا في التدبير حتى لا يحتاجوا إلى الحركة بأنفسهم، فربما لا يأذن لهم أبوهم، وربما يطلع على قصدهم".**

نعم، لو قالوا لأبيهم: نريد أن نذهب به إلى بلد بعيد، ما وافق، إنما استأذنوا منه أن يذهبوا به إلى مكان قريب، وهذه نيتهم المبيتة، وعلى حد ظنهم أنه يأتي أناس يسيرون فيحملونه، يخرجونه من الجب، ويحملونه إلى بلد بعيد سيما إذا عرفوه أنه ابن فلان فلن يرجعوه إلى نفس البلد، يبيعونه في بلد ثانٍ.

السرخسي صاحب المبسوط، معروف أم ما هو معروف؟

**طالب: .....**

ما قصته؟

من أين أملى الكتاب؟ من الجب، مسجون في جب فرغانة، وأملى الكتاب هذا الذي يقع في ثلاثين جزءًا من الكبار، أملاه إملاءً وهو مسجون في الجب، والله المستعان.

**طالب: .....**

أملى الكتاب، أنت وقفت على شيء؟

**طالب: .....**

والله، هم يقولون: أملى الكتاب من جب فرغانة وهو مسجون فيه، وعلى كل حال؛ همة من الشيخ ومن الطلاب، والله المستعان.

**"الثالثة: وفي هذا ما يدل على أن إخوة يوسف ما كانوا أنبياء لا أولًا ولا آخرًا؛ لأن الأنبياء لا يدبرون في قتل مسلم، بل كانوا مسلمين، فارتكبوا معصية ثم تابوا. وقيل: كانوا أنبياء، ولا يستحيل في العقل زلة نبي، فكانت هذه زلة منهم، وهذا يرده أن الأنبياء معصومون من الكبائر على ما قدمناه. وقيل: ما كانوا في ذلك الوقت أنبياء ثم نبأهم الله، وهذا أشبه، والله أعلم.**

**الرابعة: قال ابن وهب: قال مالك: طُرح يوسف في الجب وهو غلام، وكذلك روى ابن القاسم عنه، يعني أنه كان صغيرًا، والدليل عليه قوله -تعالى-: {لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ} [يوسف: ١٠]".**

فالآية دلت على أنه صغير من وجوه؛ كأن الصغير لا يُلتقط، وأيضًا أبوه لا يخاف عليه لو كبيرًا من الذئب، المقصود أنه فيه دلائل كثيرة تدل على أنه كان صغيرًا.

**طالب: .....**

لا يلتقط إلا الصغير.

**"قال: ولا يلتقط إلا الصغير، وقوله: {وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ} [يوسف: ١٣] وذلك أمر يختص بالصغار، وقولهم: {أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [يوسف: ١٢]".**

الكبير ما يرتع ولا يلعب.

**"الخامسة: الالتقاط تناول الشيء من الطريق، ومنه اللقيط واللقطة، ونحن نذكر من أحكامها ما دلت عليه الآية والسنة، وما قال في ذلك أهل العلم واللغة، قال ابن عرفة: الالتقاط وجود الشيء على غير طلب، ومنه قوله -تعالى-: {يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ} [يوسف: ١٠] أي يجده من غير أن يحتسبه".**

من ابن عرفة هذا؟

**طالب: .....**

شرح إيش؟

**طالب: .....**

له التعاريف، له التعاريف، له كتاب في التعاريف، التعريفات الفقهية، لكنه لا يسلم من تعقيد في كثير من التعاريف، إن رجعت لتعريف الإجارة عرفت كيف يعرف الإجارة.

**"وقد اختلف العلماء في اللقيط، فقيل: أصله الحرية؛ لغلبة الأحرار على العبيد، وروي عن الحسن بن علي أنه قضى بأن اللقيط حر، وتلا {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ} [يوسف: ٢٠]، وإلى هذا ذهب أشهب صاحب مالك، وهو قول عمر بن الخطاب، وكذلك روي عن علي وجماعة.**

**وقال إبراهيم النخعي: إن نوى رقه فهو مملوك، وإن نوى الحسبة فهو حر. وقال مالك في موطئه: الأمر عندنا في المنبوذ أنه حر، وأن ولاءه لجماعة المسلمين".**

هذا هو الصحيح أنه حر؛ لأنه وإن كان مترددًا في وضعه هل كان من أبوين حرين أو مملوكين، فلا شك أنه وإن كان مملوكًا، وحُكم بحريته، فلا ضير ولا أثر، لكن الإشكال إن كان حرًّا ثم حكم برقه، وبيع على أساس أنه رقيق، وقد جاء الوعيد بالنسبة لمن باع حرًّا، فأكل ثمنه.

**"هم يرثونه ويعقلون عنه، وبه قال الشافعي، واحتج بقوله -عليه السلام-: «وإنما الولاء لمن أعتق» قال: فنفى الولاء عن غير المعتِق. واتفق مالك والشافعي وأصحابهما على أن اللقيط لا يوالي أحدًا، ولا يرثه أحد بالولاء. وقال أبو حنيفة وأصحابه وأكثر الكوفيين: اللقيط يوالي من شاء، فمن والاه فهو يرثه ويعقل عنه، وعند أبي حنيفة له أن ينتقل بولائه حيث شاء، ما لم يعقل عنه الذي والاه، فإن عقل عنه جناية لم يكن له أن ينتقل عنه بولائه أبدًا.**

**وذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن علي -رضي الله عنه-: المنبوذ حر، فان أحب أن يوالي الذي التقطه والاه، وإن أحب أن يوالي غيره والاه، ونحوه عن عطاء، وهو قول ابن شهاب وطائفة من أهل المدينة، وهو حر. قال ابن العربي: إنما كان أصل اللقيط الحرية؛ لغلبة الأحرار على العبيد، فقضى بالغالب، كما حكم أنه مسلم أخذًا بالغالب، فإن كان في قرية فيها نصارى ومسلمون قال ابن القاسم: يحكم بالأغلب، فإن وجد عليه زي اليهود فهو يهودي، وإن وجد عليه زي النصارى فهو نصراني، وإلا فهو مسلم، إلا أن يكون أكثر أهل القرية على غير الإسلام.**

**وقال غيره: لو لم يكن فيها إلا مسلم واحد قضي للقيط بالإسلام؛ تغليبًا لحكم الإسلام الذي يعلو ولا يعلى عليه، وهو مقتضى قول أشهب، قال أشهب: هو مسلم أبدًا، لأني أجعله مسلمًا على كل حال، كما أجعله حرًّا على كل حال".**

يعني من باب الاحتياط، وإن كان الاحتمال الثاني قائمًا.

**"واختلف الفقهاء في المنبوذ تدل البينة على أنه عبد، فقالت طائفة من أهل المدينة: لا يقبل قولها في ذلك، وإلى هذا ذهب أشهب لقول عمر: هو حر، ومن قضى بحريته لم تقبل البينة في أنه عبد.**

**وقال ابن القاسم: تقبل البينة في ذلك، وهو قول الشافعي والكوفي.**

**السادسة: قال مالك في اللقيط: إذا أنفق عليه الملتقط ثم أقام رجل البينة أنه ابنه فإن الملتقط يرجع على الأب إن كان طرحه متعمدًا، وإن لم يكن طرحه ولكنه ضل منه فلا شيء على الأب".**

لأنه لم يفرط، لأنه لم يفرط، فلا شيء عليه، وهذه نفقة، أقول: نفقة، والنفقة تسقط؟

**طالب: بالتبرع.**

تسقط بالتبرع، نعم.

**"والملتقط متطوع بالنفقة. وقال أبو حنيفة: إذا أنفق على اللقيط فهو متطوع، إلا أن يأمره الحاكم. وقال الأوزاعي: كل من أنفق على من لا تجب عليه نفقة رجع بما أنفق. وقال الشافعي: إن لم يكن للقيط مال وجبت نفقته في بيت المال، فإن لم يكن ففيه قولان: أحدهما: يستقرض له في ذمته. والثاني: يقسط على المسلمين من غير عوض".**

يجب، يجب على المسلمين الإنفاق على مثل هذا إذا لم يكن بيت المال يقوم بمثل هذه الأمور؛ كما أنه يجب على المسلمين ألا يبيت فيهم جائع مع قدرتهم على إطعامهم، ولا عارٍ مع قدرتهم على كسوتهم، لا يجوز لمن عرف حاله أن يتركه، لا جائع ولا عارٍ؛ لأنه هذه من فروض الكفايات.

**طالب: .....**

ينفق عليه؟

لا بد أن ينفق عليه، الحيوان يجب الإنفاق عليه، **«كل كبد رطبة فيها أجر»**.

**"السابعة: وأما اللقطة والضوال فقد اختلف العلماء في حكمها، فقالت طائفة من أهل العلم: اللقطة والضوال سواء في المعنى، والحكم فيهما سواء".**

ما الفرق بين اللقطة والضوال؟

**طالب: .....**

واللقطة؟

**طالب: .....**

اللقطة؟ الفرق بين اللقطة واللقيط؟ اللقيط من بني آدم، واللقطة في الأموال.

والضوال؟

**طالب: .....**

اللقطة، الضوال من الإبل والبقرة.

**"وإلى هذا ذهب أبو جعفر الطحاوي، وأنكر قول أبي عبيد القاسم بن سلام- أن الضالة لا تكون إلا في الحيوان، واللقطة غير الحيوان- وقال هذا غلط، واحتج بقوله -صلى الله عليه وسلم- في حديث الإفك للمسلمين: «إن أمكم ضلت قلادتها» فأطلق ذلك على القلادة.**

**الثامنة: أجمع العلماء على أن اللقطة ما لم تكن تافهًا يسيرًا أو شيئًا لا بقاء لها، فإنها تعرف حولًا كاملًا".**

ما لا تتبعه همة أوساط الناس، الذي لا تتبعه همة أوساط الناس، مثل هذا يملك بمجرد التقاطه، بخلاف ما تتبعه همة أوساط الناس فإنه لا بد من تعريفه، لكن إن كان مما لا تتبعه همة أوساط الناس ثم جاء صاحبه؟ يجب رده إليه، ولو كان يسيرًا.

**"وأجمعوا أن صاحبها إن جاء فهو أحق بها من ملتقطها إذا ثبت له أنه صاحبها، وأجمعوا أن ملتقطها إن أكلها بعد الحول وأراد صاحبها أن يضمنه فإن ذلك له، وإن تصدق بها فصاحبها مخير بين التضمين وبين أن ينزل على أجرها، فأي ذلك تخيَّر كان ذلك له بإجماع".**

الملك بعد الحول من التعريف ملك مشروط على أنه إن جاء صاحبها يومًا من الدهر فإنه يأخذها، أو يأخذ قيمته إن كانت متقومة.

**"ولا تنطلق يد ملتقطها عليها بصدقة، ولا تصرف قبل الحول. وأجمعوا أن ضالة الغنم المخوف عليها له أكلها".**

ولا يلزمه أن يعرفها سنة.

**"التاسعة: واختلف الفقهاء في الأفضل من تركها أو أخذها، فمن ذلك أن في الحديث دليلًا على إباحة التقاط اللقطة وأخذ الضالة ما لم تكن إبلًا. وقال في الشاة: «لك أو لأخيك أو للذئب» يحضه على أخذها، ولم يقل في شيء دعوه حتى يضيع أو يأتيه ربه. ولو كان ترك اللقطة أفضل لأمر به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما قال في ضالة الإبل، والله أعلم".**

لكن إن كان الشخص لا يأمن من نفسه القدرة، ولا يؤنس منه القدرة على التعريف، أو يخاف أن تمتد يده إليها بالكتمان، فمثل هذا يتركها أفضل؛ لأنه قد لا يملك نفسه ويتملكها ويستعملها قبل مضي الحول.

**"وجملة مذهب أصحاب مالك أنه في سعة، إن شاء أخذها وإن شاء تركها، هذا قول إسماعيل بن إسحاق -رحمه الله-.**

**وقال المزني عن الشافعي: لا أحب لأحد ترك اللقطة، إن وجدها إذا كان أمينًا عليها".**

لئلا يتركها فيأتي من ليس من أهل الأمانة، فيأخذها.

**"قال: وسواء قليل اللقطة وكثيرها.**

**العاشرة: روى الأئمة مالك وغيره عن زيد بن خالد الجهني قال: جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فسأله عن اللقطة فقال: «اعرف عفاصها ووكاءها، ثم عرفها سنة، فإن جاء**

**صاحبها وإلا فشأنك بها» قال: فضالة الغنم يا رسول الله؟ قال: «لك أو لأخيك أو للذئب» قال: فضالة الإبل؟ قال: «ما لك ولها؟ معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء، وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها». وفي حديث أبيٍّ قال: «احفظ عددها ووعاءها ووكاءها، فإن جاء صاحبها وإلا فاستمتع بها»، ففي هذا الحديث زيادة العدد، خرجه مسلم وغيره. وأجمع العلماء أن عفاص اللقطة ووكاءها من إحدى علاماتها وأدلها عليها".**

هذا من العلامات الظاهرة، لكن هل يلزم أن يكون صاحب اللقطة يعرف دقائق هذه الأمور؟ يعني لو وجد شخص ورقة من فئة خمسمائة، فجاء شخص فقال: أنا ضاع لي خمسمائة، تقول: مئات أو برأسها؟ يقول لك: برأسها، صحيح، تعرف رقمها؟ يقول: ما أعرف رقمها، تقول: إذًا، ما هي لك، يصلح هذا أم لا؟ لا، ما كل الناس يحفظون الأرقام، بل ولا أحد من الناس يحفظ هذه الأرقام، فإذا اطمأنت النفس ومالت وارتاحت إلى قبول قوله، يقبل.

**"فإذا أتى صاحب اللقطة بجميع أوصافها دفعت له، قال ابن القاسم: يجبر على دفعها، فإن جاء مستحق يستحقها ببينة أنها كانت له لم يضمن الملتقط شيئًا، وهل يُحلَّف مع الأوصاف أو لا؟ قولان: الأول لأشهب، والثاني لابن القاسم".**

قول الأشهب: يحلف، والقول الثاني: لا يحلف؛ لأنه قدر زائد على ما جاء في النص.

**"ولا تلزمه بينة عند مالك وأصحابه وأحمد بن حنبل وغيرهم. وقال أبو حنيفة والشافعي: لا تدفع له إلا إذا أقام بينة أنها له، وهو بخلاف نص الحديث، ولو كانت البينة شرطًا في الدفع لما كان لذكر العفاص والوكاء والعدد معنى، فإنه يستحقها بالبينة على كل حال، ولما جاز سكوت النبي -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك، فإنه تأخير البيان عن وقت الحاجة. والله أعلم".**

يعني لو جاء شخص يدعي مالًا بيد شخص آخر، ظاهر، يُرى، بارز، لو قال: هذه الخمسمائة التي بيدك لي، يدعيها، وأحضر بينة أنها له، ما يحتاج أن يعرف لا وكاء ولا عفاص، ولا، لكن إذا عرف هذه الأمور منها ما يحتاج إلى بينة، وطلب البينة قدر زائد على ما جاء في النص، تأخير، ما جاز سكوت النبي -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك، لقال، وبين أن مما يجب أو مع دفع هذه اللقطة مع الإتيان بالبينة، هذا وقت الحاجة، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

**طالب: أحسن الله إليك، ما يقال: إن البينة هي معرفة العفاص والوكاء؟**

هم مقصودهم بالبينة الشهود، إذا أُطلقت فمرادهم الشهود، لكن قد تستعمل البينة فيما هو أعم من ذلك، حتى القرائن التي تحتف بالقضية ويحكم بها بعضهم بينات.

**"الحادية عشرة: نص الحديث على الإبل والغنم وبين حكمهما، وسكت عما عداهما من الحيوان.**

**وقد اختلف علماؤنا في البقر هل تلحق بالإبل أو بالغنم؟ قولان، وكذلك اختلف أئمتنا في التقاط الخيل والبغال والحمير، وظاهر قول ابن القاسم أنها تلتقط، وقال أشهب وابن كنانة: لا تلتقط، وقول ابن القاسم أصح، لقوله -عليه السلام-: «احفظ على أخيك المؤمن ضالته»".**

مخرج؟

**طالب: ما خرجه.**

خرج الحديث؟

**طالب: .....**

يمكن ما وجدوه، ما فيه تخريج؟ يعني ما وجده، لو وجدوه ما تركوه.

لعل هذا من قياس الشبه، البقر والخيل والبغال والحمير لها شبه من وجه بالإبل، ولها شبه من وجه آخر بالغنم، فهل تلحق بالإبل أو بالغنم؟ تلحق بأقربهما شبهًا لها، ولا شك أن الخيل والبغال والحمير إن كانت تمتنع من صغار السباع ومثلها البقر، فحكمها حكم الإبل، وإن كانت لا تمتنع فحكمها حكم الغنم.

**طالب: .....**

نعم؟

**طالب: .....**

امتناع من صغار السباع، عدم التعرض للتلف والهلاك، **«معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء وتأكل الكلأ»**.

**"الثانية عشرة: واختلف العلماء في النفقة على الضوال، فقال مالك فيما ذكر عنه ابن القاسم: إن أنفق الملتقط على الدواب والإبل وغيرها فله أن يرجع على صاحبها بالنفقة، وسواء أنفق عليها بأمر السلطان أو بغير أمره، قال: وله أن يحبس بالنفقة ما أنفق عليه ويكون أحق به كالرهن".**

يعني لو وجد ضالة، فأنفق عليها خلال العام أكثر من قيمتها، يرجع على صاحبها أو لا يرجع؟

**طالب: .....**

أنفق عليها أكثر من قيمتها، وقد نوى بالنفقة الرجوع، جاء صاحبها فقال: ادفع قيمة نفقتها، أنفقت عليها ما قيمته ألف، وهي ما تسوى إلا خمسمائة، يرجع أم ما يرجع؟ هو ما فرط، يعني علف المثل ما زود، يعني نظير شخص أدخل سيارته الصيانة، يوم جاء للوكالة فإذا الصيانة عشرة آلاف، طلع بها للحراج ما جاءت بعد الصيانة ولا بسبعة، يضمن أم ما يضمن؟ يلزمه الدفع أم ما يلزمه؟

**طالب: .....**

والأول؟

**طالب: .....**

لو ما أنفق عليها تلفت، لو ما أنفق عليها تلفت.

**طالب: .....**

الذي ما يترتب عليها التلف، أمره أسهل، نقول: نخفف، بدل ما تعلن كل أسبوع، أعلن كل شهر؛ لئلا يتضرر صاحبها؛ لأن الضرر تجب إزالته، أنت الآن تقصد الإصلاح، على صنيعك يحصل الضرر، لكن الإنفاق عليها لا شك أنه لا بد منه، لكن إذا رأى المصلحة في أن هذه السلعة بيعها أنفع لصاحبها من الإنفاق عليها، يبيعها أم لا؟ أرفق بصاحبها من الإنفاق عليها؟ نعم؟

**طالب: .....**

قبل تمام الحول، قبل الحول، والإنفاق في الحول، ها يا شيخ، بيعها أرفق بصاحبها أم يسلمها للحاكم ويبرأ من عهدتها، والحاكم له أن يتصرف بحسب المصلحة، هو ولي من لا ولي له، أم يجتهد؟

**طالب: .....**

لأنه أحيانًا تكون النفقة عليها أكثر من قيمتها، إذا أتى صاحبها يومًا من الدهر فهي له، مطلوب.

يعني لو أن شخصًا أدخل سيارة للصيانة، وما اتفقوا على شيء، لكن العرف جارٍ بأنه ما يمكن أن تصان سيارة بأكثر مما تستحق، هل يمكن أن يدخل شخص سيارة يصونها من أجل أن يبيعها بأقل من قيمة الصيانة؟

**طالب: لا.**

فإذا جاء وبحث عن السيارة ووجد الورقة ملصقة، وفيها التكاليف عشرة آلاف، جاء ناس من أهل الخبرة، ماذا تساوي الآن؟ قالوا: ما تساوي إلا سبعة، يلزمه دفع عشرة آلاف أم لا؟ يلزم أم ما يلزم؟

**طالب: .....**

نعم.

**طالب: .....**

يعني ما سأل: كم تكلف؟ هو ينظر أيضًا في مكان الصيانة، يمكن ثلاثة أرباع هذا المبلغ أجرة، أجرة يد، يعني لو كان قطع غيار وأحضروا فواتير، فلا شك أنه يلزمه الدفع، لكن إذا كان أكثره أجرة يد، فما يلزم أن يدفع كل المبلغ.

**طالب: .....**

نعم.

**طالب: .....**

هو إذا كانت قطع غيار وفرط، ما قال له: على ألا تزيد الصيانة عن كذا، وسأله كم تكلف الصيانة؟ وأحضر له فواتير القطع من المحلات، والمفترض فيه أنه ثقة، هو خسر عليها، وذاك مفرط، لكن لو كانت القطع بألفين مثلًا، وأجرة اليد قال: والله، عملنا تعبوا، أسبوعًا يفكون ويربطون، يكفينا ثمانية، يقول: لا، مثل هذا.

**طالب: مسألة الضالة لو أنفق عليها أكثر من قيمتها.**

ما أظن أن صاحب الضالة يغرم مرتين، يغرم ضالته، ويغرم علفها، لكن لو صارت عنده في بيته وأنفق عليها، ماذا سيصنع؟

**طالب: .....**

لكن هل يتصور أن الشخص صاحب الضالة يجمع له بين ضالته التي فقدها، وما أنفق عليها وهو أكثر من قيمتها؟ هو يبحث عن المصلحة، الأصل أن من التقطها يريد مصلحة صاحبها، والشرع حينما رتب هذه الأحكام لحفظ حقوق الناس، لو تركها تهلك أحسن له من أنه صار ينفق عليها أكثر من قيمتها، فمراعاة الحكم والعلل أمر لا بد منه، لأنه ماذا يستفيد صاحب الضالة إذا كان يدفع أكثر من قيمتها؟

**طالب: .....**

من غير تعدٍ ولا تفريط.

**طالب: .....**

هذا التلف أمر ثانٍ، لكن هي موجودة، تباع بنصف، اللهم إلا إن كان على المذهب ما يذكر عن بعضهم من حلاوة الوجدان، حلاوة وجود الشيء، له حلاوة، من رأى الدابة له ألف، يا فلان ما قيمة هذه الدابة، قال: ما تساوي خمسمائة، قالوا: كيف؟

حلاوة الوجدان، أهم شيء أني أجد ما ضاع لي، يذكرونه، لكن المسألة حكم شرعي، هل يرجع أو لا يرجع؟ على الملتقط أن يرعى المصلحة لأخيه، يرعى المصلحة لأخيه.

بسم الله الرحمن الرحيم

# تفسير القرطبي

# سورة يوسف

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

| | | | |
|---|---|---|---|
| **تاريخ المحاضرة:** | **١٤٣١/١١/١٨هـ** | **المكان:** | |

**"بسم الله الرحمن الرحيم.**

**الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه والتابعين، قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى-:**

**"قوله -تعالى-: {قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ} [يوسف: ١٣] في موضع رفع، أي ذهابكم به. أخبر عن حزنه لغيبته".**

المصدر، المصدر المنسبك من أن وما دخلت عليه في محل رفع فاعل، فاعل حزن الذهاب.

**"{وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ} [يوسف: ١٣]، وذلك أنه رأى في منامه أن الذئب شد على يوسف، فلذلك خافه عليه، قاله الكلبي. وقيل: إنه رأى في منامه كأنه على ذروة جبل، وكأن يوسف في بطن الوادي، فإذا عشرة من الذئاب قد احتوشته تريد أكله، فدرأ عنه واحد، ثم انشقت الأرض فتوارى يوسف فيها ثلاثة أيام، فكانت العشرة إخوته لما تمالؤوا على قتله، والذي دافع عنه أخوه الأكبر يهوذا، وتواريه في الأرض هو مقامه في الجب ثلاثة أيام.**

**وقيل: إنما قال ذلك لخوفه منهم عليه، وأنه أرادهم بالذئب، فخوفه إنما كان من قتلهم له، فكنى عنهم بالذئب مساترة لهم، قال ابن عباس: فسماهم ذئابًا. وقيل: ما خافهم عليه، ولو خافهم لما أرسله معهم، وإنما خاف الذئب؛ لأنه أغلب ما يخاف في الصحارى. والذئب مأخوذ من تذاءبت الريح إذا جاءت من كل وجه، كذا قال أحمد بن يحيى، قال: والذئب مهموز؛ لأنه يجئ من كل وجه. وروى ورش عن نافع (الذيب) [يوسف: ١٣] بغير همز، لما كانت الهمزة ساكنة وقبلها كسرة فخففها صارت ياء.**

**{وَأَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ} أي مشغلون بالرعي".**

يعقوب -عليه السلام- إنما خاف على يوسف من الذئب، وهل مراده الذئب الحقيقي أو كنى بالذئب عن إخوته؟

الله أعلم، لكن المراد فيما يظهر حقيقة الذئب؛ لأنه أخوف ما يخاف في البراري، يؤيد هذا أنه لو خافهم عليه ما أرسله معهم، ومثل هذا، ومثل هذا الاحتياط الشديد فيما يقوله بعض المفسرين هو الذي ألقمهم الحجة حيث جاؤوا فيما بعد قالوا: { إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ } [يوسف: ١٧]، { فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ } [يوسف: ١٧]، فلقنهم الحجة من غير قصد، وذلك من شدة خوفه على ولده وحرصه عليهم.

وأما الذئب يقول: مأخوذ من تذاءبت الريح إذا جاءت من كل وجه، تذاءبت الريح، يعني الذئب اسم، والأصل في الأسماء.

**طالب: .....**

نعم، وأخذها من الأفعال خلاف الأصل، أخذ الاسم الجامد من الفعل هذا خلاف الأصل؛ لأن الأصل أن الفعل يؤخذ من المصدر، فالمصدر أصل المشتقات كلها، أصل الفعل وأصل اسم الفاعل واسم المفعول وأفعل التفضيل وغيرها من المشتقات، فأصل الجميع المصدر، فلو قال: الذئب مأخوذ من إيش؟

مصدر تذاءب لكان له وجه، لكن اسم جامد يشتق من فعل، هذا خلاف الأصل، وخلاف القياس، وإن كان المذهب عند الكوفيين أن الأصل هو الفعل، لكن المرجح في هذا مذهب البصريين، ولهذا يقول ابن مالك -رحمه الله تعالى-:

..... وكونه أصلًا لهذين انتخب

وكونه أصلًا يعني المصدر، لهذين يعني الفعل والمشتق، أصلًا لهذين انتخب يعني اختير.

و{ الذِّئْبُ } [يوسف: ١٣] مهموز في قراءة الأكثر، روى ورش عن نافع **(الذيب)** [يوسف: ١٣] وهي قراءة الكسائي **(الذيب)** [يوسف: ١٣] بالياء دون همز، وقيل للكسائي: لمَ لا تهمز { الذِّئْبُ} [يوسف: ١٣]؟ فقال: أخاف أن يأكلني، لمَ لا تهمز { الذِّئْبُ } [يوسف: ١٣]؟ قال: أخاف أن يأكلني، فأجاب بجواب في مخرج له، وإن كان المراد بالهمز المسؤول عنه غير الهمز الذي أجيب به، الهمز همز الكلمة، والهمز الذي أجيب به، الهمز الذي هو بأحد أطرافه يهمز الذئب، فيوقظه إن كان نائمًا، فيتسبب في أكله.

**"قوله -تعالى-: {قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ} [يوسف: ١٤]، أي جماعة نرى الذئب ثم لا نرده عنه. {إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ} [يوسف: ١٤] أي في حفظنا أغنامنا، أي إذا كنا لا نقدر على دفع الذئب عن أخينا فنحن أعجز أن ندفعه عن أغنامنا. وقيل: {لَخَاسِرُونَ} [يوسف: ١٤] لجاهلون بحقه. وقيل: لعاجزون.**

**قوله -تعالى-: {فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ} [يوسف: ١٥]، {أَنْ} [يوسف: ١٥] في موضع نصب، أي على أن يجعلوه في غيابة الجب".**

أن يعني وما دخلت عليه في تأويل مصدر في محل نصب، والمصدر منصوب على نزع الخافض، وإلا فالأصل على أن يجعلوه أي: على أن يجعلوه، لما ذهبوا به، وأجمعوا على أن يجعلوه، فالفعل أجمع تعدى بنفسه أم بالحرف؟ تقول: أجمعت الأمة كذا أم على كذا؟

**طالب:** .....

بالحرف.

**"قيل في القصة: إن يعقوب -عليه السلام- لما أرسله معهم أخذ عليهم ميثاقًا غليظًا ليحفظنه، وسلمه إلى روبيل وقال: يا روبيل! إنه صغير، وتعلم يا بني شفقتي عليه، فإن جاع فأطعمه، وإن عطش فاسقه، وإن أعيا فاحمله ثم عجل برده إلي.**

قال: فأخذوا يحملونه على أكتافهم، لا يضعه واحد إلا رفعه آخر، ويعقوب يشيعهم ميلًا ثم رجع، فلما انقطع بصر أبيهم عنهم رماه الذي كان يحمله إلى الأرض حتى كاد ينكسر، فالتجأ إلى آخر فوجد عند كل واحد منهم أشد مما عند الآخر من الغيظ والعسف، فاستغاث بروبيل وقال: أنت أكبر إخوتي، والخليفة من بعد والدي علي، وأقرب الإخوة إلي، فارحمني وارحم ضعفي فلطمه لطمة شديدة وقال: لا قرابة بيني وبينك، فادع الأحد عشر كوكبًا فلتنجك منا، فعلم أن حقدهم من أجل رؤياه، فتعلق بأخيه يهوذا وقال: يا أخي! ارحم ضعفي وعجزي وحداثة سني، وارحم قلب أبيك يعقوب، فما أسرع ما تناسيتم وصيته ونقضتم عهده، فرق قلب يهوذا فقال: والله لا يصلون إليك أبدًا ما دمت حيًّا، ثم قال: يا إخوتاه! إن قتل النفس التي حرم الله من أعظم الخطايا، فردوا هذا الصبي إلى أبيه، ونعاهده ألا يحدث والده بشيء مما جرى أبدًا، فقال له إخوته: والله ما تريد إلا أن تكون لك المكانة عند يعقوب، والله لئن لم تدعه لنقتلنك معه، قال: فإن أبيتم إلا ذلك فهاهنا هذا الجب الموحش القفر، الذي هو مأوى الحيات والهوام فألقوه فيه، فإن أصيب بشيء من ذلك فهو المراد، وقد استرحتم من دمه، وإن انفلت على أيدي سيارة يذهبون به إلى أرض فهو المراد، فأجمع رأيهم على ذلك، فهو قول الله -تعالى-: {فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ} [يوسف: ١٥]، وجواب (لما) محذوف، أي فلما ذهبوا به وأجمعوا على طرحه في الجب عظمت فتنتهم.

وقيل: جواب (لما) قولهم: {قَالُوا يا أَبانا إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ} [يوسف: ١٧]. وقيل: التقدير فلما ذهبوا به من عند أبيهم، وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب جعلوه فيها، هذا على مذهب البصريين، وأما على قول الكوفيين فالجواب {أَوْحَيْنا} [يوسف: ١٥]، والواو مقحمة، والواو عندهم تزاد مع لما وحتى، قال الله -تعالى-: {حَتَّى إِذا جاؤُها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها} [الزمر: ٧٣] أي فتحت، وقوله: {حَتَّى إِذا جاءَ أَمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ} [هود: ٤٠] أي فار.

قال امرؤ القيس:

فلمـــا أجزنـــا ســـاحة الحـــي وانتحـــى ..... أي انتحى.

ومنه قوله -تعالى-: {فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنادَيْناهُ} [الصافات: ١٠٣- ١٠٤] أي ناديناه".

ما نقله عن، عن قصة يوسف وذهاب إخوته به وفعلهم ما فعلوا من إهانتهم بعد انقطاع نظر أبيهم لا يبعد أن يصنعوا به ما صنعوا؛ لأن الحقد والحسد والغيرة وصلت بهم إلى حد أرادوا قتله، وأجمعوا على ذلك لولا المشورة التي سمعوها من أخيهم، وغلبة ظنهم أنه يهلك في الجب، الذي يظهر أنهم لو غلب على ظنهم أنه ينجو ما جعلوه في الجب؛ لأنهم خرجوا به ليستريحوا منه،

الحسد وصل بهم إلى مبلغ هان عليهم ارتكاب قتل النفس، لكن توسط أخوهم يهوذا وقال: نلقيه في هذا الجب الذي هو موضع وموئل للحيات والعقارب التي قل أن ينجو منها من وقع فيها.

يقول: وجواب (لما) محذوف، أي فلما ذهبوا به وعزموا على طرحه في الجب عظمت فتنتهم، عظمت فتنتهم، هذا جواب (لما)، وقيل: جواب (لما) قولهم: {قالُوا يا أَبانا إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ} [يوسف: ١٧]، { فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ } [يوسف: ١٥]، {قالُوا يا أَبانا إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ} [يوسف: ١٧]، وقيل: التقدير: فلما ذهبوا به من عند أبيهم، وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب جعلوه فيها. يقول: هذا على مذهب البصريين، وأما على قول الكوفيين، فالجواب: {أَوْحَيْنا} [يوسف: ١٥].

ما الفرق بين مذهب البصريين والكوفيين في هذه المسألة؟

جواب (لما)؟ الفرق بين مذهب البصريين والكوفيين، لماذا لا يجوز قوله: { وَأَوْحَيْنَا } [يوسف: ١٥] جواب (لما) عند البصريين؟

**طالب:** .....

يعني لا بد أن يكون جواب (لما) عند البصريين مقدرًا، وعند الكوفيين، ظاهر؟ أو أن البصريين يمنعون دخول الواو في جواب (لما)؟ يمنعون دخول الواو في جواب (لما)، وعند الكوفيين يجوز، يجوز هذا على ما ذهب عليه مع أن الواو عنده كأنها مقحمة، يعني زائدة؛ كما في قوله: {حَتَّى إِذا جاؤُها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها} [الزمر: ٧٣]، يعني أبواب الجنة، وأما أبواب النار فليست فيها الواو.

**طالب: ما الحكمة يا شيخ؟**

ما الحكمة؟

**طالب: الحكمة أنه أبواب النار ما فيها الواو، وأبواب الجنة فيها الواو؟**

الجواب: منهم من يقول: إن الواو هذه واو الثمانية، واو الثمانية، تعرف واو الثمانية؟ واو الثمانية؟ يكون مدخولها ثامنًا، أو ثامن عدد، أو ما أشبه ذلك، { التَّائِبُونَ } [التوبة: ١٢].

اقرأ.

**طالب:** { التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ } **[التوبة: ١٢].**

{ وَالنَّاهُونَ } [التوبة: ١٢] هذا الثامن.

{ عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ } [التحريم: ٥].

**طالب:** { أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا } **[التحريم: ٥].**

{ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا } [التحريم: ٥]، ثامن.

وأبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة، لذا دخلت عليها الواو، صحيح أم ما هو صحيح؟

**طالب:** .....

لكنه شبه مطرد، الآن في هذه الآيات كلها دخلت على الثامن، فيه شيء يا هشام؟

**طالب:** .....

وأبواب النار ما تُفتح لأهلها؟ { وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا } [الزمر: ٧١]؟

**طالب:** .....

نعم؟

**طالب:** .....

يستفتح، يستفتح، ويفتح له باب الجنة، وأولئك مفتوحة من قبل؟

**طالب:** .....

أيضًا في سورة الكهف { وَثَامِنُهُمْ } [الكهف: ٢٢]، { ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ } [الكهف: ٢٢]، { خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ } [الكهف: ٢٢].

**طالب:** { سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ } **[الكهف: ٢٢].**

{ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ } [الكهف: ٢٢]، يعني إذا أمكن الجواب عن هذه فما يمكن الجواب عن غيرها؟

أجابوا عن آية التوبة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واحد.

**طالب:** .....

كيف؟

**طالب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

شيء واحد، هو شيء واحد، فليس هذا سابعًا وهذا ثامنًا، كلها سابع.

**طالب:** .....

صحيح، كونها شيئًا واحدًا، هذا أجاب به القرطبي فيما تقدم، لكن التي بعدها؟

**طالب:** .....

هو على كل حال؛ رد على الوجهين، رد على من يقول: إنها واو الثمانية دخلت على التاسع، وإن السابع والثامن شيء واحد هي دخلت على الثامن.

الواو هذه ماذا تعرفون عنها؟

**طالب:** .....

يا أشرف تعرف عنها شيئًا؟ هشام موجود، لكن ما قال شيئًا، ما قال شيئًا.

**طالب:** .....

نعم.

**طالب:** .....

المقصود أنها شبه مطردة في الثامن، يعني في الآيات المذكورة شبه مطردة، إما أن يكون مدخولها في الثامن في العدد، أو هو رقم ثمانية.

**طالب:** .....

بعد؟

**طالب:** .....

حتى هذا لا يعنينا من قبيل ولا من دبير، هذا ما يهمنا، لكن الكلام في لغتنا، منهم من قال: هذه واو الثمانية، مع أن هذا القول محكوم بضعفه عند أهل العلم، محكوم بضعفه.

**طالب: لأن واو { وَفُتِحَتْ } [الزمر: ٧٣].**

{ وَفُتِحَتْ } [الزمر: ٧٣]، وما معنا، وآية التوبة، وآية الكهف.

**طالب: هذا القول ضعيف؟**

وآية التحريم، هو عند أهل العلم ضعيف، القول بأن هذه الواو واو الثمانية، وأن كل ثامن لا بد أن تدخل عليه الواو.

**طالب: طيب كيف يجيبون؟ آية التوبة أجابوا عنها، طيب وآية التحريم؟**

وآية الكهف.

**طالب: وآية الكهف.**

ما سمعت جواب هشام عن آية التحريم؟ أعد أعد، سمع أشرف؟ ما سمع.

**طالب:** .....

بينما الأوصاف الأخرى تجتمع، فهمت؟ { عَسَى رَبُّهُ } [التحريم: ٥].

**طالب: لو قلنا: العطف للمغايرة.**

نعم، فهمت قصده أم ما فهمت؟

**طالب:** .....

طيب والذي قبلها، الأوصاف التي قبلها، الستة التي قبلها؟

**طالب: لا، كلها تجتمع.**

تجتمع نعم.

**طالب: طيب، وآية الكهف يا شيخ؟**

وآية الكهف، كيف نقول عنها؟ بمَ يُجاب عن آية الكهف؟

**طالب:** .....

تعرف مغني اللبيب؟ تعرفه؟

**طالب: أعرفه.**

راجع في حرف الواو هناك.

**طالب: لمن يا شيخ؟**

لمن؟ قلت تعرفه.

**طالب: قلت: لا أعرفه.**

لا تعرفه؟!

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أهم كتاب في النحو، هذا أهم كتاب، ومن لا يعرف المغني، فماذا يعرف من كتب النحو؟ هذا يغنيك عن كتب النحو كلها، اسمه: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، راجعه، فيه قواعد وضوابط ما يستغني عنها طالب علم.

**"وفي قوله: {وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ} [يوسف: ١٥] دليل على نبوته في ذلك الوقت. قال الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة: أعطاه الله النبوة وهو في الجب على حجر مرتفع عن الماء.**

**وقال الكلبي: ألقى في الجب وهو ابن ثماني عشرة سنة، فما كان صغيرًا، ومن قال كان صغيرًا فلا يبعد في العقل أن يتنبأ الصغير ويوحى إليه.**

**وقيل: كان وحى إلهام كقوله: {وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} [النحل: ٦٨].**

**وقيل: كان منامًا، والأول أظهر - والله أعلم - وأن جبريل جاءه بالوحي".**

**{أَوْحَيْنا إِلَيْهِ}** [يوسف: ١٥]، الوحي يطلق ويراد به الإلهام؛ كما في الآية التي ذكرها آية النحل، والوحي إلى مريم -عليها السلام-، وإلى أم موسى، هذا كله إلهام، وإن كان على قول من يقول بأن في النساء نبوة، وأن هناك ستًّا من النسوة من الأنبياء، ما يحمله على هذا، ما يقول: إلهام، لكن القول المعتمد عند أهل العلم: ليس في النساء نبي، وأن الوحي المذكور بالنسبة للنساء وحي إلهام، فإذا قلنا: إن يوسف -عليه السلام- كان صغيرًا لم يبلغ الحنث، فلا شك أنه إلهام؛ لأن النبوة لا تُعطى إلا مكتمل العقل، وهل ينبئ مثل ابن ثماني عشرة، أو النبوة لا بد أن تكون لمن بلغ الأربعين بلغ الأشد؟

**طالب: .....**

كيف؟

**طالب: .....**

حتى عند رفعه، عند رفعه.

**"قوله -تعالى-: {لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا} [يوسف: ١٥] فيه وجهان: أحدهما: أنه أوحى إليه أنه سيلقاهم ويوبخهم على ما صنعوا، فعلى هذا يكون الوحى بعد إلقائه في الجب تقوية لقلبه، وتبشير له بالسلامة.**

**الثاني: أنه أوحى إليه بالذي يصنعون به، فعلى هذا يكون الوحى قبل إلقائه في الجب إنذار له.**

**{وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} [يوسف: ١٥] أنك يوسف، وذلك أن الله -تعالى- أمره لما أفضى إليه الأمر".**

**{وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}** [يوسف: ١٥] أنه يوسف، هذا إذا أنذرهم ونبأهم فيما بعد في مصر، إذا جاءوا يمتارون من هناك يخبرهم بأمرهم، ولا يشعرون أنه يوسف، **{وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}** [يوسف: ١٥] أنك يوسف؛ لأنهم يجزمون، بل يغلب على ظنهم أن يوسف قد مات.

**طالب: .....**

هو من باب الأدب يقال: صلة، من باب الأدب يقال: صلة؛ لأن القرآن مبرأ من الزيادة والنقصان، هذا من حيث المعنى، لكن الحرف وإن كان زائدًا من حيث الإعراب إلا أنه من حيث المعنى لا بد أن يكون له فائدة.

**"وذلك أن الله -تعالى- أمره لما أفضى إليه الأمر بمصر ألا يخبر أباه وإخوته بمكانه.**

**وقيل: بوحي الله -تعالى- بالنبوة، قاله ابن عباس ومجاهد.**

**وقيل: (الهاء) ليعقوب، أوحى الله -تعالى- إليه ما فعلوه بيوسف، وأنه سيعرِّفهم بأمره، وهم لا يشعرون بما أوحى الله إليه، والله أعلم.**

**ومما ذكر من قصته؛ إذ ألقي في الجب- ما ذكره السدي وغيره- أن إخوته لما جعلوا يدلونه في البئر، تعلق بشفير البئر، فربطوا يديه ونزعوا قميصه، فقال: يا إخوتاه! ردوا علي قميصي أتوارى به في هذا الجب، فإن مت كان كفني، وإن عشت أواري به عورتي، فقالوا: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبًا فلتؤنسك وتكسك، فقال: إني لم أر شيئًا، فدلوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يسقط فيموت، فكان في البئر ماء فسقط فيه، ثم آوى إلى صخرة فقام عليها.**

**وقيل: إن شمعون هو الذي قطع الحبل إرادة أن يتفتت على الصخرة، وكان جبريل تحت ساق العرش، فأوحى الله إليه أن أدرك عبدي، قال جبريل: فأسرعت وهبطت حتى عارضته بين الرمي والوقوع، فأقعدته على الصخرة سالمًا. وكان ذلك الجب مأوى الهوام، فقام على الصخرة وجعل يبكي، فنادوه، فظن أنها رحمة عليه أدركتهم، فأجابهم، فأرادوا أن يرضخوه بالصخرة فمنعهم يهوذا، وكان يهوذا يأتيه بالطعام، فلما وقع عريانًا نزل جبريل إليه، وكان إبراهيم حين ألقي في النار عريانًا أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه، فكان ذلك عند إبراهيم، ثم ورثه إسحاق، ثم ورثه يعقوب، فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذة وجعله في عنقه، فكان لا يفارقه، فلما ألقي في الجب عريانًا أخرج جبريل ذلك القميص فألبسه إياه.**

**قال وهب: فلما قام على الصخرة قال: يا إخوتاه إن لكل ميت وصية، فاسمعوا وصيتي، قالوا: وما هي؟ قال: إذا اجتمعتم كلكم فأنس بعضكم بعضًا فاذكروا وحشتي، وإذا أكلتم فاذكروا**

**جوعي، وإذا شربتم فاذكروا عطشي، وإذا رأيتم غريبًا فاذكروا غربتي، وإذا رأيتم شابًا فاذكروا شبابي، فقال له جبريل: يا يوسف كف عن هذا واشتغل بالدعاء، فإن الدعاء عند الله بمكان، ثم علمه فقال: قل: اللهم يا مؤنس كل غريب، ويا صاحب كل وحيد، ويا ملجأ كل خائف، ويا كاشف كل كربة، ويا عالم كل نجوى، ويا منتهى كل شكوى، ويا حاضر كل ملإٍ، يا حيُّ يا قيومُ! أسألك أن تقذف رجاءك في قلبي، حتى لا يكون لي هم ولا شغل غيرك، وأن تجعل لي من أمري فرجًا ومخرجًا، إنك على كل شيء قدير، فقالت الملائكة: إلهنا! نسمع صوتًا ودعاء، والصوت صوت صبي، والدعاء دعاء نبي.**

**وقال الضحاك: نزل جبريل -عليه السلام- على يوسف وهو في الجب فقال له: ألا أعلمك كلمات إذا أنت قلتهن عجل الله لك خروجك من هذا الجب؟ فقال: نعم، فقال له: قل يا صانع كل مصنوع، ويا جابر كل كسير، ويا شاهد كل نجوى، ويا حاضر كل ملإٍ، يا مفرج كل كربة، ويا صاحب كل غريب، ويا مؤنس كل وحيد، ايتني بالفرج والرجاء، واقذف رجاءك في قلبي حتى لا أرجو أحدًا سواك، فرددها يوسف في ليلته مرارًا، فأخرجه الله في صبيحة يومه ذلك من الجب".**

هذا النقل وما اشتمل عليه من قصة يوسف في الجب مما تُلقي عن الإسرائيليات، لا يصدق ولا يكذب.

وأما القميص الذي نزل به جبريل من الجنة إلى إبراهيم لما جُرد، وإن جُرد من ثيابه عندما ألقوه في النار، أرادوا إلقاءه في النار جردوه، ولذلك مكافأةً له هو أول من يُكسى يوم القيامة قبل محمد- عليه الصلاة والسلام-، أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم -عليه السلام-، كونه جبريل نزل له بهذا القميص من الحرير حرير الجنة، وأنهم توارثوه إلى أن جاء دور يوسف، وجُعل في تعويذة وربط في عنقه.

على كل حال هذه كلها إسرائيليات تحتمل الصدق والكذب، ولا شك أن ما نزل من الجنة فيه شيء من البركة، وكونه يجعل في عنقه هذا أمر لا يستبعد.

فرجاء يوسف لإخوته أن يذكروه وأن لا ينسوه عند أكلهم وشربهم وجوعهم وعطشهم، هذا لا يستبعد مما جبل عليه البشر من أنه يسترحمهم ويسترقهم ويستعطفهم، لكن جبريل -عليه السلام- أرشده إلى ما هو أهم من ذلك، وأن يقطع العلائق بالمخلوقين، وأن يتعلق بالخالق الذي هو بيده نجاته، وجاء في الأثر أن جبريل عرض عليه -على إبراهيم- المساعدة -عليه السلام- حينما ألقي في النار، فقال: أترِيد المساعدة؟ فقال: أما منك فلا، وأما من الله فبلى، وهو من أولي العزم -عليه السلام-، فأرشد يوسف أن يشتغل بالدعاء، ويكف عن استعطاف إخوته، فأجاب الله دعاءه، فأخرجه الله في صبيحة يومه ذلك من الجب، وهناك قال: بعد ثلاث، تواريه في الأرض ومقامه في الجب ثلاثة أيام، وهنا يقول: فأخرجه الله في صبيحة ذلك اليوم من الجب، ألقوه في

الليل، وخرج صبيحة ذلك اليوم، فالله أعلم بمدة مقامه ولبثه، وليس في ذلك من الخبر ما تقوم به الحجة.

**"قوله -تعالى-: { وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ } [يوسف: ١٦] فيه مسألتان:**

**الأولى: قوله -تعالى-: { وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً } [يوسف: ١٦] أي ليلًا، وهو ظرف يكون في موضع الحال، وإنما جاءوا عشاء؛ ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة، ولذا قيل: لا تطلب الحاجة بالليل، فإن الحياء في العينين، ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار".**

لا تطلب الحاجة بالليل، فإن الحياء في العينين، وجاء عن ابن عباس بعدما عمي، جرب قوله: لا تطلبن من أعمى حاجة فإن الحياء في العينين، تجدون بعض العميان من أسهل الأمور عليهم أن يقول: لا، إذا طلب منه شيء، ما يرى الشخص الذي أمامه، فالمقصود بالأعمى الذي لا يرى شيئًا، ما هو الذي يبصر شيئًا ولو قل، ولو قل، فالاعتذار بالليل، والليل -على ما يقول العوام-، ماذا يقولون؟

**طالب: .....**

الليل؟

**طالب: .....**

لا، عيونه صغار، يعني ما يشوف، فالاعتذار بالليل هنا قال: إنه لا يجدي؛ لأن الظلام يحجب، والمسألة مفترضة قبل هذه الأنوار الكاشفة التي ساوت بين الليل والنهار في الإبصار، لا شك أن الذي لا يراك تعتذر منه سهل يقول لك: لا، ومثل الاعتذار بالليل أو من الأعمى، الاعتذار بالهاتف أحيانًا يسهل أن يقال: لا، لكن المواجهة صعبة. لا تطلبن من أحد شيئًا في الليل.

ولا تعتذر في النهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار، ما معنى هذا الكلام؟ يقول: أنت تعتذر بالليل وقت السكون وقت الهدوء وقت الراحة، البال صافي، وأقرب إلى السكينة، فيقبل عذرك، والله المستعان.

**"فروي أن يعقوب -عليه السلام- لما سمع بكاءهم قال: ما بكم؟ أجرى في الغنم شيء؟ قالوا: لا. قال: فأين يوسف؟ قالوا: ذهبنا نستبق فأكله الذئب، فبكى وصاح وقال: أين قميصه؟ على ما يأتي بيانه -إن شاء الله-.**

**وقال السدي وابن حبان: إنه لما قالوا: أكله الذئب خر مغشيًا عليه، فأفاضوا عليه الماء فلم يتحرك، وناداوه فلم يجب، قال وهب: ولقد وضع يهوذا يده على مخارج نفس يعقوب فلم يحس بنفس، ولم يتحرك له عرق، فقال لهم يهوذا: ويل لنا من ديان يوم الدين! ضيعنا أخانا، وقتلنا أبانا، فلم يفق يعقوب إلا ببرد السَّحَر، فأفاق ورأسه في حجر روبيل، فقال: يا روبيل! ألم آتمنك على ولدي؟ ألم أعهد إليك عهدًا؟ فقال: يا أبت كف عني بكاءك أخبرك، فكف يعقوب بكاءه فقال: يا أبت {إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ} [يوسف: ١٧].**

**الثانية: قال علماؤنا: هذه الآية دليل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله؛ لاحتمال أن يكون تصنعًا، فمن الخلق من يقدر على ذلك، ومنهم من لا يقدر. وقد قيل: إن الدمع المصنوع لا يخفى، كما قال حكيم:**

**إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى".**

نعم، البكاء لا يدل على الصدق، بعض الناس تسرع إليه الدمعة، وإن كان مبطلًا، حتى قال بعض القضاة: لا تصدق المدعي ولو جاء بعينه على كفه، لو جاء بعينه على كفه، وادعى أن زيدًا من الناس اقتلعها؛ لاحتمال أن يكون زيد المدعى عليه مخلوع العينين، ما تدري، يقول: لا تصدق حتى ترى بعينك، وتسمع البينات والدعاوى، وتنظر في القضية من كل وجه، بعض الناس يحسن صياغة الكلام فيصدق، ويبكي ويأتي بحركات تجعل الإنسان يستروح ويميل إلى تصديقه، لكن لا يُصدَّق حتى يأتي بالبينة.

**"قوله -تعالى-: { قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ } [يوسف: ١٧]، فيه سبع مسائل:**

**الأولى: قوله -تعالى-: {نَسْتَبِقُ} [يوسف: ١٧] نفتعل، من، المسابقة.**

**وقيل: أي ننتضل، وكذا في قراءة عبد الله (إنا ذهبنا ننتضل) [يوسف: ١٧]".**

ننتضل، بالضاد.

**"(إنا ذهبنا ننتضل) [يوسف: ١٧]، وهو نوع من المسابقة، قاله الزجاج.**

**وقال الأزهري: النضال في السهام، والرهان في الخيل، والمسابقة تجمعهما. قال القشيري أبو نصر: {نَسْتَبِقُ} [يوسف: ١٧] أي في الرمي، أو على الفرس، أو على الأقدام، والغرض من المسابقة على الأقدام تدريب النفس على العدو؛ لأنه الآلة في قتال العدو، ودفع الذئب عن الأغنام.**

**وقال السدي وابن حبان: {نَسْتَبِقُ} [يوسف: ١٧] نشتد جريًا لنرى أينا أسبق".**

هذا الأصل في الاستباق أنه على الأقدام، الأصل في الاستباق أنه على الأقدام، ثم نُقل إلى كل رهان، وما يُؤخذ في الاستباق يسمى سبقًا، ولو كان على غير الأقدام، بالسهام، بالخيل، بالإبل، يشمل هذا كله على ما سيأتي.

**"قال ابن العربي: المسابقة شرعة في الشريعة، وخصلة بديعة، وعون على الحرب، وقد فعلها- صلى الله عليه وسلم- بنفسه وبخيله، وسابق عائشة -رضي الله عنها- على قدميه فسبقها، فلما كبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سابقها فسبقته، فقال لها: «هذه بتلك».**

**قلت: وسابق سلمة بن الأكوع رجلًا لما رجعوا من ذي قرد إلى المدينة فسبقه سلمة، خرجه مسلم.**

**الثانية: وروى مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سابق بين الخيل التي قد أضمرت من الحفياء وكان أمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وأن عبد الله بن عمر كان ممن سابق بها، وهذا الحديث مع صحته في هذا الباب تضمن ثلاثة شروط، فلا تجوز المسابقة بدونها، وهي: أن المسافة لا بد أن تكون معلومة. الثاني: أن تكون الخيل متساوية الأحوال. الثالث: ألا يسابق المضمر مع غير المضمر في أمد واحد وغاية واحدة".**

لأنه -عليه الصلاة والسلام- غاير بينهما، غاير بين المضمرات وغير المضمرات، فجعل للمضمرات غاية ومسافة، وجعل لغير المضمرات مسافة هي أقل منها.

**طالب: .....**

مسجد بني زُريق أقرب من ثنية الوداع، فغير المضمرة، الشرط تقصد؟

**طالب: .....**

الثاني: أن تكون الخيل متساوية الأحوال. الثالث: ألا يسابق، هذا بالنسبة للتضمير في الأكل التجويع، أما متساوية الأحوال ففي العمر، لا يسابق صغير بكبير، غير ذلك من الأحوال.

**"والخيل التي يجب أن تضمر ويسابق عليها، وتقام هذه السُّنة فيها هي الخيل المعدة لجهاد العدو لا لقتال المسلمين في الفتن.**

**الثالثة: وأما المسابقة بالنضال والإبل، فروى مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: سافرنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فنزلنا منزلًا فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، وذكر الحديث. وخرج النسائي عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر». وثبت ذكر النصل من حديث ابن أبي ذئب عن نافع بن أبي نافع عن أبي هريرة، ذكره النسائي، وبه يقول فقهاء الحجاز والعراق.**

**وروى البخاري عن أنس قال: كان للنبي -صلى الله عليه وسلم- ناقة تسمى العضباء لا تسبق- قال حميد: أو لا تكاد تُسبق- فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه، فقال: «حق على الله ألا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه»".**

أما السبق وهو الجُعل الذي يجعل للسابق من المتسابقين في النصل، في الخف، في الحافر، في كل ما يعين على الجهاد، وألحق شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- مسائل العلم؛ لأن العلم طلبه جهاد، بل من أفضل القربات، ألحقه به شيخ الإسلام، فأجاز السبق فيه، وما عدا ذلك يبقى على المنع.

**طالب: يا شيخ أحسن الله إليك، جعل السبق في وسائل الجهاد الحديثة، السبق في الطائرات، أو في المقاتلات، أو ضرب البنادق والرشاشات.**

على كل حال باب الجهاد جاء فيه النص، والقياس أقول: أمره معروف عند أهل العلم.

**طالب: يعني يصلح مثل هذا؟**

يصلح، يصلح إذا رُؤيت المصلحة في ذلك، وإلا.

**"الرابعة: أجمع المسلمون على أن السبق لا يجوز على وجه الرهان إلا في الخف والحافر والنصل، قال الشافعي: ما عدا هذه الثلاثة فالسبق فيها قمار. وقد زاد أبو البُختري".**

أبو البَختري.

**"أبو البَختري القاضي".**

غياث بن إبراهيم النخعي، قاضٍ.

**"في حديث الخف والحافر والنصل «أو جناح» وهي لفظة وضعها للرشيد، فترك العلماء حديثه لذلك ولغيره من موضوعاته، فلا يكتب العلماء حديثه بحال".**

ذكره ابن حبان في المجروحين، ونسبه إلى الوضع، وهذه القصة مستفيضة عند العلماء أن الذي وضع «أو جناح» للرشيد أو للمأمون كما في بعض الروايات، هو القاضي أبو البختري، غياث بن إبراهيم النخعي، وإن شكك بعضهم في نسبة هذه الجملة إليه وهذه اللفظة إليه؛ لأنه قاضٍ من قضاة المسلمين مؤتمن على أرواحهم ودمائهم وأموالهم وفروجهم، كيف يؤتمن وهذا حاله؟ على كل حال؛ تحصل منه الزلة، وتحصل منه الهفوة، والناس ليسوا على مستوى واحد من الثقة والأمانة، والله المستعان.

**"وقد رُوي عن مالك أنه قال: لا سبق إلا في الخيل والرمي؛ لأنه قوة على أهل الحرب، قال: وسبق الخيل أحب إلينا من سبق الرمي. وظاهر الحديث يسوي بين السبق على النجب والسبق على الخيل. وقد منع بعض العلماء الرهان في كل شيء إلا في الخيل؛ لأنها التي كانت عادة العرب المراهنة عليها. وروي عن عطاء أن المراهنة في كل شيء".**

لكن النص يدل على الإبل، الخف، الحافر يشمل.

**"وروي عن عطاء أن المراهنة في كل شيء جائزة، وقد تُؤول قوله؛ لأن حمله على العموم في كل شيء يؤدي إلى إجازة القمار، وهو محرم باتفاق.**

**الخامسة: لا يجوز السبق في الخيل والإبل إلا في غاية معلومة وأمد معلوم، كما ذكرنا، وكذلك الرمي لا يجوز السبق فيه إلا بغاية معلومة ورشق معلوم، ونوع من الإصابة، مشترط خسقًا أو إصابة بغير شرط".**

خسقًا يعني إما أن ينفذ السهم وينفذ ما تراهنوا عليه، أو بدون خسق فيثبت فيه، الخسق والخزق النفوذ، نفوذ السهم.

**"والأسباق ثلاثة: سبق يعطيه الوالي أو الرجل غير الوالي من ماله متطوعًا، فيجعل للسابق شيئًا معلومًا، فمن سبق أخذه. وسبق يخرجه أحد المتسابقين دون صاحبه، فإن سبقه صاحبه أخذه، وإن سبق هو صاحبه أخذه".**

يعني إذا كان من جهة واحدة، إذا كان من جهة واحدة فلا قمار، القمار فيما لو كان من الجهتين.

"**وحسن أن يمضيه في الوجه الذي أخرجه له، ولا يرجع إلى ماله، وهذا مما لا خلاف فيه. والسبق الثالث: اختلف فيه، وهو أن يخرج كل واحد منهما شيئًا مثل ما يخرجه صاحبه، فأيهما سبق أحرز سبقه وسبق صاحبه، وهذا الوجه لا يجوز حتى يدخلا بينهما محللًا لا يأمنا أن يسبقهما، فإن سبق المحلل أحرز السبقين جميعًا وأخذهما وحده**".

يأتون بثالث، يأتون بثالث يسمونه المحلل، فإن سبقهما أخذ نصيب الاثنين.

"**وإن سبق أحد المتسابقين أحرز سبقه وأخذ سبق صاحبه، ولا شيء للمحلل فيه، ولا شيء عليه. وإن سبق الثاني منهما الثالث كان كمن لم يسبق واحد منهما.**

**وقال أبو علي بن خيران -من أصحاب الشافعي-: وحكم الفرس المحلل أن يكون مجهولًا جريه، وسمي محللًا؛ لأنه يحلل السبق للمتسابقين أو له**".

التحليل هنا أُجيز، وإن كان فيه شيء أو نوع من حيلة؛ لإباحة مثل هذا النوع من السبق الذي هو في الأصل قمار، هذا الرهان الذي يكون من الطرفين نوع من القمار لا يجوز إلا إذا أُدخل محلل، وهو الثالث، والمحلل الذي يحلل البائنة من زوجها؛ لكي تعود إلى زوجها فيه حيلة، ولم يجزه الشرع، بل لعن الرسول -عليه الصلاة والسلام- المحلل والمحلل له، وسماه التيس المستعار، هذه حيلة على تحليل محرم، وتلك حيلة على إيش؟ مثلها، ما الفرق بين المحلل في باب السبق والمحلل في باب الطلاق البائن؟

**طالب: يا شيخ.**

نعم.

**طالب: أن المحلل في باب السبق جائز، أقره الشرع، أما المحلل.**

فيه نص؟

**طالب: هذا كلام القرطبي.**

أقول: فيه نص؟

**طالب: ما قال نص، لكن قال: كلام العلماء.**

أقول: المسألة ما دام عريت عن النص، فما الفرق بين التحليل هنا والتحليل هناك؟

**طالب: .....**

نعم، وفي باب الأموال يتساهلون، الحنفية على العكس، الحنفية على العكس، تشديد في باب الأموال أكثر من الفروج، ولذا يقولون: إن القاضي إذا حكم لك بشيء وأنت تعرف كذب البينة، أن تعرف كذب البينة، جئت بشاهدي زور وحكم لك القاضي بأن هذه المرأة زوجتك حلت لك دون الأموال، فإنهم يحتاطون لها أكثر، هذا المعروف عندهم.

**طالب: .....**

ورد فيه النص باللعن، لماذا لا يلحق به مثل هذا؟

**طالب: .....**

يعني المحلل حينما دخل بهذه النية، بنية التحليل، تحليل الصورة، احتمال أن يفوز بالسبقين معًا، وليس معنى هذا أنه يريد أن يحلل فقط؛ كما في باب النكاح، مع أن بعض الحنفية يزعم أن المحلل مأجور؛ لأنه فاعل خير، مأجور ما فعل الخير، ماذا فعل؟

**طالب: والنص؟**

النص؟ خاطبهم هم، هذا كلامهم، يقول: إنه فاعل خير، ماذا فعل؟ وماذا صنع غير أنه أعاد امرأة إلى زوجها وحظيرة بيتها وأولادها فهو محتسب؟ لكن لا شك أن النص لا ينظر فيما عداه مما يخالفه بأي حال من الأحوال.

**طالب: .....**

قصده التحليل، ولو كان، ما دام قصده التحليل يدخل، قصده التحليل يدخل هو في النص، لكن هم ما يدخلون، هم ما يدخلون، وبعضهم يرى أن نكاح المحلل صحيح مع الإثم، وإلا لو لم يصح العقد ما سُمي محللًا؛ لأن المحلل معناه أنه جعل العقد حلالًا، أو جعل المرأة حلالًا لزوجها، جعلها حلالًا لزوجها، ولذا سُمي محللًا، والصواب أن العقد باطل.

**طالب: يا شيخ أحسن الله إليكم، نفهم من كلامكم أن الحنفية يجيزون المحلل في باب النكاح؟**

أين؟

**طالب: يجيزون المحلل في باب النكاح؟**

ليس كلهم، ليس كلهم، منهم من يقول: هو محتسب مأجور، محتسب مأجور، ما زاد على أن عاد المرأة إلى زوجها وأولادها وبيتها.

**طالب: لكن ما يقال: إن مذهب الأحناف؟**

لا، لا، لا تقل مذهب الأحناف.

**طالب: .....**

لعل الخبر ما ثبت عندهم أو ما بلغهم، مع النظر إلى المعنى، المعنى أن الرجل هذا يحتاج إلى من يحلل له زوجته، ويعيدها إلى أولاده، وقد تكون الخسارة كبيرة وفادحة على الأولاد من الضياع وغيره، فهو نظر إلى هذا المعنى، ولم ينظر إلى النص الصحيح الصريح في تحريمه.

**"واتفق العلماء على أنه إن لم يكن بينهما محلل، واشترط كل واحد من المتسابقين أنه إن سبق أخذ سبقه وسبق صاحبه أنه قمار، ولا يجوز".**

هذا يستعمل كثيرًا، يسمونه مراهنًا، يستعمل بين عامة الناس بكثرة، على أدنى شيء يتراهنون، يعني من ذبيحة، من تيس، بين الشباب، إن كان الصواب بجانب هذا غرم الآخر تيسًا، والثاني كذلك، هذا لا شك أنه قمار، هذا قمار.

**طالب: .....**

ولو سموه حقًّا، العبرة بالمعاني لا بالألفاظ، وقلب الباطل وتسميته باسم الحق مثل ما تُشرب الخمر في آخر الزمان وتسمى بغير اسمها.

**طالب: .....**

قصدك أن مسألة التحليل في مثل هذا لا يجوز؟

**طالب: .....**

هو المحلل في النكاح هل هو غانم أم غارم؟

**طالب: .....**

كيف غانم؟

**طالب: المرأة بلا تكلفة ولا شيء.**

هو تزوجها، ما له شيء، ولا هدف، ولا قصد، يمكن يكرهها أشد الكره، لكن من أجل أن تعود إلى زوجها، أما المحلل في السبق فهو غانم على احتمال أيضًا، على احتمال، ليس بغانم مطلقًا، هو ليس بربح مضمون، والله المستعان.

**طالب: .....**

في مسائل العلم، هذا شيخ الإسلام -رحمه الله- كأنه تسامح فيها للتشجيع على العلم.

**طالب: .....**

لأنها في اتباع شأن الإسلام والمسلمين؛ لأن الروم أهل كتاب.

**طالب: .....**

كلام شيخ الإسلام مطلق، يجعل فيه السبق، ولو من الطرفين للتشجيع على المسائل العلمية.

**"وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «من أدخل فرسًا بين فرسين وهو لا يأمن أن يسبق فليس بقمار، ومن أدخله وهو يأمن أن يسبق فهو قمار».**

**وفي الموطأ عن سعيد بن المسيب قال: ليس برهان الخيل بأس إذا دخل فيها محلل، فإن سبق أخذ السبق، وإن سُبق لم يكن عليه شيء، وبهذا قال الشافعي وجمهور أهل العلم. واختلف في ذلك قول مالك، فقال مرة: لا يجب المحلل في الخيل، ولا نأخذ فيه بقول سعيد، ثم قال: لا يجوز إلا بالمحلل، وهو الأجود من قوله.**

**السادسة: ولا يحمل على الخيل والإبل في المسابقة إلا محتلم، ولو ركبها أربابها كان أولى، وقد روي عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قال: لا يركب الخيل في السباق إلا أربابها.**

**وقال الشافعي: وأقل السبق أن يسبق بالهادي أو بعضه، أو بالكفل أو بعضه. والسبق من الرماة على هذا النحو عنده، وقول محمد بن الحسن في هذا الباب نحو قول الشافعي".**

لا يركب الخيل في السباق إلا أربابها؛ لأن السبق في هذا الباب فيه تدريب على فنون القتال، تدريب للخيل وتدريب لأربابها؛ لأن هذا الذي تؤجره ليركب هذا الخيل من أجل أن يسبق هو يعرف كيف يقودها ويحملها على أن تسبق غيرها، لكن هل هذا الشخص هو الذي يتولى ركوبها في القتال لو حصل؟

معروف أن السبق في هذا الباب إنما شُرع من أجل الاستعداد والإعداد للعدو، فهذا الشخص الذي استأجرته ليركب هذا الخيل، ليفوز بالسبق على غيره، هل هو الذي سوف يركبها في الجهاد؟

**طالب: .....**

غيره، ولذا جاء عن عمر -رضي الله عنه-: لا يركب الخيل في السباق إلا أربابها، لكي يتمرن أربابها كما تُمرن هي، والله المستعان.

**طالب: ... الجوائز نظير حفظ القرآن.**

هذا بالنسبة للتشجيع على حفظ القرآن وحفظ العلم، هذا الذي قاله شيخ الإسلام إن كان مجرد جُعل من بيت المال فهذا لا إشكال فيه، وإن كان أجرة فالخلاف معروف، **«وإن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله»**، هذا أمر سهل، لكن جعل هذا الجعل على الصلاة التي هي عبادة محضة، جعل الجعل على الصلاة، من صلى الفجر فله كذا، يعني من باب التشجيع للناس، يجوز أم ما يجوز؟

**طالب: .....**

كيف؟

**طالب: .....**

والجماعة واجبة، والجماعة واجبة، فهل يُجعل الجعل على الواجب بأصل الشرع؟ هو إن كان من بيت المال، وجعله إمام المسلمين من أجل حث الناس على ذلك؛ كما أنه يجعل العقوبة على من يتخلف، فلا بأس -إن شاء الله تعالى-.

**"السابعة: روي عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه سابق أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما-، فسبق رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وصلي أبو بكر وثلث عمر، ومعنى**

وصلي أبو بكر: يعني أن رأس فرسه كان عند صلا فرس رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والصلوان موضع العجز.

قوله -تعالى-: {وَتَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا} أي عند ثيابنا وأقمشتنا حارسا لها. {فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ} وذلك أنهم ما سمعوا أباهم يقول: {وَأَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ} أخذوا ذلك من فيه فتحرموا به؛ لأنه كان أظهر المخاوف عليه. {وَما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا} أي بمصدق. {وَلَوْ كُنَّا} أي وإن كنا، قاله المبرد وابن إسحاق. {صادِقِينَ} في قولنا، ولم يصدقهم يعقوب لما ظهر له منهم من قوة التهمة وكثرة الأدلة على خلاف ما قالوه على ما يأتي بيانه.

وقيل: {وَلَوْ كُنَّا صادِقِينَ} أي ولو كنا عندك من أهل الثقة والصدق ما صدقتنا، ولاتهمتنا في هذه القضية؛ لشدة محبتك في يوسف، قال معناه الطبري والزجاج وغيرهما".

بسم الله الرحمن الرحيم

# تفسير القرطبي

# سورة يوسف

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

| | | | |
|---|---|---|---|
| **تاريخ المحاضرة:** | **١٤٣١/١١/١٨هـ** | **المكان:** | |

**"قضى بجانب الترجيح، وهي قوة التهمة، ولا خلاف بالحكم بها، قاله بن العربي.**

**قوله -تعالى-: {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} [يوسف: ١٨]".**

ابن القيم، ابن القيم -رحمه الله- في الطرق الحكمية نصر الحكم بالأمارات والعلامات والقرائن، ولم يقصر الحكم على البينات التي هي الشهود، بل توسع في قبول البينات الأخرى غير الشهود، وهذا منها، حكم عليهم بالكذب؛ لأنه رأى من الأمارات والقرائن ما يدل على كذبهم، وإلا؛ فالأصل أن قولهم لا معارض لهم، وهم جمع، والله المستعان.

**"فيه ثلاث مسائل:**

**الأولى: رُوي أن يعقوب لما قالوا له: {فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ} [يوسف: ١٧] قال لهم: ألم يترك الذئب له عضوًا فتأتوني به أستأنس به؟! ألم يترك لي ثوبًا أشم فيه رائحته؟ قالوا: بلى! هذا قميصه ملطوخ بدمه، فذلك قوله -تعالى-: {وَجاؤُ عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} [يوسف: ١٨]'، فبكى يعقوب عند ذلك وقال لبنيه: أروني قميصه، فأروه فشمه وقبله، ثم جعل يقلبه فلا يرى فيه شقًّا ولا تمزيقًا، فقال: والله الذي لا إله إلا هو ما رأيت كاليوم ذئبًا أحكم منه، أكل ابني واختلسه من قميصه ولم يمزقه عليه، وعلم أن الأمر ليس كما قالوا، وأن الذئب لم يأكله، فأعرض عنهم كالمغضب باكيًا حزينًا وقال: يا معشر ولدي! دلوني على ولدي، فإن كان حيًّا رددته إليّ، وإن كان ميتًا كفنته ودفنته، فقيل قالوا حينئذ: ألم تروا إلى أبينا كيف يكذبنا في مقالتنا؟! تعالوا نخرجه من الجب ونقطعه عضوًا عضوًا، ونأت أبانا بأحد أعضائه فيصدقنا في مقالتنا ويقطع يأسه، فقال يهوذا: والله لئن فعلتم لأكونن لكم عدوًا ما بقيت، ولأخبرن أباكم بسوء صنيعكم، قالوا: فإذا منعتنا من هذا فتعالوا نصطد له ذئبًا، قال: فاصطادوا ذئبًا ولطخوه بالدم، وأوثقوه بالحبال، ثم جاءوا به يعقوب وقالوا: يا أبانا! إن هذا الذئب الذي يحل بأغنامنا ويفترسها، ولعله الذي أفجعنا بأخينا لا نشك فيه، وهذا دمه عليه، فقال يعقوب: أطلقوه، فأطلقوه، وتبصبص له الذئب، فأقبل يدنو منه ويعقوب يقول له: ادن ادن، حتى ألصق خده بخده فقال له يعقوب: أيها الذئب! لمَ فجعتني بولدي، وأورثتني حزنًا طويلًا؟! ثم قال: اللهم أنطقه، فأنطقه الله -تعالى- فقال: والذي اصطفاك نبيًّا، ما أكلت لحمه، ولا مزقت جلده، ولا نتفت شعرة من شعراته، ووالله! ما لي بولدك عهد، وإنما أنا ذئب غريب أقبلت من نواحي مصر في طلب أخ لي فُقِد، فلا أدري أحي هو أم ميت؟".**

سبحان الله! هذا ذئب يبحث عن أخيه، وهؤلاء أضاعوا أخاهم.

**"فاصطادني أولادك وأوثقوني، وإن لحوم الأنبياء حرمت علينا وعلى جميع الوحوش، وتالله! لا أقمت في بلاد يكذب فيها أولاد الأنبياء على الوحوش، فأطلقه يعقوب وقال: والله لقد أتيتم بالحجة على أنفسكم، هذا ذئب بهيم خرج يتبع ذمام أخيه، وأنتم ضيعتم أخاكم، وقد علمت أن**

**الذئب برئ مما جئتم به. {بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ} [يوسف: ١٨] أي زينت. {لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً} [يوسف: ١٨] غير ما تصفون وتذكرون. ثم قال توطئة لنفسه: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} [يوسف: ١٨] وهي: الثانية".**

**طالب: .....**

لا شك أن البهائم تحس، أقول: لها إحساس، ولها ملكات مدركة تميز بها ما ينفعها وما يضرها، تدرك به أن الولد محنون عليه، محنون عليه، وأن الذئب مهروب منه، وأن الذبح مكروه، وأن العلف مطلوب، لها ذلك لكن، ليست بمنزلة الإنسان في الإحساس، ولا شك أن منزلتها دون الإنسان سواء كان من حيث الحكم الشرعي، يحرم تجويعها، ويحرم إماتتها عطشًا أو جوعًا، ورتب الأجر والثواب على سقيها ورفع جوعها، لكن ليست بمنزلة بني آدم.

**طالب: .....**

يعني مثل الحربي، مثل الشخص الكافر الحربي إذا عطش يسقى أم يترك يموت جوعًا؟ يسقى الحربي أم يترك يموت جوعًا؟

الرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: «في كل كبد رطبة أجر»، ولا يمنع من إسقائه الماء ثم القتل، تنفيذ الحكم الشرعي فيه، لكن لو ارتكب ما يوجب القصاص في الحرم، وقلنا: إنه لا يجوز الاقتصاص فيه، وتُرك حتى يجوع ويعطش، لكي يخرج من الحرم، ثم يقام عليه الحد، هذه وسيلة للضغط عليه وإخراجه، والله المستعان.

**"الثانية: قال الزجاج: أي فشأني والذي اعتقده صبر جميل.**

**وقال قطرب: أي فصبري صبر جميل.**

**وقيل: أي فصبر جميل أولى بي، فهو مبتدأ وخبره محذوف. ويروى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سئل عن الصبر الجميل، فقال: «هو الذي لا شكوى معه». وسيأتي له مزيد بيان آخر السورة -إن شاء الله-.**

**قال أبو حاتم: قرأ عيسى بن عمر فيما زعم سهل بن يوسف (فصبرًا جميلًا) [يوسف: ١٨] قال: وكذا قرأ الأشهب العقيلي، قال: وكذا في مصحف أنس وأبي صالح. قال المبرد: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} [يوسف: ١٨] بالرفع أولى من النصب؛ لأن المعنى: قال رب عندي صبر جميل، قال: وإنما النصب على المصدر، أي فلأصبرن صبرًا جميلًا، قال:**

**شكا إلي جملي طول السرى صبرًا جميلًا فكلانا مبتلى**

**والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى.**

**وقيل: المعنى لا أعاشركم على كآبة الوجه وعبوس الجبين، بل أعاشركم على ما كنت عليه معكم، وفي هذا ما يدل على أنه عفا عن مؤاخذتهم. وعن حبيب بن أبي ثابت أن يعقوب كان**

**قد سقط حاجباه على عينيه، فكان يرفعهما بخرقة، فقيل له: ما هذا؟ قال: طول الزمان وكثرة الأحزان، فأوحى الله إليه أتشكوني يا يعقوب؟! قال: يا رب! خطيئة أخطأتها فاغفر لي. {وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ} [يوسف: ١٨] ابتداء وخبر. {عَلى ما تَصِفُونَ} [يوسف: ١٨] أي على احتمال ما تصفون من الكذب.**

**الثالثة: قال ابن أبى رفاعة ينبغي لأهل الرأى أن يتهموا رأيهم عند ظن يعقوب -صلى الله عليه وسلم- وهو نبى، حين قال له بنوه: {إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ} [يوسف: ١٧]، قال: {بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} [يوسف: ١٨]، فأصاب هنا، ثم قالوا له: {إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَما شَهِدْنا إِلَّا بِما عَلِمْنا وَما كُنَّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ} [يوسف: ٨١] قال: {بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً} [يوسف: ٨٣] فلم يصب".**

وما الفرق بين الموقفين؟ لما قالوا له: {إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ} [يوسف: ١٧]، قال: {بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} [يوسف: ١٨]، فأصاب، في الموضع الثاني ما أصاب؟

**طالب: .....**

في الأولى ظهر له كذبهم فأصاب في ما غلب عليه ظنه وفيما وصل إليه، وفي الثانية قالوا: {إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَما شَهِدْنا إِلَّا بِما عَلِمْنا } [يوسف: ٨١]؛ لأنهم أصابوا هم، عندما حكموا عليه بما ظهر، {إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ ..... وَما كُنَّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ} [يوسف: ٨١]، قال: {بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ } [يوسف: ١٨]، جوابه واحد، جوابه واحد فيما أصاب فيه وأخطأوا، وفيما أصابوا فيه، جوابه واحد، فلم يصب، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**طالب: .....**

ماذا؟

**طالب: .....**

الإخبار بالواقع، الإخبار بالواقع من غير تسخط ولا، لا بأس به، النبي -عليه الصلاة والسلام- أخبر بما يعانيه من مرض، لكن مع ذلك لا ينبغي أن يتسخط، ولا أن يشكو إلى الناس.

بسم الله الرحمن الرحيم

# تفسير القرطبي

# سورة يوسف

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

| | | | |
|---|---|---|---|
| **تاريخ المحاضرة:** | **١٤٣١/١١/١٨هـ** | **المكان:** | |

**"بسم الله الرحمن الرحيم.**

**الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى-:**

**"قوله -تعالى-: {وَجاءَتْ سَيَّارَةٌ} [يوسف: ١٩] أي رفقة مارة يسيرون من الشام إلى مصر فأخطئوا الطريق وهاموا حتى نزلوا قريبًا من الجب، وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران، وإنما هو للرعاة والمجتاز، وكان ماؤها ملحًا فعذب حين ألقي فيه يوسف".**

السيارة القوم والرفقة الذين يسيرون، يسيرون فأُخذ منهم هذا الوصف على البناء للمبالغة، الواحد سيار، فعّال صيغة مبالغة لكثرة سيره، ومنه السيارة للجمع، ، وأما إطلاق السيارة على الواحدة، فالهاء هاء تأنيث، هاء تأنيث، وتلك هاء تأنيث، لكنها تأنيث الجماعة، تأنيث الجماعة، وهذا تأنيث الوحدة، معروف أن جمع التكسير يعامل معاملة المؤنث إن قصد به الجماعة، ويعامل معاملة المذكر إن قصد به الجمع، فتقول: قام الرجال، وقامت الرجال، قام الرجال، وقامت الرجال، إن قصدت الجمع قلت: قام الرجال، وإن قصدت الجماعة قلت: قامت الرجال، ولذا جاء: {وَجاءَتْ سَيَّارَةٌ} [يوسف: ١٩]، وعوملوا معاملة الجمع في قوله: "{فَأَرْسَلُوا} [يوسف: ١٩]، ما قال: فأرسلت واردها، قال: "{فَأَرْسَلُوا وارِدَهُمْ} [يوسف: ١٩]، معاملةً لهذا اللفظ على أن المراد به الجمع، وأما قوله: {وَجاءَتْ} [يوسف: ١٩]، فالمراد به الجماعة، والجماعة والجمع بمعنى.

وكان ماؤها ملحًا، ماء هذا الجب ملح، فعذب حين ألقي فيه يوسف، هذا يحتاج إلى نقل، وليس ببعيد، أقول: لا يستبعد، بل هو قريب جدًّا أن الله -سبحانه وتعالى- يغير طبيعة هذا الماء؛ لحاجة صفيه يوسف الكريم بن الكريم بن الكريم؛ لحاجته إلى ذلك، وهذا أيضًا من باب الكرامة.

**"{فَأَرْسَلُوا وارِدَهُمْ} [يوسف: ١٩] فذكَّر على المعنى، ولو قال: فأرسلت واردها لكان على اللفظ، مثل {وَجاءَتْ} [يوسف: ١٩]. والوارد الذي يرد الماء يستقي للقوم، وكان اسمه -فيما ذكر المفسرون- مالك بن دعر، من العرب العاربة. {فَأَدْلى دَلْوَهُ} [يوسف: ١٩] أي أرسله، يقال: أدلى دلوه إذا أرسلها ليملأها، ودلّاها أي أخرجها، وعن الأصمعي وغيره: ودَلَا -من ذات الواو- يدلو دلوًا، أي جذب وأخرج، وكذلك أدلى إذا أرسل، فلما ثقل ردوه إلى الياء؛ لأنها أخف من الواو، قاله الكوفيون.**

**وقال الخليل وسيبويه: لما جاوز ثلاثة أحرف رجع إلى الياء، اتباعًا للمستقبل".**

اتباعًا للمستقبل الذي هو إيش؟ المضارع.

**"وجمع دلو في أقل العدد أدل، فإذا كثرت قلت: دُلِي ودِلِي، فقلبت الواو ياءً، إلا أن الجمع بابه التغيير، وليفرق بين الواحد والجمع، ودلاء أيضًا، فتعلق يوسف بالحبل، فلما خرج إذا غلام**

**كالقمر ليلة البدر، أحسن ما يكون من الغلمان. قال -صلى الله عليه وسلم- في حديث الإسراء من صحيح مسلم: «فإذا أنا بيوسف إذا هو قد أعطي شطر الحسن»".**

أعطي يوسف -عليه السلام- شطر الحسن، يعني ولباقي الخلق الشطر الثاني، كذا؟ يعني أعطي يوسف نصف الحسن، ولباقي الخلق النصف الثاني، يعني هذا ظاهر من اللفظ؟ ألا يمكن أن يجتمع الحسن في شخص واحد؟ ولذا نقول: هل يوسف أجمل من الرسول -عليه الصلاة والسلام-؟

إذا كان يوسف قد أُعطي شطر الحسن بالنسبة للخلق كلهم، والنصف الثاني للخلق أجمعين، لا شك أنه أجمع، لكن جاء في وصفه -عليه الصلاة والسلام- أنه أحسن الناس وجهًا، وأجملهم وأكملهم، فهل يقتضي كونه أعطي شطر الحسن أن يكون أجمل الناس كلهم، وأنه في كفة والناس كلهم في كفة، أو لا يمنع أن يكون، أن يوجد من قد أعطي الحسن كله؟ لكنه كونه مُدح بهذه الصفة، وخصها النبي -عليه الصلاة والسلام- ليلة الإسراء، يدل على أنه متميز، على أنه متميز بالجمال.

ولا يمنع من أن يكون أكمل من بعض الناس في هذه الصفة أن يكون أفضل منهم مطلقًا؛ لأن التفضيل من وجه أو في صفة لا يقتضي التفضيل المطلق، وهذا تقدم مرارًا، كون إبراهيم -عليه السلام- أول من يكسى يوم القيامة قبل النبي -عليه الصلاة والسلام- لا يعني أنه أفضل من محمد، كون موسى -عليه السلام- حينما يبعث النبي -عليه الصلاة والسلام-، موسى واقف قائم أو آخذ بقائمة العرش، ولذا يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: **«لا أدري هل بُعث قبلي أم جوزي بصعقة الطور»**، ولا يعني هذا أنه أفضل من محمد -عليه الصلاة والسلام-، وكون يوسف في هذا الباب أجمل من غيره لا يعني أنه أفضل من غيره لا سيما وأن الكمال الجبلي لا يُمدح به الإنسان، بل المدح في الصفات الاختيارية، ولذا يعرفون المدح بأنه: الثناء على الممدوح، كيف؟ نعم، بصفاته الاختيارية لا بالصفات الاضطرارية.

يعني هل تفضل شخص زيد على عمرو بأنه أبيض منه أو أطول؟ لا، فلا يُمدح -كما يقولون- ببياض الخد ولا بإيش؟

**طالب: .....**

بطول القد، الشيء الإجباري لا يُمدح به؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- هو الذي ركبه فيه.

**طالب: .....**

لكن الرسول ليلة الإسراء قال هذا الكلام: **«فإذا أنا بيوسف إذا هو قد أُعطي شطر الحسن»**، وسيأتي ما يدل على أنه على صورة آدم حينما خلقه الله -سبحانه وتعالى- بيده، وأسكنه جنته قبل المعصية.

**طالب: .....**

الشطر إذا أطلق فالمراد به النصف، الشطر إذا أطلق فالمراد به النصف.

**"وقال كعب الأحبار: كان يوسف حسن الوجه، جعد الشعر، ضخم العينين، مستوي الخلق، أبيض اللون، غليظ الساعدين والعضدين، خميص البطن، صغير السرة، إذا ابتسم رأيت النور من ضواحكه، وإذا تكلم رأيت في كلامه شعاع الشمس من ثناياه، لا يستطيع أحد وصفه، وكان حسنه كضوء النهار عند الليل، وكان يشبه آدم -عليه السلام- يوم خلقه الله ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية، وقيل: إنه ورث ذلك الجمال من جدته سارة، وكانت قد أعطيت سدس الحسن".**

الوارث إنما يرث بعض ما يتركه الموروث، وهنا ورث ثلاثة أضعافه، نعم أعطيت سدس الحسن، فورث عنها النصف -نصف الحسن-، وهذا لا يثبت مثل هذا، كونها تعطى سدس الحسن، ويرث عنها، والعادة جرت بأن الوارث أقل من الموروث، الوارث أقل من الموروث، فمثل هذا منكر.

**"فلما رآه مالك بن دعر قال: {يا بُشْرى هذا غُلامٌ} [يوسف: ١٩]، وهذه قراءة أهل المدينة وأهل البصرة، إلا ابن أبي إسحاق فإنه قرأ (يا بُشْري هذا غُلامٌ}) [يوسف: ١٩] فقلب الألف ياء؛ لأن هذه الياء يكسر ما قبلها، فلما لم يجز كسر الألف كان قلبها عوضًا. وقرأ أهل الكوفة (يا بُشْرى) [يوسف: ١٩] غير مضاف، وفي معناه قولان: أحدهما: اسم الغلام، والثاني: معناه يا أيتها البشرى هذا حينك وأوانك. قال قتادة والسدي: لما أدلى المدلى دلوه تعلق بها يوسف فقال: يا بشرى هذا غلام".**

نداء، نداء من لا يصلح للنداء، نداء من لا يصلح للنداء، {يَاأَسَفَى} [يوسف: ٨٤]، ومثل {يَابُشْرَى} [يوسف: ١٩]، أقول: لا بد من تقدير ما يصلح للنداء؛ كأنه قال: يا قوم هذه بشرى، أو يا قوم إليكم البشرى، البشارة بما وقع أو ما وقف عليه من هذا الغلام الجميل.

**"قال قتادة: بشر أصحابه بأنه وجد عبدًا. وقال السدي: نادى رجلًا اسمه بشرى".**

نادى رجلًا اسمه بشرى، هذا مثل من يقول: إن لهم أخًا اسمه نكتل، مثله، هو مجرد ما دخلت عليه يا النداء، قالوا: إنه يصلح للنداء، إذًا؛ هو رجل اسمه بشرى، وليس المعنى كذلك، إنما هو يبشر أصحابه وقومه بما وجد.

**"قال النحاس: قول قتادة أولى؛ لأنه لم يأت في القرآن تسمية أحد إلا يسيرًا، وإنما يأتي بالكناية".**

كيف يذكر اسمه وينص عليه؟ القرآن لم يسم فيه إلا النفر اليسير، ولذا من مناقب زيد، زيد بن حارثة، زيد بن حارثة، تسميته في القرآن، {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ} [الأحزاب: ٣٧]، سُمي غيره؟ القرآن ما سمى غيره إلا بعض الملائكة وبعض الأنبياء، والمشاهير من العصاة.

**"كما قال عز وجل: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ} [الفرقان: ٢٧] وهو عقبة بن أبي معيط، وبعده {لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا} [الفرقان: ٢٨] وهو أمية بن خلف، قاله النحاس. والمعنى في نداء البشرى: التبشير لمن حضر، وهو أوكد من قولك: تبشرت، كما تقول: يا عجباه! أي يا عجب هذا من أيامك ومن آياتك، فاحضر، وهذا مذهب سيبويه، وكذا قال السهيلي.**

**وقيل: هو كما تقول: واسروراه! وأن البشرى مصدر من الاستبشار: وهذا أصح؛ لأنه لو كان اسمًا علمًا لم يكن مضافًا إلى ضمير المتكلم، وعلى هذا يكون {بُشْرى} [يوسف: ١٩] في موضع نصب؛ لأنه نداء مضاف، ومعنى النداء هاهنا التنبيه، أي انتبهوا لفرحتي وسروري، وعلى قول السدي يكون في موضع رفع كما تقول: يا زيد هذا غلام".**

قول السدي الذي تقدم وأن {بُشْرى} [يوسف: ١٩] اسم رجل.

**"ويجوز أن يكون محله نصبًا كقولك: يا رجلًا، وقوله: {يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ} [يس: ٣٠]، ولكنه لم ينون {بشرى} [يوسف: ١٩]؛ لأنه لا ينصرف".**

متى ينون المنادى؟

**طالب: .....**

إذا كان نكرة غير مقصودة، إذا كان نكرة غير مقصودة؛ كقول الأعمى: يا رجلًا خذ بيدي، هو ما يقصد أحد، لكن لو قصد رجلًا بعينه لقال: يا رجلُ.

**"{وَأَسَرُّوهُ بِضاعَةً} [يوسف: ١٩] الهاء كناية عن يوسف -عليه السلام-، فأما الواو فكناية عن إخوته. وقيل: عن التجار الذين اشتروه، وقيل: عن الوارد وأصحابه. {بِضاعَةً} [يوسف: ١٩] نصب على الحال. قال مجاهد: أسره مالك بن دعر وأصحابه من التجار الذين معهم في الرفقة، وقالوا لهم: هو بضاعة استبضعَناها بعض أهل الشام أو أهل هذا الماء إلى مصر، وإنما قالوا هذا خيفة الشركة. وقال ابن عباس: أسره إخوة يوسف بضاعة لما استخرج من الجب، وذلك أنهم جاءوا فقالوا: بئس ما صنعتم! هذا عبد لنا أبق، وقالوا ليوسف بالعبرانية: إما أن تقر لنا بالعبودية فنبيعك من هؤلاء، وإما أن نأخذك فنقتلك، فقال: أنا أقر لكم بالعبودية، فأقر لهم فباعوه منهم".**

خاطبوه والقوم يسمعون، لكن بغير لغتهم، خاطبوه بغير لغتهم، فما فهموا المقصود.

**"وقيل: إن يهوذا وصى أخاه يوسف بلسانهم أن اعترف لإخوتك بالعبودية، فإني أخشى إن لم تفعل قتلوك، فلعل الله أن يجعل لك مخرجًا، وتنجو من القتل".**

ولا شك أن العبودية والرق أسهل من القتل، أسهل من القتل.

**"فكتم يوسف شأنه؛ مخافة أن يقتله إخوته، فقال مالك: والله ما هذه سمة العبيد! قالوا: هو تربى في حجورنا، وتخلق بأخلاقنا، وتأدب بآدابنا، فقال: ما تقول يا غلام؟ فقال: صدقوا!**

**تربيت في حجورهم، وتخلقت بأخلاقهم، فقال مالك: إن بعتموه مني اشتريته منكم، فباعوه منه، فذلك قوله -تعالى-: {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَراهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} [يوسف: ٢٠]".**

جاء الوعيد الشديد في حق من باع حرًّا فأكل ثمنه، **«ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة»**، **«ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة»**، ومنهم **«رجلٌ باع حرًّا فأكل ثمنه»**، كأن هذه كبيرة من الكبائر -نسأل الله العافية-، وما فعلوه قبل ذلك من حسده ومحاولة قتله وتآمرهم ثم اتفاقهم على إلقائه في الجب، كل هذه -نسأل الله العافية- كبائر، لكنهم في النهاية تابوا، تابوا، واستغفر لهم أبوهم، وهو نبي من الأنبياء، والخلاف فيهم قد تقدم ذكره هل كانوا أنبياء أو لا؟

**طالب: يا شيخ، أحسن الله إليكم، في قولكم: استغفر لهم أبوهم، تعبير القرآن قال: {سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ} [يوسف: ٩٨].**

يعني أجَّله إلى وقت السَّحَر، إلى وقت السَّحَر، أجَّله إلى وقت السَّحَر، ما استغفر لهم في الحال؛ ليكون أدعى إلى الإجابة.

**طالب: ..........**

مثل المناجاة، مثل المناجاة، أقول: المعنى واحد، العلة واحدة.

**طالب: ..........**

ماذا فيه؟

**طالب: ..........**

بلى، هم عادوا، عادوا ما معنى باعوه؟ باعوه على هؤلاء السيارة.

**طالب: ..........**

كيف يبيعونه بثمن بخس؟

**طالب: ..........**

لا، من رآه عرف قيمته، لكن يأتي ما يوضحه -إن شاء الله-.

**"فيه ست مسائل: الأولى قوله -تعالى-: {وَشَرَوْهُ} [يوسف: ٢٠] يقال: شريت بمعنى اشتريت، وشريت بمعنى بعت لغة، قال الشاعر:**

**وشريت بردًا ليتني ... من بعد برد كنت هامه".**

يعني: بعته، بعت بردًا، وبرد غلام، شريت بردًا يعني بعته، ليتني من بعد برد كنت هامه، يعني ندم على بيعه هذا الغلام.

**"وقال آخر:**

**فلما شراها فاضت العين عبرة ... وفي الصدر حزاز من اللوم حامز".**

فلما شراها فاضت العين عبرة، ندم على الشراء أو ندم على البيع؟ ندم على البيع.

"**{بِثَمَنٍ بَخْسٍ} [يوسف: ٢٠] أي نقص، وهو هنا مصدر وضع موضع الاسم، أي باعوه بثمن مبخوس، أي منقوص. ولم يكن قصد إخوته ما يستفيدونه من ثمنه، وإنما كان قصدهم ما يستفيدونه من خلو وجه أبيهم عنه.**

**وقيل: إن يهوذا رأى من بعيد أن يوسف أخرج من الجب فأخبر إخوته فجاءوا وباعوه من الواردة.**

**وقيل: لا، بل عادوا بعد ثلاث إلى البئر يتعرفون الخبر، فرأوا أثر السيارة فاتبعوهم وقالوا: هذا عبدنا أبق منا فباعوه منهم.**

**وقال قتادة: {بَخْسٍ} [يوسف: ٢٠] ظلم.**

**وقال الضحاك ومقاتل والسدي وابن عطاء: {بَخْسٍ} [يوسف: ٢٠] حرام.**

**وقال ابن العربي: ولا وجه له، وإنما الإشارة فيه إلى أنه لم يستوفِ ثمنه بالقيمة؛ لأن إخوته إن كانوا باعوه فلم يكن قصدهم ما يستفيدونه من ثمنه، وإنما كان قصدهم ما يستفيدون من خلو وجه أبيهم عنه، وإن كان الذين باعوه الواردة فإنهم أخفوه مقتطعًا، أو قالوا لأصحابهم: أرسل معنا بضاعة فرأوا أنهم لم يُعطُوا عنه ثمنًا، وأن ما أخذوا فيه ربح كله.**

**قلت: قوله: وإنما الإشارة فيه إلى أنه لم يستوفِ ثمنه بالقيمة يدل على أنهم لو أخذوا القيمة فيه كاملة كان ذلك جائزًا، وليس كذلك، فدل على صحة ما قاله السدي وغيره؛ لأنهم أوقعوا البيع على نفسٍ لا يجوز بيعها".**

وأن معنى قوله: **{بَخْسٍ}** [يوسف: ٢٠] حرام، **{شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ}** [يوسف: ٢٠]، يعني حرامًا، لكن قوله: **{وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ}** [يوسف: ٢٠]، يدل على أن البخس القليل.

**"فلذلك كان لا يحل لهم ثمنه.**

**وقال عكرمة والشعبي: قليل. وقال ابن حبان: زيف. وعن ابن عباس وابن مسعود باعوه بعشرين درهمًا أخذ كل واحد من إخوته درهمين، وكانوا عشرة، وقاله قتادة والسدي. وقال أبو العالية ومقاتل: اثنين وعشرين درهمًا، وكانوا أحد عشر أخذ كل واحد درهمين، وقاله مجاهد. وقال عكرمة: أربعين درهمًا، وما روي عن الصحابة أولى. و{بَخْسٍ} [يوسف: ٢٠] من نعت {بِثَمَنٍ} [يوسف: ٢٠]. {دَرَاهِمَ} [يوسف: ٢٠] على البدل والتفسير له. ويقال: دراهيم على أنه جمع درهام، وقد يكون اسمًا للجمع عند سيبويه، ويكون أيضًا عنده على أنه مد الكسرة فصارت ياءً".**

إشباع، يكون إشباعًا، دراهم ودراهيم، إشباع للكسرة حتى نشأت منها الياء.

**"وليس هذا مثل مد المقصور؛ لأن مد المقصور لا يجوز عند البصريين في شعر ولا غيره. وأنشد النحويون:**

**تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراهيم تنقاد الصياريف**

**{مَعْدُودَةٍ} [يوسف: ٢٠] نعت، وهذا يدل على أن الأثمان كانت تجري عندهم عدًّا لا وزنًا بوزن.**

**وقيل: هو عبارة عن قلة الثمن؛ لأنها دراهم لم تبلغ أن توزن لقلتها، وذلك أنهم كانوا لا يزنون ما كان دون الأوقية، وهي أربعون درهمًا.**

**الثانية: قال القاضي ابن العربي: وأصل النقدين الوزن، قال -صلى الله عليه وسلم-: «لا تبيعوا الذهب بالذهب، ولا الفضة بالفضة إلا وزنًا بوزن، من زاد أو ازداد فقد أربى»".**

إذا بيعت بمثلها فلا بد أن تكون وزنًا بوزن، أما إذا بيعت بغير جنسها فيكفي العد، ويكفي الجزاف أيضًا؛ لأنه لا تشترط مماثلة، أما إذا بيعت بمثلها، بيعت الربويات بمثلها، لا بد من أن تستوفى بما اعتُبر شرعًا، إن كانت موزونة بالوزن، وإن كانت مكيلة فبالكيل.

**"والزنة لا فائدة فيها إلا المقدار، فأما عينها فلا منفعة فيه، ولكن جرى فيها العد تخفيفًا عن الخلق؛ لكثرة المعاملة، فيشق الوزن، حتى لو ضرب مثاقيل أو دراهم لجاز بيع بعضها ببعض عدًّا إذا لم يكن بها نقصان ولا رجحان".**

إذا كانت مستوية الوزن في الأصل، ضُرب دراهم ودنانير متساوية، وزن أصلها، ما يلزم أن تستبدل وتصرف بالميزان، يكفي العد بناءً على الضرب الأصلي، لكن لو كانت متفاوتة لا يجوز بيعها إلا وزنًا بوزن.

**"فإن نقصت عاد الأمر إلى الوزن، ولأجل ذلك كان كسرها أو قرضها من الفساد في الأرض حسب ما تقدم".**

تقدم في إيش؟ في سورة هود، هود قريبًا.

**"الثالثة: واختلف العلماء في الدراهم والدنانير هل تتعين أم لا؟ وقد اختلفت الرواية في ذلك عن مالك: فذهب أشهب إلى أن ذلك لا يتعين، وهو الظاهر من قول مالك، وبه قال أبو حنيفة. وذهب ابن القاسم إلى أنها تتعين، وحكي عن الكَرْخِي، وبه قال الشافعي. وفائدة الخلاف أنا إذا قلنا: لا تتعين فإذا قال: بعتك هذه الدنانير بهذه الدراهم تعلقت الدنانير".**

الكرخي هذا من أئمة الحنفية، كنيته؟

**طالب: .....**

لا، ما هو معروف، هذاك العابد غيره.

**طالب: .....**

لا.

**طالب: .....**

لا، لا. أبو الحسن، أبو الحسن الكرخي، يشتبه به كثيرًا ويُغلط به: أبو بكر الكرجي من أئمة الشافعية، ويوجد منسوبًا إليه بعض الأقوال، ويقال: مذهب الحنفية، والمراد به الشافعي.

**"وفائدة الخلاف أنا إذا قلنا: لا تتعين فإذا قال: بعتك هذه الدنانير بهذه الدراهم تعلقت الدنانير بذمة صاحبها، والدراهم بذمة صاحبها، ولو تعينت ثم تلفت لم يتعلق بذمتهما شيء، وبطل العقد كبيع الأعيان من العروض وغيرها.**

**الرابعة: روي عن الحسن بن علي -رضي الله عنهما- أنه قضى في اللقيط أنه حر، وقرأ: {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ} [يوسف: ٢٠]، وقد مضى القول فيه".**

وقرأ: **{وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ}** [يوسف: ٢٠]، متى يكون في الآية دليل على ما ذهب إليه؟ إذا كان معنى **{بَخْسٍ}** [يوسف: ٢٠] حرام.

**"الخامسة: قوله -تعالى-: {وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} [يوسف: ٢٠] قيل: المراد إخوته. وقيل: السيارة. وقيل: الواردة، وعلى أي تقدير فلم يكن عندهم غبيطًا، لا عند الإخوة؛ لأن المقصد زواله عن أبيه لا ماله، ولا عند السيارة لقول الإخوة: إنه عبد أبق منا- والزهد قلة الرغبة-".**

لأن السيارة؛ لأنه وُصف بالإباق، وهذا وصف يجعلهم يزهدون فيه، ولا يرغبون فيه الرغبة التامة؛ لأنه لو تملكه شخص لا يأمن أن يأبق بعد ذلك.

**"ولا عند الواردة؛ لأنهم خافوا اشتراك أصحابهم معهم، ورأوا أن القليل من ثمنه في الانفراد أولى.**

**السادسة: في هذه الآية دليل واضح على جواز شراء الشيء الخطير بالثمن اليسير، ويكون البيع لازمًا، ولهذا قال مالك: لو باع درة ذات خطر عظيم بدرهم، ثم قال: لم أعلم أنها درة وحسبتها مخشلبة لزمه البيع، ولم يلتفت إلى قوله.**

**وقيل: {وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} [يوسف: ٢٠] أي في حسنه؛ لأن الله -تعالى- وإن أعطى يوسف شطر الحسن صرف عنه دواعي نفوس القوم إليه إكرامًا له.**

**وقيل: {وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} [يوسف: ٢٠]".**

لأنه لا يلتفت إلى جمال الرجال إلا من كانت عنده طوية خبث، فصرف عنهم دواعي النفوس إكرامًا له وإجلالًا له.

يقول: في هذه الآية دليل واضح على جواز شراء الشيء الخطير بالثمن اليسير، ويكون البيع لازمًا، هذا على القول بعدم اعتبار خيار الغبن، وأن أمور الدنيا لو بيعت بأبخس الأثمان ما صار هناك غبن، وإنما التغابن متى؟ **{ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ}** [التغابن: ٩]، الدنيا كلها ما تساوي الغبن، كلها ما فيها غبن، لو باع ما يستحق ألفًا بريال ما غُبن؛ لأن الدنيا كلها ما تستحق شيئًا،

ما تعدل جناح بعوضة، كل الدنيا، فكيف يكون فيها غبن والجمهور على إثبات خيار الغبن، وقدره أكثره بالثلث فما زاد، والثلث كثير.

" وقيل: {وَكانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} [يوسف: ٢٠]، لم يعلموا منزلته عند الله -تعالى-. وحكى سيبويه والكسائي: زهِدتُ وزهَدتُ بكسر الهاء وفتحها.

قوله -تعالى-: {وَقالَ الَّذِي اشْتَراهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْواهُ} [يوسف: ٢١] قيل: الاشتراء هنا بمعنى الاستبدال، إذ لم يكن ذلك عقدًا، مثل: {أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى} [البقرة: ١٦].

وقيل: إنهم ظنوه في ظاهر الحال اشتراء، فجرى هذا اللفظ على ظاهر الظن. قال الضحاك: هذا الذي اشتراه ملك مصر، ولقبه العزيز. وقال السهيلي: واسمه قطفير. وقال ابن إسحاق: إطفير بن رويحب اشتراه لامرأته راعيل، ذكره الماوردي. وقيل: كان اسمها زليخاء، وكان الله ألقى محبة يوسف على قلب العزيز، فأوصى به أهله، ذكره القشيري. وقد ذكر القولين في اسمها الثعلبي وغيره. وقال ابن عباس: إنما اشتراه قطفير وزير ملك مصر، وهو الريان بن الوليد. وقيل: الوليد بن الريان، وهو رجل من العمالقة. وقيل: هو فرعون موسى، لقول موسى: {وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ} [غافر: ٣٤]، وأنه عاش أربعمائة سنة.

وقيل: فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف، على ما يأتي في غافر بيانه.

وكان هذا العزيز الذي اشترى يوسف على خزائن الملك، واشترى يوسف من مالك بن دعر بعشرين دينارًا، وزاده حلة ونعلين. وقيل: اشتراه من أهل الرفقة. وقيل: تزايدوا في ثمنه فبلغ أضعاف وزنه مسكًا وعنبرًا وحريرًا وورقًا وذهبًا ولآلي وجواهر لا يعلم قيمتها إلا الله، فابتاعه قطفير من مالك بهذا الثمن، قاله وهب بن منبه.

وقال وهب أيضًا وغيره: ولما اشترى مالك بن دعر يوسف من إخوته كتب بينهم وبينه كتابًا: هذا ما اشترى مالك بن دعر من بني يعقوب، وهم فلان وفلان مملوكًا لهم بعشرين درهمًا، وقد شرطوا له أنه آبق، وأنه لا ينقلب به إلا مقيدًا مسلسلًا، وأعطاهم على ذلك عهد الله. قال: فودعهم يوسف عند ذلك، وجعل يقول: حفظكم الله وإن ضيعتموني، نصركم الله وإن خذلتموني، رحمكم الله وإن لم ترحموني، قالوا: فألقت الأغنام ما في بطونها دمًا عبيطًا لشدة هذا التوديع، وحملوه على قتب بغير غطاء ولا وطاء، مقيدًا مكبلًا مسلسلًا، فمر على مقبرة آل كنعان فرأى قبر أمه -وقد كان وكل به أسود يحرسه فغفل الأسود-، فألقى يوسف نفسه على قبر أمه فجعل يتمرغ ويعتنق القبر ويضطرب ويقول: يا أماه! ارفعي رأسك ترى ولدك مكبلًا مقيدًا مسلسلًا مغلولًا، فرّقوا بيني وبين والدي، فاسألي الله أن يجمع بيننا في مستقر رحمته إنه أرحم الراحمين، فتفقده الأسود على البعير فلم يره، فقفا أثره، فإذا هو بياض على قبر، فتأمله فإذا

**هو إياه، فركضه برجله في التراب ومرغه وضربه ضربًا وجيعًا، فقال له: لا تفعل! والله ما هربت ولا أبقت، وإنما مررت بقبر أمي فأحببت أن أودعها، ولن أرجع إلى ما تكرهون، فقال الأسود: والله إنك لعبد سوء، تدعو أباك مرة وأمك أخرى! فهلا كان هذا عند مواليك، فرفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إن كانت لي عندك خطيئة أخلقت بها وجهي فأسألك بحق آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن تغفر لي وترحمني، فضجت الملائكة في السماء، ونزل جبريل فقال له: يا يوسف! غض صوتك فلقد أبكيت ملائكة السماء! أفتريد أن أقلب الأرض فأجعل عاليها سافلها؟ قال: تثبت يا جبريل، فإن الله حليم لا يعجل، فضرب الأرض بجناحه فأظلمت، وارتفع الغبار، وكسفت الشمس، وبقيت القافلة لا يعرف بعضها بعضًا، فقال رئيس القافلة: من أحدث منكم حدثًا؟ -فإني أسافر منذ كيت وكيت ما أصابني قط مثل هذا-، فقال الأسود: أنا لطمت ذلك الغلام العبراني فرفع يده إلى السماء وتكلم بكلام لا أعرفه، ولا أشك أنه دعا علينا، فقال له: ما أردت إلا هلاكنا! ايتنا به، فأتاه به، فقال له: يا غلام! لقد لطمك فجاءنا ما رأيت، فإن كنت تقتص فاقتص ممن شئت، وإن كنت تعفو فهو الظن بك، قال: قد عفوت رجاء أن يعفو الله عني، فانجلت الغبرة، وظهرت الشمس، وأضاء مشارق الأرض ومغاربها، وجعل التاجر يزوره بالغداة والعشي ويكرمه، حتى وصل إلى مصر فاغتسل في نيلها، وأذهب الله عنه كآبة السفر، ورد عليه جماله، ودخل به البلد نهارًا فسطع نوره على الجدران، وأوقفوه للبيع فاشتراه قطفير وزير الملك، قاله ابن عباس على ما تقدم".**

هذا الكلام بطوله كله مما أُثر عن بني إسرائيل، ومثله لا يصدق ولا يكذب، وإن كان في بعض ألفاظه ما يُنكر، لكن هذا من أخبار بني إسرائيل، وجاء في الحديث الصحيح: «**إذا حدثكم بنو إسرائيل فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم**»، في رواية: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»، في رواية عند البزار وغيره: «**فإن فيهم الأعاجيب**»، لكن إذا كان في شرعنا ما يرد هذه الأخبار رددناها، وإن كان فيه ما يؤيدها قبلناها، وإلا توقفنا.

**طالب:** .....

ماذا فيها؟

**طالب:** .....

فيها الخبر الموقوف الذي يقتضي المنع، لكن لا بأس، لا بأس، {**وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ**} [آل عمران: ١٠٧]، ما فيه شيء، ما فيه ما يمنع.

**"وقيل: إن هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه، ثم مات الملك ويوسف يومئذ على خزائن الأرض، فملك بعده قابوس وكان كافرًا، فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى.**

**{أَكْرِمِي مَثْوَاهُ} [يوسف: ٢١] أي منزله ومقامه بطيب المطعم واللباس الحسن، وهو مأخوذ من ثوى بالمكان أي أقام به، وقد تقدم في آل عمران وغيره.**

**{عَسى أَنْ يَنْفَعَنا} [يوسف: ٢١] أي يكفينا بعض المهمات إذا بلغ. {أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} [يوسف: ٢١] قال ابن عباس: كان حصورًا لا يُولد له، وكذا قال ابن إسحاق: كان قطفير لا يأتي النساء ولا يولد له. فإن قيل: كيف قال: {أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} [يوسف: ٢١] وهو ملكه، والولدية مع العبدية تناقض؟ قيل له: يعتقه ثم يتخذه ولدًا بالتبني، وكان التبني في الأمم معلومًا عندهم، وكذلك كان في أول الإسلام، على ما يأتي بيانه في الأحزاب -إن شاء الله تعالى-.**

**وقال عبد الله بن مسعود: أحسن الناس فراسة ثلاثة، العزيز حين تفرس في يوسف فقال: {عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} [يوسف: ٢١]، وبنت شعيب حين قالت لأبيها في موسى {اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص: ٢٦]، وأبو بكر حين استخلف عمر.**

**قال ابن العربي: عجبًا للمفسرين في اتفاقهم على جلب هذا الخبر! والفراسة هي علم غريب على ما يأتي بيانه في سورة الحجر وليس كذلك فيما نقلوه؛ لأن الصديق إنما ولى عمر بالتجربة في الأعمال، والمواظبة على الصحبة وطولها، والاطلاع على ما شاهد منه من العلم والمنة، وليس ذلك من طريق الفراسة، وأما بنت شعيب فكانت معها العلامة البينة على ما يأتي بيانه في القصص. وأما أمر العزيز فيمكن أن يجعل فراسة؛ لأنه لم يكن معه علامة ظاهرة. والله أعلم".**

لأن الفراسة إنما تكون إذا رأى الشخص من أول وهلة يتفرس ويتوقع أن يحصل منه كذا، أما إذا عاشره وخالطه وعرف طباعه وما جُبل عليه، فليست هذه فراسة، إنما هي مبنية على مقدمات، نتائج مبنية على مقدمات سابقة، فليست من الفراسة.

**طالب: .....**

هذا كله، هذا كله منكر هذا.

**"قوله -تعالى-: {وَكَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ} [يوسف: ٢١] الكاف في موضع نصب، أي وكما أنقذناه من إخوته ومن الجب فكذلك مكنا له، أي عطفنا عليه قلب الملك الذي اشتراه حتى تمكن من الأمر والنهي في البلد الذي الملك مستول عليه.**

**{وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ} [يوسف: ٢١] أي فعلنا ذلك تصديقًا لقول يعقوب: {وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ} [يوسف: ٦].**

**وقيل: المعنى مكناه لنوحي إليه بكلام منا، ونعلمه تأويله وتفسيره، وتأويل الرؤيا، وتم الكلام.**

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ} [يوسف: ٢١] الهاء راجعة إلى الله -تعالى-، أي لا يغلب الله شيء، بل هو الغالب على أمر نفسه فيما يريده أن يقول له: كن فيكون. وقيل: ترجع إلى يوسف، أي الله غالب على أمر يوسف يدبره ويحوطه ولا يكله إلى غيره، حتى لا يصل إليه كيد كائد.

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٢١] أي لا يطلعون على غيبه. وقيل: المراد بالأكثر الجميع؛ لأن أحدًا لا يعلم الغيب. وقيل: هو مجرى على ظاهره، إذ قد يُطْلِع من يريد على بعض غيبه.

وقيل: المعنى {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٢١] أن الله غالب على أمره، وهم المشركون ومن لا يؤمن بالقدر.

وقالت الحكماء في هذه الآية: {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ} [يوسف: ٢١] حيث أمره يعقوب ألا يقص رؤياه على إخوته فغلب أمر الله حتى قص، ثم أراد إخوته قتله فغلب أمر الله حتى صار ملكًا وسجدوا بين يديه، ثم أراد الإخوة أن يخلو لهم وجه أبيهم فغلب أمر الله حتى ضاق عليهم قلب أبيهم، وافتكره بعد سبعين سنة أو ثمانين سنة، فقال: {يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ} [يوسف: ٨٤]، ثم تدبروا أن يكونوا من بعده قومًا صالحين، أي تائبين فغلب أمر الله حتى نسوا الذنب وأصروا عليه حتى أقروا بين يدي يوسف في آخر الأمر بعد سبعين سنة، وقالوا لأبيهم: {إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ} [يوسف: ٩٧]، ثم أرادوا أن يخدعوا أباهم بالبكاء والقميص فغلب أمر الله فلم ينخدع، وقال: {بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا} [يوسف: ١٨]، ثم احتالوا في أن تزول محبته من قلب أبيهم فغلب أمر الله فازدادت المحبة والشوق في قلبه، ثم دبرت امرأة العزيز أنها إن ابتدرته بالكلام غلبته، فغلب أمر الله حتى قال العزيز: {اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخاطِئِينَ} [يوسف: ٢٩]، ثم دبر يوسف أن يتخلص من السجن بذكر الساقي فغلب أمر الله فنسي الساقي، ولبث يوسف في السجن بضع سنين.

قوله -تعالى-: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ} [يوسف: ٢٢]، {أَشُدَّهُ} [يوسف: ٢٢] عند سيبويه جمع واحده شدةٌ.

وقال الكسائي: واحده شدٌّ، كما قال الشاعر:

عهدي به شد النهار كأنما ... خضب اللبان ورأسه بالعظلم

وزعم أبو عبيد أنه لا واحد له من لفظه عند العرب، ومعناه استكمال القوة ثم يكون النقصان بعد.

وقال مجاهد وقتادة: الأشد ثلاث وثلاثون سنة".

هي قوة الشبان ثلاث وثلاثون سنة، هي مكتمل القوة، ولذا يقول ابن القيم في وصف أهل الجنة:

هذا وسنهم ثلاث مع ثلا ... ثين التي هي قوة الشبان

سن أهل الجنة ثلاث وثلاثين، لكن هو يستمر على هذا الأشد إلى أن يصل إلى الأربعين، ثم يبدأ في النزول.

**"وقال ربيعة وزيد بن أسلم ومالك بن أنس: الأشد بلوغ الحلم، وقد مضى ما للعلماء في هذا في سورة النساء والأنعام مستوفى.**

**{آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} [يوسف: ٢٢] قيل: جعلناه المستولي على الحكم، فكان يحكم في سلطان الملك، أي وآتيناه علمًا بالحكم. وقال مجاهد: العقل والفهم والنبوة. وقيل: الحكم والنبوة، والعلم علم الدين، وقيل: علم الرؤيا، ومن قال: أوتي النبوة صبيًّا قال: لما بلغ أشده زدناه فهمًا وعلمًا.**

**{وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٢٢] يعني المؤمنين. وقيل: الصابرين على النوائب كما صبر يوسف، قاله الضحاك".**

الاستدلال على إيتاء النبوة في الصبا ما تقدم من قوله -تعالى-: **{وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا}** [يوسف: ١٥]، لما أُلقي في الجب وهو صغير.

**"وقال الطبري: هذا وإن كان مخرجه ظاهرًا على كل محسن، فالمراد به محمد -صلى الله عليه وسلم-، يقول الله -تعالى-: كما فعلتُ هذا بيوسف بعد أن قاسى ما قاسى ثم أعطيتُه ما أعطيتُه، كذلك أنجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة، وأمكن لك في الأرض".**

بارك الله فيك.

اللهم صل على محمدٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

# تفسير القرطبي

# سورة يوسف

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

| | | | |
|---|---|---|---|
| **تاريخ المحاضرة:** | **١٤٣١/١١/١٨هـ** | **المكان:** | |

**"بسم الله الرحمن الرحيم.**

**الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه، قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى-:**

**"قوله -تعالى-: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ} [يوسف: ٢٣] وهي امرأة العزيز، طلبت منه أن يواقعها. وأصل المراودة الإرادة والطلب برفق ولين. والرود والرياد طلب الكلأ، وقيل: هي من رويد، يقال: فلان يمشي رويدًا، أي برفق، فالمراودة الرفق في الطلب، يقال في الرجل: راودها عن نفسها، وفي المرأة راودته عن نفسه. والرود التأني، يقال: أرودني: أمهلني".**

المراودة هنا مفاعلة، والأصل في المفاعلة أنها من طرفين، المفاعلة تكون من طرفين، فهل المراودة هنا على بابها، يعني أنها حصلت من الطرفين؟

**طالب:** .....

نعم؟

**طالب:** .....

كيف؟

**طالب:** .....

كيف؟

**طالب:** .....

الطلب هنا من طرف واحد أو من طرفين؟

**طالب: طرف واحد.**

وإذا قلنا: إنه طلب الفاحشة من طرف، وطلب الترك من طرف، تصير مراودة برفق، هي تراوده على الفاحشة، وهو يراودها في الخلاص والفكاك والنجاة من هذه الفاحشة، هي برفق، وهو برفق أيضًا، لماذا؟

لأنها محتاجة إلى ما عنده مما تطلب، وهو أيضًا محتاج إلى الخلاص والفرار والنجاة منها، والمحتاج لا بد أن يتبع الأسلوب اللين، المحتاج إلى الآخر لا بد أن يعامله معاملة برفق؛ لكي يحصل على ما عنده، فإذا قلنا: إن المراد بالمراودة هنا الطلب من الطرفين، لا شك أنها مفاعلة مطالبة، كل يطلب من الثاني، هي تطلب منه الفاحشة، وهو يطلب منها الإعفاء منها، والخلاص منها، والفكاك منها، لما رأى المراودة من قبله والمطالبة برفق ما نفعت، انصرف وتركها، ثم جذبته وقدت قميصه.

على أن المراودة قد تأتي من طرف واحد، مسافرة، سافر شخص واحد، مطارقة، طارق زيد النعل، يطرقه بنفسه وحده.

**"{وَغَلَّقَتِ الْأَبْوابَ} [يوسف: ٢٣] غلق للكثير، ولا يقال: غلَق الباب، وأغلق يقع للكثير والقليل، كما قال الفرزدق".**

ولا يقال: غَلَقَ الباب -بالتخفيف يعني-، غلق الباب، غلّق وأغلق ولا يقال: غلَق.

**"كما قال الفرزدق في أبي عمرو بن العلاء:**

**مـــا زلـــت أغلـــق أبوابـــا وأفتحهـــا حتـــى أتيـــت أبـــا عمـــرو بـــن عمـــار**

**يقال: إنها كانت سبعة أبواب غلقتها ثم دعته إلى نفسها. {وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ} [يوسف: ٢٣] أي هلم وأقبل وتعال، ولا مصدر له ولا تصريف.**

**قال النحاس: فيها سبع قراءات، فمن أجل ما فيها وأصحه إسنادًا ما رواه الأعمش عن أبي وائل قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقرأ {هَيْتَ لَكَ} [يوسف: ٢٣] قال فقلت: إن قومًا يقرؤونها (وهِيتَ لَكَ) [يوسف: ٢٣]، فقال: إنما أقرأ كما علمت. قال أبو جعفر: وبعضهم يقول عن عبد الله بن مسعود عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولا يبعد ذلك؛ لأن قوله: إنما أقرأ كما علمت يدل على أنه مرفوع، وهذه القراءة بفتح التاء والهاء هي الصحيحة من قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة، وبها قرأ أبو عمرو بن العلاء وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي.**

**قال عبد الله بن مسعود: لا تقطعوا في القرآن، فإنما هو مثل قول أحدكم: هلم وتعال. وقرأ ابن أبي إسحاق النحوي: (قَالَتْ هَيتِ لَكَ) [يوسف: ٢٣]، بفتح الهاء وكسر التاء، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وابن كثير: (هَيتُ لَكَ) [يوسف: ٢٣] بفتح الهاء وضم التاء، قال طرفة:**

**لـــيس قـــومي بالأبعـــدين إذا مـــا قـــال داع مـــن العشـــيرة هيـــت**

**فهذه ثلاث قراءات الهاء فيهن مفتوحة".**

النقل عن ابن مسعود: لا تقطعوا في القرآن، يعني لا تجزم بوجه واحد، وإنما الأمر فيه سعة؛ لأن القرآن أُنزل على سبعة أحرف، هلم وتعال وأقبل، فمن قال: **{هَيْتَ لَكَ}** [يوسف: ٢٣]، **(وهَيتُ لَكَ)** [يوسف: ٢٣] **(هَيتَ لَكَ)** [يوسف: ٢٣]، إلى آخر ذلك من القراءات، لا يقطع بقطع شيء منها، والأمر فيه سعة، وهذا لما كانت الأحرف السبعة معمولًا بها، أما لما اتفق الصحابة على إلغائها، والاقتصار على حرف واحد، وأجمعوا على ذلك، والأمة معصومة من أن تهمل شيئًا من دينها، فما أجمعت عليه ليست الأمة بحاجة إليه، فإنه حينئذٍ يقطع بالخطأ، ويقطع بترك الوجه الثاني الذي أجمع الصحابة على تركه.

**طالب: .....**

ماذا؟

فيه شيء؟

**طالب: .....**

نعم.

**"وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع: (وَقَالَتْ هِيتَ لَكَ) [يوسف: ٢٣] بكسر الهاء وفتح التاء. وقرأ يحيى بن وثاب: (وَقَالَتْ هِيتُ لَكَ) [يوسف: ٢٣] بكسر الهاء وبعدها ياء ساكنة والتاء مضمومة. وروي عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وابن عباس ومجاهد وعكرمة: {وَقَالَتْ هِئتُ لَكَ} [يوسف: ٢٣] بكسر الهاء وبعدها همزة ساكنة والتاء مضمومة. وعن ابن عامر وأهل الشام: (وَقَالَتْ هِئتَ لَكَ) [يوسف: ٢٣] بكسر الهاء وبالهمزة وبفتح التاء. قال أبو جعفر: (هِئتَ لَكَ) [يوسف: ٢٣] بفتح التاء لالتقاء الساكنين؛ لأنه صوت نحو: مه وصه، يجب ألا يعرب، والفتح خفيف؛ لأن قبل التاء ياء مثل: أين وكيف، ومن كسر التاء فإنما كسرها؛ لأن الأصل الكسر؛ لأن الساكن إذا حرك حرك إلى الكسر".**

أقمِ، {أَقِمِ الصَّلاةَ} [الإسراء: ٧٨]، {يَرْفَعِ اللَّهُ} [المجادلة: ١١]، الساكن إذا حُرك يحرك إلى الكسر، هذا الأصل، لماذا لا يحرك بغير الكسر؟ {يَرْفَعِ اللَّهُ} [المجادلة: ١١]، ما قيل: يرفعُ اللهُ، ويرفعَ اللهُ؟

**طالب: .....**

الكسر أخف؟ لا، ما هو بأخف، أخف الحركات الفتح؛ كما هو معروف.

**طالب: .....**

هو يحرك لالتقاء الساكنين، لكن لماذا حُرك بالكسر: أقمِ، {أَقِمِ الصَّلاةَ} [الإسراء: ٧٨]، {يَرْفَعِ اللَّهُ} [المجادلة: ١١]؟

**طالب: .....**

ما هو بأصل، الأصل في التحريك الكسر، لكن لماذا كان الأصل؟

**طالب: .....**

أو نصب تظن أنها رفعة إعراب أو نصبة إعراب؛ لأننا لو رفعناه ألغينا إعراب الكلمة، هي محلها السكون، فلو رفعناه ألغينا إعراب الكلمة، ولو نصبنا لقلنا: إنها منصوبة بمقدر، وأين المقدر؟ وحينئذ يحصل اللبس، أما إذا كسرنا فإنه لا يحصل يلبس، نتساءل كيف كُسر، والكسر من علامات الأسماء؟ لو كان مرفوعًا رُفع، لو كان منصوبًا نُصب إعرابًا، حقه الجزم لكن حُرك لالتقاء الساكنين، ولا يُحرك بمثل إعرابه؛ لئلا يحصل اللبس.

**"ومن ضم فلأن فيه معنى الغاية، أي قالت: دعائي لك، فلما حذفت الإضافة بني على الضم، مثل حيث وبعد. وقراءة أهل المدينة فيها قولان: أحدهما: أن يكون الفتح لالتقاء الساكنين كما مر. والآخر: أن يكون فعلًا من هاء يهيئ مثل جاء يجئ، فيكون المعنى في (هِئتَ) [يوسف:**

**٢٣] أي حسنت هيئتك، ويكون {لَكَ} [يوسف: ٢٣] من كلام آخر، كما تقول: لك أعني. ومن همز وضم التاء فهو فعل بمعنى تهيأت لك، وكذلك من قرأ (هِيتُ لَكَ) [يوسف: ٢٣]".**

يكون (هِيتُ) هي (هِئتُ) إلا أنها سُكنت، خففت، أقول: خففت وسحلت.

**"وأنكر أبو عمرو هذه القراءة، قال أبو عبيدة- معمر بن المثنى-: سئل أبو عمرو عن قراءة من قرأ بكسر الهاء وضم التاء مهموزًا، فقال أبو عمرو: باطل، جعلها من تهيأت! اذهب فاستعرض العرب حتى تنتهي إلى اليمن، هل تعرف أحدًا يقول هذا؟!**

**وقال الكسائي أيضًا: لم تحك (هِئتُ) [يوسف: ٢٣] عن العرب. قال عكرمة: (هِئتُ لَكَ) [يوسف: ٢٣] أي تهيأت لك وتزينت وتحسنت، وهي قراءة غير مرضية؛ لأنها لم تسمع في العربية. قال النحاس: وهي جيدة عند البصريين؛ لأنه يقال: هاء الرجل يهاء ويهيئ هيأة، فهاء يهيئ مثل جاء يجئ، وهِئت مثل جئت. وكسر الهاء في (هِيْتَ) [يوسف: ٢٣] لغة لقوم يؤثرون كسر الهاء على فتحها. قال الزجاج: أجود القراءات {هَيْتَ} [يوسف: ٢٣] بفتح الهاء والتاء، قال طرفة:**

**لـــيس قـــومي بالأبعـــدين إذا مـــا قـــال داعٍ مـــن العشـــيرة هيـــت**

**بفتح الهاء والتاء.**

**وقال الشاعر في علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-:**

**أبلـــــغ أميـــــر المـــــؤمن يـــن أخـــا العـــراق إذا أتيتـــا**

**إن العـــــــراق وأهلـــــــه ســـلم إليـــك فهيـــت هيتـــا**

**قال ابن عباس والحسن: (هِيْتَ) [يوسف: ٢٣] كلمة بالسريانية تدعوه إلى نفسها.**

**وقال السدي: معناها بالقبطية هلم لك. قال أبو عبيد: كان الكسائي يقول: هي لغة لأهل حوران وقعت إلى أهل الحجاز معناه تعال، قال أبو عبيد: فسألت شيخًا عالمًا من حوران فذكر أنها لغتهم، وبه قال عكرمة.**

**وقال مجاهد وغيره: هي لغة عربية تدعوه بها إلى نفسها، وهي كلمة حث وإقبال على الأشياء، قال الجوهري: يقال هوت به وهيت به إذا صاح به ودعاه، قال:**

**قـــد رابنـــي أن الكـــرى اســـكتا لـــو كـــان معنيـــا بهـــا لهيتـــا**

**أي صاح، وقال آخر:**

**يحـــدو بهـــا كـــل فتـــى هيـــات .....".**

**{هَيتَ}** [يوسف: ٢٣] هل هي عربية، أو قبطية، أو سريانية، أو هي مما توافقت عليه اللغات؟ يعني توجد في هذه اللغات كلها؟

كلام الجوهري يدل على أنها عربية، وأن لها أصلًا في العربية، وأنها تتصرف كما تتصرف الكلمات العربية، وكلامهم يدل على أنها سريانية أو قبطية، أو أنها مجموعة في اللغات الثلاث، ولا يمتنع أن تتواطأ اللغات على النطق بكلمة تكون موجودة عند هؤلاء وعند هؤلاء، مع علمنا بالخلاف بين أهل العلم، هل يوجد في القرآن لفظ غير عربي؟

القرآن عربي، القرآن نزل بلغة العرب، والتراكيب غير العربية منتفية إجماعًا، يعني لا يوجد جمل أعجمية في القرآن، ويوجد فيه أعلام أعجمية اتفاقًا، وأما وجود الألفاظ غير الأعلام فهذا محل خلاف بين أهل العلم، فمنهم من يقول: أبدًا، لا يوجد كلمة غير عربية؛ لأن القرآن عربي، ووجود كلمات غير عربية تخرجه عن كونه كله عربيًّا، وأصحاب الرأي الآخر أنه لا يمتنع أن يسمى عربيًّا مع وجود ألفاظ يسيرة معدودة بغير العربية، والذين أثبتوا وجود بعض الألفاظ مثل: {هِيتَ لَكَ} [يوسف: ٢٣]، و{مِشْكَاةٍ} [النور: ٣٥]، و{نَاشِئَةَ اللَّيْلِ} [المزمل: ٦]، وغيرها من الكلمات التي قال أهل العلم: إنها بغير العربية، وقال بعضهم: لعل هذا مما توافقت فيه اللغات، نطق بها العرب كما نطق بها غيرهم، كما هنا، ولا يمتنع أن تتوافق اللغات على بعض الكلمات، ولذا تسمعون بعض الكلام غير العربي، أحيانًا لا سيما المشرقي، تأتي كلمات فيها شيء من القرب، العبرية والسريانية فيها شيء مما يتفق مع العربية، مع تغيير حرف إذا عُربت الكلمة، إما أن يعجم الحرف المهمل أو العكس.

**"قوله -تعالى-: {قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ} [يوسف: ٢٣] أي أعوذ بالله وأستجير به مما دعوتني إليه، وهو مصدر، أي أعوذ بالله معاذًا، فيحذف المفعول، وينتصب المصدر بالفعل المحذوف، ويضاف المصدر إلى اسم الله كما يضاف المصدر إلى المفعول، كما تقول: مررت بزيد مرور عمرو، أي كمروري بعمرو.**

**{إِنَّهُ رَبِّي} [يوسف: ٢٣] يعني زوجها، أي هو سيدي أكرمني فلا أخونه، قاله مجاهد وابن إسحاق والسدي.**

**وقال الزجاج: أي إن الله ربي تولاني بلطفه، فلا أرتكب ما حرمه.**

**{إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [يوسف: ٢٣]، وفي الخبر أنها قالت له: يا يوسف! ما أحسن صورة وجهك! قال: في الرحم صورني ربي، قالت: يا يوسف ما أحسن شعرك! قال: هو أول شيء يبلى مني في قبري، قالت: يا يوسف! ما أحسن عينيك؟ قال: بهما أنظر إلى ربي. قالت: يا يوسف! ارفع بصرك فانظر في وجهي، قال: إني أخاف العمى في آخرتي. قالت يا يوسف! أدنو منك وتتباعد مني؟! قال: أريد بذلك القرب من ربي. قالت: يا يوسف! القيطون فرشته لك فادخل معي، قال: القيطون لا يسترني من ربي. قالت: يا يوسف! فراش الحرير قد فرشته لك، قم فاقض حاجتي، قال: إذًا يذهب من الجنة نصيبي، إلى غير ذلك من كلامها وهو يراجعها، إلى أن همَّ بها.**

**وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن إلى يوسف ميل شهوة حتى نبَّأه الله، فألقى عليه هيبة النبوة، فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه".**

الهم، **{هَمَّتْ بِهِ}** [يوسف: ٢٤] واضح، **{هَمَّتْ بِهِ}** [يوسف: ٢٤] همّ المرأة ظاهر، لكن همّ يوسف -عليه السلام- مع قوله تعالى: **{لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ}** [يوسف: ٢٤]، هل وقع منه الهم بالمعصية؟

وهل يجوز مثل هذا على الأنبياء -على القول بأنه نبي في ذاك الوقت؟

والهم مرتبة من مراتب القصد قبلها: الهاجس، ثم الخاطر، ثم حديث النفس، ثم الهم، ثم العزم على الفعل، والهم لا شك أنه فوق حديث النفس، والمعفو عنه -كما في الحديث- حديث النفس، فهل يهمّ مثل يوسف بمثل هذا؟ الله -سبحانه وتعالى- أثبت الهم، فما معنى الهم هنا؟

النبي -عليه الصلاة والسلام- همّ بتحريق المتخلفين عن الصلاة، ولا يهم النبي إلا بما يجوز له فعله، لا يهم إلا بما يجوز له فعله، وإلا خلا الدليل عن الدلالة على وجوب الجماعة، وهنا ما المراد بالهم؟

المفسرون تباينت أقوالهم تبعًا لعصمته، وإثبات الهم له هنا، فما معنى الهم؟ ولذا يقول: اختلف العلماء في همه، منهم من بالغ في عصمته إلى حد جعله أنه لم يخطر له الفعل على بال، ولا خاطر ولا هاجس، ومنهم من جعله يفعل ما يقرب من الوقوع في الفاحشة على ما سيأتي، وكل هذا مذكور في كتب التفسير.

**"واختلف العلماء في همه. ولا خلاف أن همها كان المعصية، وأما يوسف فهم بها، {لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ} [يوسف: ٢٤]، ولكن لما رأى البرهان ما همّ، وهذا لوجوب العصمة للأنبياء".**

كيف همّ بها، الله -سبحانه وتعالى- يقول: **{هَمَّ بِهَا}** [يوسف: ٢٤]، ولكن لما رأى البرهان ما هم، هم بها، لكن لما رأى البرهان ما هم، يعني نقول: إنه هم بالهم، لكن لما رأى البرهان ما هم؟ أو أن هذا الهم معلق على عدم البرهان، فلما وُجد البرهان امتنع الهم؟

لولا حرف إيش؟

**طالب:** .....

حرف إيش؟

**طالب:** .....

امتناع لإيش؟ لوجود، حرف امتناع لوجود، يعني نقول: **{لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ}** [يوسف: ٢٤]، امتنع الهم لوجود البرهان، امتنع الهم لوجود البرهان؛ لأنه لما رأى البرهان ما همّ، إذًا؛ ما معنى قوله: **{هَمَّ بِهَا}** [يوسف: ٢٤]؟

**طالب:** .....

كيف؟

**طالب: .....**

**{هَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ}** [يوسف: ٢٤].

**طالب: .....**

يعني ما باشر الهم، الهم على الفعل ما باشره، إنما قد يكون الهم، الهم المثبت غير الهم المنفي، فالهم المنفي **{لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ}** [يوسف: ٢٤]، الهم بالفعل، والهم المثبت **{هَمَّ بِهَا}** [يوسف: ٢٤]، الحامل على الهم الثاني، فعندنا في الآية إثبات للهم **{هَمَّ بِهَا}** [يوسف: ٢٤]، وعندنا من خلال التركيب الثاني **{لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ}** [يوسف: ٢٤] نفي لذلك الهم، امتناع للهم، فكيف يجتمع قوله: **{هَمَّ بِهَا}** [يوسف: ٢٤] مع امتناع الهم لوجود البرهان؟ إذًا عندنا أكثر من هم، هم حاصل وواقع، وهم منفي لوجود البرهان.

**"قال الله -تعالى-: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: ٢٤] فإذًا في الكلام تقديم وتأخير، أي لولا أن رأى برهان ربه هم بها. قال أبو حاتم: كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة فلما أتيت على قوله: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها} [يوسف: ٢٤] الآية، قال أبو عبيدة: هذا على التقديم والتأخير، كأنه أراد ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها.**

**وقال أحمد بن يحيى: أي همت زليخاء بالمعصية، وكانت مصرة، وهم يوسف ولم يواقع ما هم به، فبين الهمتين فرق، ذكر هذين القولين الهروي في كتابه.**

**قال جميل:**

**هممت بهم من بثينة لو بدا ... شفيت غليلات الهوى من فؤاديا**

**وقال آخر:**

**هممت ولم أفعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله**

**فهذا كله حديث نفس من غير عزم.**

**وقيل: هم بها تمنى زوجيتها".**

قال أبو حاتم، من أبو حاتم؟

**طالب: .....**

صحيح، أبو حاتم السجستاني، كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة، ما اسمه؟

**طالب: .....**

لا، معمر بن المثنى، مر قريبًا، وقال أحمد بن يحيى، من؟

**طالب: ثعلب.**

ثعلب نعم.

**طالب: .....**

ثعلب، ثعلب، إمام من أئمة العربية، إمام ثقة.

يقول: هذا كله حديث نفس من غير عزم، هذا كله حديث نفس من غير عزم، يعني مرحلة أولى أو مرتبة أولى تتقدم الهم، والهم يتقدم العزم، فكونه يخطر على باله أو يلوح في خياله هاجس، ثم خاطر، ثم حديث نفس، ثم بعد ذلك الهم، وبعده العزم، ومتى يؤاخذ؟ حديث النفس معفو عنه، وما قبله من الهاجس والخاطر من باب أولى، والخلاف فيما بعد حديث النفس، «**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها**»، إذًا ما بعد حديث النفس يؤاخذ به، الهم يؤاخذ عليه، العزم من باب أولى، ومنهم من يقول: إذا لم يتكلم ولا يعمل ما في نفسه، فلا يؤاخذ عليه، ولو وصل إلى درجة الهم.

"**وقيل: همّ بها أي بضربها ودفعها عن نفسه، والبرهان كفه عن الضرب، إذ لو ضربها لأوهم أنه قصدها بالحرام فامتنعت فضربها.**

**وقيل: إن هم يوسف كان معصية، وأنه جلس منها مجلس الرجل من امرأته**".

قد يقول قائل: لماذا ما أنكر باليد؟ ما أنكر عليها باليد، تزاول المعصية الآن، لماذا لم ينكر عليها باليد؟

قال: إنه لو ضربها لاتُّهم، اتُّهم أنه أرادها على نفسها، فلما رفضت ضربها.

"**وإلى هذا القول ذهب معظم المفسرين وعامتهم**".

قيل: إن هم يوسف كان معصية، حصل منه فعل، لكن دون الفاحشة، دون الفاحشة، وترك الفاحشة؛ لأنه رأى برهان ربه، فيكون الهم ومعه ما يذكر من أفعال كله حصل، وتابع للهم، والذي منعه من مباشرة الفاحشة أنه رأى برهان ربه، هذا قول كثير من المفسرين.

"**فيما ذكر القشيري أبو نصر، وابن الأنباري والنحاس والماوردي وغيرهم. قال ابن عباس: حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن، وعنه: استلقت على قفاها وقعد بين رجليها ينزع ثيابه.**

**وقال سعيد بن جبير: أطلق تكة سراويله.**

**وقال مجاهد: حل السراويل حتى بلغ الأليتين، وجلس منها مجلس الرجل من امرأته. قال ابن عباس: ولما قال: {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ} [يوسف: ٥٢] قال له جبريل: ولا حين هممت بها يا يوسف؟! فقال عند ذلك: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي} [يوسف: ٥٣]. قالوا: والانكفاف في مثل هذه الحالة دال على الإخلاص، وأعظم للثواب**".

يعني بعد مباشرة المقدمات، الانكفاف في مثل هذه الحالة يدل على إيمان عظيم، بعد أن تمكن من المعصية وباشر أسبابها ومقدماتها يدل على إيمان عظيم وإخلاص، لكن كل هذا ليس فيه، أو لا يدل عليه أي دليل، إنما يُنقل من كتب أهل الكتاب، ولا يوجد ما يدل عليه، وشيخ

الإسلام- رحمه الله تعالى- يرى أن قوله: {وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي} [يوسف: ٥٣]، من قول المرأة، وأثبت ذلك بالأدلة الكثيرة، وليس من قول يوسف -عليه السلام-.

**"قلت: وهذا كان سبب ثناء الله تعالى على ذي الكفل حسب ما يأتي بيانه في (ص) إن شاء الله تعالى".**

ذو الكفل كما جاء في الحديث عند الترمذي وغيره أنه كان رجلًا من بني إسرائيل دعته امرأة محتاجة تطلب منه مبلغًا من المال؛ لتمكنه من نفسها، فلما كاد أن يباشر العمل، وعظته، فقال لها: أنا أكرهتك؟ فقالت: لا، يعني جاءت بطوعها واختيارها، ما حصل منه إكراه، وذكر في وصفه أنه لم تكن هناك معصية إلا زاولها، لكنه بعد هذه لما وعظته ترك، وترك المال لها، وتاب وأناب، ولذا أثنى الله عليه -سبحانه وتعالى- في سورة (ص)، وعلى كل حال الخبر قابل للنظر، يعني خبر الترمذي قابل للنظر.

**"وجواب {لولا} على هذا محذوف، أي لولا أن برهان ربه لأمضى ما هم به، ومثله {كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ} [التكاثر: ٥] وجوابه لم تتنافسوا.**

**قال ابن عطية: روي هذا القول عن ابن عباس وجماعة من السلف، وقالوا: الحكمة في ذلك أن يكون مثلًا للمذنبين؛ ليروا أن توبتهم ترجع إلى عفو الله -تعالى- كما رجعت ممن هو خير منهم، ولم يوبقه القرب من الذنب، وهذا كله على أن همّ يوسف بلغ فيما روت هذه الفرقة إلى أن جلس بين رجلي زليخاء، وأخذ في حل ثيابه وتكته ونحو ذلك، وهي استلقت له، حكاه الطبري.**

**وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: وابن عباس ومن دونه لا يختلفون في أنه همّ بها، وهُمْ أعلم بالله وبتأويل كتابه، وأشد تعظيمًا للأنبياء من أن يتكلموا فيهم بغير علم.**

**وقال الحسن: إن الله -عز وجل- لم يذكر معاصي الأنبياء ليعيرهم بها، ولكنه ذكرها؛ لكيلا تيأسوا من التوبة. قال الغزنوي: مع أن لزلة الأنبياء حِكمًا: زيادة الوجل، وشدة الحياء بالخجل، والتخلي عن عجب العمل، والتلذذ بنعمة العفو بعد الأمل، وكونهم أئمة رجاء أهل الزلل".**

هذه المعاصي التي وقعت من بعض الأنبياء؛ لئلا يستحسر الناس ويأسوا، كما أن النبي -عليه الصلاة والسلام- يحصل منه السهو، يحصل منه السهو والنسيان، وهو إنما ينسى ليسن، وكم في نومه -عليه الصلاة والسلام- عن صلاة الصبح من الحكم، وكم فيها من بعث الأمل في قلوب الناس الذين عندهم حرص على العبادة، حرص على أداء ما افترض الله عليهم، كم يقع في نفس أحدهم لو فاتته الصلاة، بل خرج وقتها لو لم يحصل هذا من النبي -عليه الصلاة والسلام-؛ لأن الناس يتفاوتون، يتفاوتون، بعض الناس تقع منه الغفلة، يقع منه التفريط، وكأن

شيئًا لم يكن، وبعض الناس يقع منه شيء من ذلك من غير إرادة، ويحصل معه من الخوف والوجل ما يحصل.

فمثل هذه الأشياء إنما هي لتسلية الناس، هؤلاء أنبياء معصومون، ومع ذلك وقعت منهم هذه الأشياء، فإذا وقعت من المسلم وتاب، وأناب، وراجع دينه ، فالأمل مفتوح أمامه.

**"قال القشيري أبو نصر: وقال قوم: جرى من يوسف همّ، وكان ذلك الهم حركة طبع من غير تصميم للعقد على الفعل، وما كان من هذا القبيل لا يؤخذ به العبد، وقد يخطر بقلب المرء وهو صائم شرب الماء البارد، وتناول الطعام اللذيذ، فإذا لم يأكل ولم يشرب، ولم يصمم عزمه على الأكل والشرب لا يؤاخذ بما هجس في النفس، والبرهان صرفه عن هذا الهم حتى لم يصر عزمًا مصمَّمًا.**

**قلت: هذا قول حسن، وممن قال به الحسن".**

يقول: الصائم إذا رأى الطعام، رأى الماء البارد اشتاقت نفسه، وتاقت إلى الشرب والأكل، لكن هذا لا يؤثر عليه، لا يؤثر عليه، فكون الإنسان يرى امرأة جميلة يتمنى ويشتهي أن تكون زوجة له أو أن يرزق مثلها، هذا لا يؤثر عليه.

**"قال ابن عطية: الذي أقول به في هذه الآية: إن كون يوسف نبيًّا في وقت هذه النازلة لم يصح، ولا تظاهرت به رواية، وإذا كان كذلك فهو مؤمن قد أوتي حكمًا وعلمًا، ويجوز عليه الهم الذي هو إرادة الشيء دون مواقعته، وأن يستصحب الخاطر الرديء على ما في ذلك من الخطيئة، وإن فرضناه نبيًّا في ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندي إلا الهم الذي هو خاطر، ولا يصح عليه شيء مما ذكر من حل تكته ونحوه؛ لأن العصمة مع النبوة. وما روي من أنه قيل له: تكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء. فإنما معناه العدة بالنبوة فيما بعد.**

**قلت: ما ذكره من هذا التفصيل صحيح، لكن قوله -تعالى-: {وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ} [يوسف: ١٥] يدل".**

يعني وهو في الجب على ما تقدم من أنه نبئ وهو صغير.

**"على أنه كان نبيًّا على ما ذكرناه، وهو قول جماعة من العلماء، وإذا كان نبيًّا فلم يبق إلا أن يكون الهم الذي هم به ما يخطر في النفس ولا يثبت في الصدر، وهو الذي رفع الله فيه المؤاخذة عن الخلق، إذ لا قدرة للمكلف على دفعه، ويكون قوله: {وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي} [يوسف: ٥٣]- إن كان من قول يوسف- أي من هذا الهم، أو يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف، لمخالفة النفس لما زكي به قبل وبرئ، وقد أخبر الله -تعالى- عن حال يوسف من حين بلوغه فقال: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً} [يوسف: ٢٢] على ما تقدم بيانه، وخبر الله -تعالى- صدق، ووصفه صحيح، وكلامه حق، فقد عمل يوسف بما علمه الله من تحريم**

**الزنى ومقدماته، وخيانة السيد والجار والأجنبي في أهله، فما تعرض لامرأة العزيز، ولا أجاب إلى المراودة، بل أدبر عنها وفر منها، حكمة خص بها، وعملًا بمقتضى ما علمه الله.**

**وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به، فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جراي».**

**وقال -عليه السلام- مخبرًا عن ربه: «إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت حسنة»، فإن كان ما يهم به العبد من السيئة يكتب له بتركها حسنة فلا ذنب، وفي الصحيح: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلم به»، وقد تقدم.**

**قال ابن العربي: كان بمدينة السلام إمام من أئمة الصوفية -وأي إمام- يعرف بابن عطاء! تكلم يومًا على يوسف وأخباره حتى ذكر تبرئته مما نسب إليه من مكروه، فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كل طائفة فقال: يا شيخ! يا سيدنا! فإذًا يوسف هم وما تم؟ قال: نعم! لأن العناية من ثَم. فانظر إلى حلاوة العالم والمتعلم، وانظر إلى فطنة العامي في سؤاله، وجواب العالم في اختصاره واستيفائه، ولذلك قال علماء الصوفية: إن فائدة قوله: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً} [يوسف: ٢٢] إنما أعطاه ذلك إبان غلبة الشهوة؛ لتكون له سببًا للعصمة".**

الآن، الذي تعرض له المعصية فيتركها أفضل ممن لم تخطر له المعصية على بال؟ أيهما أفضل؟

**طالب: التي عرضت.**

التي عرضت له المعصية، هو مأجور على تركها، لكن الذي لم تخطر له على بال يؤجر على إيش؟

هو إذا عمل أسباب الاتقاء، لكن المسألة مفترضة في شخصين، شخص عرضت له معصية من غير تعرض لها، وآخر مثله ما تعرض للمعاصي ولم تعرض له، لكن لم تخطر له على بال، فالذي عرضت له وعالج نفسه وجاهد نفسه في تركها لا شك أنه أفضل، ولذا جاء في حديث مسلم: «**ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة**»، يعني شخص ما عرضت له المعصية، ما خطرت له على بال، جالس في بيته، جالس في بيته، وشخص في السوق ذهب ليشتري حاجة، فعرضت له فتنة، والآخر في بيته ما عرض له شيء، ولا فكر بشيء، لا شك أن الذي ذهب إلى السوق وعرضت له هذه الفتنة، وجاهد نفسه على تركها أفضل، «**وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جراي**»، يعني من أجلي، نعم، إذا عرف

واقع السوق وأنه معرض للفتن إذا خرج، لا ينبغي له أن يقدم على مواطن الفتن، لا ينبغي له أن يقدم على مواطن الفتن؛ لأنه ما الذي يدريه هل ينجو أو لا ينجو؟

قد ينجو مرة ويسقط مرات، إذا عرف أن السوق فيه فتن لا يعرض نفسه للفتن؛ لأنه قد يقع في شيء من هذه الفتن؛ لأنه ما وقع في المرة الأولى، ولا وقع في الثانية، في الثالثة، وأقل الأحوال أن يستمرئ المعاصي والنظر إليها، لكن إن كان مع غلبة ظنه أنه ينجو من هذه الفتن، وأنه ينكر ويغير ما ينظر إليه هذا هو المتعين بالنسبة له، والناس أجناس، أحد يقال له: لا تنزل إلى الأسواق، وأحد يؤمر بالنزول إلى الأسواق لتغيير المنكرات مع الأمن عليه من هذه الفتن.

ولذا، وهذه المسألة فرع عن المسألة الكبرى وهي المفاضلة بين الخلطة والعزلة، بعض الناس يؤمر أو يُنصح بالعزلة، العزلة أفضل لك، لماذا؟

لأنه يتأثر ولا يؤثر، وبعض الناس بالعكس، يقال: لا، لا تعتزل، بل خالط الناس، واصبر عليهم، واصبر على أذاهم، وانفعهم، ووجههم، لماذا؟ لأنه لا يتأثر، بل يؤثر، فما جاء من النصوص التي تمدح العزلة، والنصوص التي تمدح مخالطة الناس والصبر على أذاهم على هذا يُنزل، على هذا التفصيل ينزل.

**طالب: .....**

فيه كتب، كتب عن العزلة للخطابي وغيره.

**"قلت: وإذا تقررت عصمته وبراءته بثناء الله -تعالى- عليه فلا يصح ما قال مصعب بن عثمان: إن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجهًا، فاشتاقته امرأة فسامته نفسها فامتنع عليها وذكّرها، فقالت: إن لم تفعل لأشهرنك، فخرج وتركها، فرأى في منامه يوسف الصديق -عليه السلام- جالسًا فقال: أنت يوسف؟ فقال: أنا يوسف الذي هممت، وأنت سليمان الذي لم تهم؟! فإن هذا يقتضي أن تكون درجة الولاية أرفع من درجة النبوة، وهو محال، ولو قدرنا يوسف غير نبي فدرجته الولاية، فيكون محفوظًا كهو، ولو غلقت على سليمان الأبواب، وروجع في المقال والخطاب، والكلام والجواب مع طول الصحبة لخيف عليه الفتنة، وعظيم المحنة، والله أعلم".**

شيخ الإسلام، شيخ الإسلام -رحمه الله- فند هذه القصة، فندها وضعفها.

**طالب: .....**

مجموع الفتاوى، نعم.

**"قوله -تعالى-: {لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ} [يوسف: ٢٤]، {أَنْ} [يوسف: ٢٤] في موضع رفع أي لولا رؤية برهان ربه، والجواب محذوف لعلم السامع، أي لكان ما كان. وهذا البرهان غير مذكور في القرآن، فروي عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أن زليخاء قامت إلى صنم مكلل بالدر والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب، فقال: ما تصنعين؟ قالت: أستحي من**

**إلهي هذا أن يراني في هذه الصورة، فقال يوسف: أنا أولى أن أستحي من الله، وهذا أحسن ما قيل فيه؛ لأن فيه إقامة الدليل.**

**وقيل: رأى مكتوبًا في سقف البيت {وَلا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبِيلًا} [الإسراء: ٣٢].**

**وقال ابن عباس: بدت كف مكتوب عليها {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ} [الانفطار: ١٠]، وقال قوم: تذكر عهد الله وميثاقه.**

**وقيل: نودي يا يوسف! أنت مكتوب في ديوان الأنبياء وتعمل عمل السفهاء؟! وقيل: رأى صورة يعقوب على الجدران عاضًّا على أنملته يتوعده فسكن، وخرجت شهوته من أنامله، قاله قتادة ومجاهد والحسن والضحاك وأبو صالح وسعيد بن جبير.**

**وروى الأعمش عن مجاهد قال: حل سراويله فتمثل له يعقوب، وقال له: يا يوسف! فولى هاربًا.**

**وروى سفيان عن أبي حَصين عن سعيد بن جبير قال: مُثّل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله، قال مجاهد: فولد لكل واحد من أولاد يعقوب اثنا عشر ذكرًا إلا يوسف لم يولد له إلا غلامان، ونقص بتلك الشهوة ولده، وقيل غير هذا.**

**وبالجملة: فذلك البرهان آية من آيات الله أراها الله يوسف حتى قوي إيمانه، وامتنع عن المعصية".**

الآية تثبت أن هناك برهانًا ودليلًا صار سببًا للكف، لكنه من غير تبيين، ولعله مما لا حاجة إلى بيانه، وإلا لما فُرط فيه، وما ذكر كله مما لا تقوم به حجة.

**"قوله -تعالى-: {كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ} [يوسف: ٢٤] الكاف من {كَذلِكَ} [يوسف: ٢٤] يجوز أن تكون رفعًا، بأن يكون خبر ابتداء محذوف، والتقدير: البراهين كذلك، ويكون نعتًا لمصدر محذوف، أي أريناه البراهين رؤية كذلك. والسوء الشهوة، والفحشاء المباشرة.**

**وقيل: السوء الثناء القبيح، والفحشاء الزنى.**

**وقيل: السوء خيانة صاحبه، والفحشاء ركوب الفاحشة.**

**وقيل: السوء عقوبة الملك العزيز. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (المخلِصين) [يوسف: ٢٤] بكسر اللام، وتأويلها الذين أخلصوا طاعة الله، وقرأ الباقون بفتح اللام، وتأويلها: الذين أخلصهم الله لرسالته، وقد كان يوسف -صلى الله عليه وسلم- بهاتين الصفتين؛ لأنه كان مخلِصًا في طاعة الله -تعالى-، مستخلَصًا لرسالة الله -تعالى-.**

**قوله -تعالى-: {وَاسْتَبَقَا الْبابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ} [يوسف: ٢٥]. فيه مسألتان: الأولى: قوله -تعالى-: {وَاسْتَبَقَا الْبابَ} [يوسف: ٢٥]، قال العلماء: وهذا من اختصار القرآن المعجز الذي يجتمع فيه المعاني، وذلك أنه لما رأى برهان ربه هرب منها فتعاديا، هي لترده إلى نفسها".**

تعاديا من العدو، وليس من العداوة.

**"هي لترده إلى نفسها، وهو ليهرب عنها، فأدركته قبل أن يخرج. {وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ} [يوسف: ٢٥] أي من خلفه، قبضت في أعلى قميصه فتخرق القميص عند طوقه، ونزل التخريق إلى أسفل القميص.**

**والاستباق طلب السبق إلى الشيء، ومنه السباق. والقد القطع، وأكثر ما يستعمل فيما كان طولًا، قال النابغة:**

**تقدّ السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباحب**

**والقط بالطاء يستعمل فيما كان عرضًا.**

**وقال المفضل بن حرب: قرأت في مصحف (فلما رأى قميصه عط من دبر) [يوسف: ٢٥] أي شق. قال يعقوب: العط الشق في الجلد الصحيح والثوب الصحيح. وحذفت الألف من {اسْتَبَقَا} [يوسف: ٢٥] في اللفظ؛ لسكونها، وسكون اللام بعدها، كما يقال: جاءني عبد الله في التثنية".**

اثنين، اثنين، كلهم بهذا الاسم، {دَّعَوَا اللَّهَ} [الأعراف: ١٨٩].

**"ومن العرب من يقول: جاءني عبد الله بإثبات الألف بغير همز، يجمع بين ساكنين؛ لأن الثاني مدغم، والأول حرف مد ولين. ومنهم من يقول: عبدا الله بإثبات الألف والهمز، كما تقول في الوقف.**

**الثانية: في الآية دليل على القياس والاعتبار، والعمل بالعرف والعادة، لما ذكر من قد القميص مقبلًا ومدبرًا، وهذا أمر انفرد به المالكية في كتبهم، وذلك أن القميص إذا جبذ من خلف تمزق من تلك الجهة، وإذا جبذ من قدام تمزق من تلك الجهة، وهذا هو الأغلب".**

هذا هو الأغلب، وإلا على حسب قوته من الخلف ومن الأمام، إذا كان فيه ضعف من الأمام وأثر عليه الجذب من الخلف، ما فيه أنه يتمزق، لو جر واحد ثوبه من الخلف انقطعت الأزارير؛ لأنها أضعف من القماش من الخلف، لكن لو كان الأمام في القوة بمثابة الخلف كله بمنزلة واحدة، لا شك أن محل الجذب هو الذي يتأثر أكثر من غيره.

**"قوله -تعالى-: {وَأَلْفَيا سَيِّدَها لَدَى الْبابِ} [يوسف: ٢٥] أي وجدا العزيز عند الباب، وعنى بالسيد الزوج، والقبط يسمون الزوج سيدًا. يقال: ألفاه وصادفه ووارطه ووالطه ولاطه، كله**

**بمعنى واحد، فلما رأت زوجها طلبت وجهًا للحيلة وكادت فـ{قالَتْ ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً} [يوسف: ٢٥] أي زنى. {إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذابٌ أَلِيمٌ} [يوسف: ٢٥] تقول: يضرب ضربًا وجيعًا. و{ما جَزاءُ} [يوسف: ٢٥] ابتداء، وخبره {أَنْ يُسْجَنَ} [يوسف: ٢٥]. {أَوْ عَذابٌ} [يوسف: ٢٥] عطف على موضع {أَنْ يُسْجَنَ} [يوسف: ٢٥]؛ لأن المعنى: إلا السجن. ويجوز أو عذابًا أليمًا بمعنى: أو يعذب عذابًا أليمًا، قاله الكسائي.**

**قوله -تعالى-: {قالَ هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها} [يوسف: ٢٦]. فيه ثلاث مسائل:**

**الأولى: قال العلماء: لما برأت نفسها، ولم تكن صادقة في حبه -لأن من شأن المحب إيثار المحبوب- قال: {هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي} [يوسف: ٢٦] نطق يوسف بالحق في مقابلة بهتها وكذبها عليه.**

**قال نوف الشامي وغيره: كأن يوسف -عليه السلام- لم يبن عن كشف القضية، فلما بغت به غضب فقال الحق.**

**الثانية: {شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها} [يوسف: ٢٦]".**

الستر، الستر له حد، الستر على العاصي له حد، فإذا وقعت الهفوة والزلة لأول مرة وصاحبها الندم والوجل، مثل هذا «**من ستر مسلمًا ستره الله**»، لكن من تمادى، ونزع جلباب الحياء عن نفسه، مثل هذا لا يجوز الستر عليه بحال؛ لأنه إذا سُتر عليه، ثم سُتر عليه، ثم، متى يرتدع؟ ومتى يرعوي؟ لا سيما إذا عمت المعصية وكثرت، فإنه لا بد من فضح العصاة، ولا بد أن توجد الغلظة، ولا تأخذنا الرحمة بهم حتى يرتدعوا ويرعووا، ويكونوا عبرة لكل من تسول له نفسه أن يعمل مثل عملهم، وإلا فما فائدة تشريع الحدود إذا قلنا بالستر اللا محدود؟

**طالب: .....**

متى؟

ما الفائدة من شرعية الحدود؟

الفائدة من مؤاخذة الزاني، وجلده مائة جلدة، ولا تأخذنا بهم رأفة في دين الله؟ الفائدة من شرعية رجمه بالحجارة حتى يموت حتى يرتدع هو بالدرجة الأولى قبل أن يقع، وإذا وقع صار عبرة لغيره، والله المستعان.

**"الثانية: {شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها} [يوسف: ٢٦]؛ لأنهما لما تعارضا في القول احتاج الملك إلى شاهد؛ ليعلم الصادق من الكاذب، فشهد شاهد من أهلها. أي حكم حاكم من أهلها؛ لأنه حكم منه وليس بشهادة. وقد اختلف في هذا الشاهد على أقوال أربعة".**

الملك، الملك احتاج إلى مثل هذا الشاهد لعله يبرؤها مما وقعت فيه، وإلا فالأمر لا يحتاج إلى شهادة عنده مع كونه ضعيف الغيرة، بل معدوم الغيرة، هو يريد أن يبرأ هذه المرأة، ولذا لما ثبت عنده الأمر، ووضح وضوح الشمس في رابعة النهار، قال، ماذا قال؟ {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} [يوسف: ٢٩]، وأنت افعلي إيش؟ {اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ} [يوسف: ٢٩]، ما حصل أكثر من هذا، ما حصل أكثر من هذا، وهو رجل كافر.

لكن مما يؤسف، الأسف الشديد أن يوجد في بلاد المسلمين من يقف على خيانة زوجته أو ابنته ولا يحرك ساكنًا، نسأل الله العافية، هذه الدياثة، يطلب من الهيئة أن تخرج تختبر وترجع لهم، ما المسألة مسألة اختبار الآن، المسألة مسألة عرض، أعظم من ذلك كله، يعني إذًا لا تخرج للاختبار، تؤدي الاختبار وترجع، مثل قول الديوث هذا {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ} [يوسف: ٢٩]، وما الذي حصل؟ تطلع وتختبر وترجع لكم، ما حصل شيء، هذه هي الدياثة بعينها -نسأل الله العافية، نسأل الله السلامة والعافية-، فمثل هؤلاء يحتاجون إلى رادع يردهم.

المؤسف أننا لا ندرك أن مثل هذه الأشياء تعد عونًا للأعداء علينا، نعين الأعداء بهذه التصرفات على أنفسنا، وإلا لو أطر الناس على الحق، أطر الناس على الحق، وأخذ الكتاب منهم بقوة، ونُفذت حدود الله، وما حصل التساهل من بعض الناس أو من بعض الجهات، ما حصل مثل هذه الأمور، وأعظم عون للأعداء علينا ذنوبنا، ما كسبت أيدينا، مع أن الله -سبحانه وتعالى- يعفو عن كثير، وإلا فمحافل المسلمين ومجامعهم وبيوتهم وأسواقهم وعلى كافة المستويات الأمر جد خطير، السوس ينخر في الأمة، ومع ذلك يوجد من ينادي بالعفو والتسامح، إلى أي حد العفو والتسامح؟ إلى أي حد يقبل الستر؟ لا تخبر زوج المرأة لئلا يطلقها، بلى فليطلقها أقل حق، أقل حق له أن يُخبر، متى تحفظ هذه المرأة إذا لم يخبر زوجها؟ هذا أقل الأحوال، كيف يطأ زوجة وطأها غيره؟ متى تستبرأ المرأة إذا لم يخبر زوجها؟

اختلاط المياه، واختلاط الأنساب، أمر خطير جدًّا من الضرورات مثل حفظ النفوس، حفظ الأعراض.

وكان وضعه عند المسلمين بل عند العرب أشد من حفظ النفوس، موقع الأعراض ووضع الأعراض، لكن صار الناس يختلطون بالكفار، الذي سافر لهم سافر، والذي ما سافر جاؤوا هم له، والذي ما رآهم بالمشاهدة، رآهم بالوسائل والقنوات، وإذا كثر الإمساس قل الإحساس، ماذا صار؟ والله المستعان، نسأل الله اللطف.

**"وقد اختلف في هذا الشاهد على أقوال أربعة: الأول: أنه طفل في المهد تكلم، قال السهيلي: وهو الصحيح، للحديث الوارد فيه عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو قوله: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة»، وذكر فيهم شاهد يوسف.**

**وقال القشيري أبو نصر: قيل فيه".**

بعض الشراح أساء الأدب، وقال على قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة**»، قال: في هذا الحصر نظر، ثبت أنه تكلم غير هؤلاء الثلاثة، لكن الأسلوب قبيح، الذي حصر النبي -عليه الصلاة والسلام- المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وهو الذي أخبر بالقدر الزائد على الثلاثة، لكن عندما تكلم بهذا الحديث لم يخبر إلا بهؤلاء الثلاثة، ثم أُخبر بالقدر الزائد على هؤلاء الثلاثة.

**طالب: .....**

أبو نصر ماذا فيه؟

**طالب: تفسيره مطبوع؟**

تفسيره مطبوع نعم، ثلاثة مجلدات.

**"قيل فيه: كان صبيًا في المهد في الدار وهو ابن خالتها، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «تكلم أربعة وهم صغار»، فذكر منهم شاهد يوسف، فهذا قول.**

**الثاني: أن الشاهد قدُّ القميص، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد".**

الثلاثة المذكورون في حديث الصحيح منهم شاهد يوسف؟

**طالب: .....**

عيسى، وصاحب جريج، وصاحب القصة التي في الصحيح، لكن نُقل في الحديث أن شاهد يوسف ممن تكلموا في المهد، هناك قول آخر أنه كبير أيضًا.

**طالب: .....**

أوصلوهم إلى سبع، أوصلوهم إلى سبع.

**طالب: .....**

نعم.

**طالب: .....**

ماذا فيه؟

**طالب: .....**

ثم أُوحي إليه بالقدر الزائد.

**"وهو مجاز صحيح من جهة اللغة، فإن لسان الحال أبلغ من لسان المقال، وقد تضيف العرب الكلام إلى الجمادات وتخبر عنها بما هي عليه من الصفات".**

يعني لا يوجد شاهد، الشاهد شاهد الحال، قدّ القميص هو الشاهد، شواهد الأحوال قد تكون أبلغ من شواهد المقال.

**"وذلك كثير في أشعارها وكلامها، ومن أحلاه قول بعضهم: قال الحائط للوتد لم تشقني؟ قال له: سل من يدقني. إلا أن قول الله -تعالى- بعد {مِنْ أَهْلِهَا} [يوسف: ٢٦] يبطل أن يكون القميص.**

**الثالث: أنه خلق من خلق الله -تعالى- ليس بإنسي ولا بجني، قاله مجاهد أيضًا، وهذا يرده قوله -تعالى-: {مِنْ أَهْلِهَا} [يوسف: ٢٦].**

**الرابع: أنه رجل حكيم ذو عقل كان الوزير يستشيره في أموره، وكان من جملة أهل المرأة، وكان مع زوجها فقال: قد سمعت الاستبدار والجلبة من وراء الباب، وشق القميص، فلا يدرى أيكما كان قدام صاحبه، فإن كان شق القميص من قدامه فأنت صادقة، وإن كان من خلفه فهو صادق، فنظروا إلى القميص فإذا هو مشقوق من خلف، هذا قول الحسن وعكرمة وقتادة والضحاك ومجاهد أيضًا والسدي. قال السدي: كان ابن عمها، وروي عن ابن عباس، وهو الصحيح في الباب، والله أعلم. وروي عن ابن عباس -رواه عنه إسرائيل عن سماك عن عكرمة- قال: كان رجلًا ذا لحية.**

**وقال سفيان عن جابر عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس أنه قال: كان من خاصة الملك.**

**وقال عكرمة: لم يكن بصبي، ولكن كان رجلًا حكيمًا.**

**وروى سفيان عن منصور عن مجاهد قال: كان رجلًا. قال أبو جعفر النحاس: والأشبه بالمعنى -والله أعلم- أن يكون رجلًا عاقلًا حكيمًا شاوره الملك، فجاء بهذه الدلالة، ولو كان طفلًا لكانت شهادته ليوسف -صلى الله عليه وسلم- تغني عن أن يأتي بدليل من العادة؛ لأن كلام الطفل آية معجزة، فكادت أوضح من الاستدلال بالعادة".**

ولذا لما قال الطفل صاحب جريج: إن أباه الراعي، ما أحد يتردد في قبول هذه الشهادة، وهو في المهد، بل قاموا يتبركون بجريج ويتمسحون به، وطلبوا منه أن يعيدوا الصومعة من ذهب، لكنه قال: أعيدوها من طين كما كانت، فمثل هذا تذعن له النفوس، وتصدقه فور سماعه؛ لأن هذا أمر قدر زائد على مجرد الشهادة.

**طالب: .....**

كونه حُمل به ووُضع ما ينفي أن يكون من جريج، لكن كونه قال: إن أباه الراعي، هذا الذي ينفي، وهو في المهد.

**طالب: .....**

ما يلزم، قد يكون شاهد الحال فيه شيء من الضعف، شاهد الحال ما يجيب، ما يجيب بنفسه، لكن إذا كانت هناك دلالة من الحال، جدارنا هذا من الذي هدمه؟ وجاء شخص يقول: أنا ما هدمته، الجدار ما هُدم، نقول: لا، هو مهدوم الآن، مثل ما حصل من صاحب الحمار، جاء شخص يستعير حمارًا، قال: والله أعطيناه فلانًا ينتفع به أعاره، ثم نهق الحمار، شهادة الحمار أوثق من شهادته، وهو حمار، لكن هذه شهادة حال يعني واقعًا، فهي أقوى من شهادته، وإن كان ثقة في الظاهر، وإلا ففي الباطن ما يمكن أن يكون ثقة.

**"وليس هذا بمخالف للحديث: «تكلم أربعة وهم صغار»، منهم صاحب يوسف، يكون المعنى: صغيرًا ليس بشيخ، وفي هذا دليل آخر وهو: أن ابن عباس -رضي الله عنهما- روى الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد تواترت الرواية عنه أن صاحب يوسف ليس بصبي. قلت: قد روي عن ابن عباس وأبي هريرة وابن جبير وهلال بن يساف والضحاك أنه كان صبيًّا في المهد، إلا أنه لو كان صبيًّا تكلم لكان الدليل نفس كلامه، دون أن يحتاج إلى استدلال بالقميص، وكان يكون ذلك خرق عادة، ونوع معجزة، والله أعلم. وسيأتي من تكلم في المهد من الصبيان في سورة البروج -إن شاء الله-.**

**الثالثة: إذا تنزلنا على أن يكون الشاهد طفلًا صغيرًا فلا يكون فيه دلالة على العمل بالأمارات كما ذكرنا، وإذا كان رجلًا فيصح أن يكون حجة بالحكم بالعلامة في اللقطة وكثير من المواضع، حتى قال مالك في اللصوص: إذا وُجدت معهم أمتعة فجاء قوم فادعوها، وليست لهم بينة فإن السلطان يتلوم لهم في ذلك".**

يعني يتأخر يرددهم حتى يقع على الحقيقة.

**"فإن لم يأت غيرهم دفعها إليهم.**

**وقال محمد في متاع البيت إذا اختلفت فيه المرأة والرجل: إن ما كان للرجال فهو للرجل، وما كان للنساء فهو للمرأة، وما كان للرجل والمرأة فهو للرجل".**

محمد بن الحسن، فيه أشياء ما يحتاج إلى أن تقام الشهادة على أنها للرجل، الأشياء التابعة لوظيفته مثلًا، نقول: يحتمل أنها للمرأة؟ وما تختص به المرأة من أمتعة فهو للمرأة، وما هو مشترك بينهما يُنظر فيه.

**"وكان شريح وإياس بن معاوية يعملان على العلامات في الحكومات، وأصل ذلك هذه الآية، والله أعلم".**

يعني يعملون بالقرائن، بالقرائن.

**طالب: .....**

ما فيه مانع؛ لأنه ما ثبت أنه صبي، والأصل في الشهادة أن تكون للكبير.

**"قوله -تعالى-: {إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ} [يوسف: ٢٦] {كَانَ} [يوسف: ٢٦] في موضع جزم بالشرط، وفيه من النحو ما يشكل؛ لأن حروف الشرط ترد الماضي إلى المستقبل، وليس هذا في كان، فقال المبرد محمد بن يزيد: هذا لقوة كان، وأنه يعبر بها عن جميع الأفعال.**

**وقال الزجاج: المعنى إن يكن، أي إن يُعْلَم، والعلم لم يقع، وكذا الكون؛ لأنه يؤدي عن العلم.**

**{قُدَّ مِنْ قُبُلٍ} [يوسف: ٢٦] فخبر عن {كَانَ} [يوسف: ٢٦] بالفعل الماضي، كما قال زهير:**

**وكان طوى كشحا على مستكنة فلا هو أبداها ولم يتقدم**

**وقرأ يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق".**

ابن أبي إسحاق؟

**طالب:** .....

كذا؟

**طالب:** .....

معروف من القراء هذا؟ يا عبد الله! ابن أبي إسحاق؟

**طالب:** .....

نعم.

**طالب:** .....

ابن أبي إسحاق، نعم.

**"وقرأ يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق (مِنْ قُبُلُ) [يوسف: ٢٦] بضم القاف والباء واللام، وكذا (دُبُرُ) [يوسف: ٢٧]، قال الزجاج: يجعلهما غايتين كقبل وبعد، كأنه قال: من قبله ومن دبره، فلما حذف المضاف إليه -وهو مراد- صار المضاف غاية نفسه بعد أن كان المضاف إليه غاية له. ويجوز (مِنْ قُبُلَ) [يوسف: ٢٦]، و(مِنْ دُبُرَ) [يوسف: ٢٧] بفتح الراء واللام تشبيهًا بما لا ينصرف".**

هناك القراءة من قراءة يحيى بن يعمر **(مِنْ قُبُلُ)** [يوسف: ٢٦]، **(مِنْ دُبُرُ)** [يوسف: ٢٧]؛ لأنه حذف المضاف مع أنه ما نُوي في الكلام، مثل من قبل ومن بعد، فبني على الضم، فينزل منزلة قبل وبعد والجهات الست، كل هذه إذا حُذف المضاف -مع أنه منوي- يبنى على الضم.

**"ويجوز (مِنْ قُبُلَ) [يوسف: ٢٦]، و(مِنْ دُبُرَ) [يوسف: ٢٧] بفتح الراء واللام تشبيهًا بما لا ينصرف؛ لأنه معرفة ومزال عن بابه".**

يعني سببه العدل، العلمية والعدل، العلمية والعدل، هما معرفتان، لكن هل هما علامان؟ لكن كل هذا تشبيه، تشبيه للمعرفة بالعلم، دبر، قبل، كأنه معدول عن اسم الفاعل.

"وروى محبوب عن أبي عمرو (مِنْ قُبْلٍ) [يوسف: ٢٦]، و(مِنْ دُبْرٍ) [يوسف: ٢٦] مخففان مجروران".

مخففان مسكنة، ساكنة الوسط.

"قوله -تعالى-: {فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ} [يوسف: ٢٨]، قيل: قال لها ذلك العزيز عند قولها: {ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً} [يوسف: ٢٥].

وقيل: قاله لها الشاهد. والكيد: المكر والحيلة، وقد تقدم في الأنفال. {إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} [يوسف: ٢٨]، إنما قال: {عَظِيمٌ} [يوسف: ٢٨]؛ لعظم فتنتهن واحتيالهن في التخلص من ورطتهن.

وقال مقاتل عن يحيى بن أبي كثير عن أبي هريرة قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان؛ لأن الله -تعالى- يقول: {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً} [النساء: ٧٦]، وقال: {إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} [يوسف: ٢٨]»".

هذا يثبت؟

**طالب:** .....

معروف، لكن مرفوع؟ مقاتل، مقاتل بن سليمان؟ خرجه عندك؟

**طالب:** .....

لا يثبت مرفوعًا، ماذا يقول؟

**طالب:** .....

مقاتل، نعم، معروف.

**طالب:** .....

لا يثبت مرفوعًا، مرفوعًا لا يثبت، هو استُدل بآيات، هل نقول: إن معناه صحيح؛ لأن الآية تثبت ذلك، كيد النساء أعظم من كيد الشيطان؟ أو نقول: لا، حتى معناه ليس بصحيح؟ لأن كيد النساء أعظم من كيد الرجال، ويبقى أن كيد الشيطان بالنسبة لكيد الله -سبحانه وتعالى- ضعيف، وإلا فأين تقع المرأة من كيد الشيطان؟ كيد النساء بالنسبة لكيد الرجال عظيم، يبقى أن كيد الشيطان بالنسبة لكيد الله ضعيف، فلا يلزم من ذلك أن كيد المرأة أعظم من كيد الشيطان، فالجهة منفكة، مختلفة الجهة، يمكن هذا أم ما يمكن؟

**طالب:** .....

"قوله -تعالى-: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا} [يوسف: ٢٩] القائل هذا هو الشاهد. و{يُوسُفُ} [يوسف: ٢٩] نداء مفرد، أي يا يوسف، فحذف. {أَعْرِضْ عَنْ هذا} [يوسف: ٢٩] أي لا تذكره لأحد واكتمه. ثم أقبل عليها فقال: وأنت {اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ} [يوسف: ٢٩] يقول: استغفري زوجك من ذنبك لا يعاقبك. {إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخاطِئِينَ} [يوسف: ٢٩]".

هذا القول لو أن القائل هو الشاهد، والأولى أن يكون القائل هو الزوج لما عُرف عنه من ذهاب الغيرة، وهذا أمر متفق عليه عند عامة المفسرين، أن الرجل لا غيرة عنده -نسأل الله العافية-، بل بعض المفسرين طرد ذلك في قومه.

"**ولم يقل من الخاطئات؛ لأنه قصد الإخبار عن المذكر والمؤنث، فغلَّب المذكر، والمعنى: من الناس الخاطئين، أو من القوم الخاطئين، مثل: {إِنَّها كانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ} [النمل: ٤٣]، {وَكانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ} [التحريم: ١٢].**

**وقيل: إن القائل ليوسف أعرض ولها استغفري زوجها الملك، وفية قولان: أحدهما: أنه لم يكن غيورًا، فلذلك كان ساكنًا، وعدم الغيرة في كثير من أهل مصر موجود**".

هم وغيرهم الآن على حد سواء، هم وغيرهم على حد سواء.

**طالب:** .....

كيف؟

**طالب:** .....

المفسرون كلهم قالوا هذا؛ لأنه بلده مصر، لأن بلد العزيز مصر.

"**الثاني: أن الله -تعالى- سلبه الغيرة، وكان فيه لطف بيوسف حتى كُفي بادرته، وعفا عنها**".

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمدٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

# تفسير القرطبي

# سورة يوسف

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

| | | | |
|---|---|---|---|
| **تاريخ المحاضرة:** | **١٤٣١/١١/١٨هـ** | **المكان:** | |

**"الفتى في كلام العرب الشاب، والمرأة فتاة. {قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا} [يوسف: ٣٠] قيل: شغفها غلبها. وقيل: دخل حبه في شغافها، عن مجاهد وغيره.**

**وروى عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: دخل تحت شغافها.**

**وقال الحسن: الشغف باطن القلب. وقال السدي وأبو عبيد: شغاف القلب غلافه، وهو جلدة عليه.**

**وقيل: هو وسط القلب، والمعنى في هذه الأقوال متقارب، والمعنى: وصل حبه إلى شغافها فغلب عليه، قال النابغة:**

وقد حال همّ دون ذلك داخل دخول الشغاف تبتغيه الأصابع

**وقد قيل: إن الشغاف داء، وأنشد الأصمعي للراجز:**

يتبعها وهي له شغاف .....

**وقرأ أبو جعفر بن محمد وابن محيصن والحسن (شعفها) [يوسف: ٣٠] بالعين غير معجمة، قال ابن الأعرابي: معناه أحرق حبه قلبها، قال: وعلى الأول العمل. قال الجوهري: وشعفه الحب أحرق قلبه. وقال أبو زيد: أمرضه. وقد شعف بكذا فهو مشعوف.**

**وقرأ الحسن: (قد شعفها) [يوسف: ٣٠] قال: بطنها حبًّا. قال النحاس: معناه عند أكثر أهل اللغة قد ذهب بها كل مذهب".**

يعني حتى استولى على قلبها وعلى تفكيرها، فلا تفكر إلا فيه، ولا تحب إلا إياه، والله المستعان.

**"لأن شعاف الجبال أعاليها، وقد شغف بذلك شغفًا -بإسكان الغين- إذا أولع به، إلا أن أبا عبيدة أنشد بيت امرئ القيس:**

**لتقتلني وقد شعفت فؤادها كما شعف المهنوءة الرجل الطالي**

**قال: فشبهت لوعة الحب وجواه بذلك. وروي عن الشعبي أنه قال: الشغف بالغين المعجمة حب، والشعف بالعين غير المعجمة جنون. قال النحاس: وحكي (قد شغفها) [يوسف: ٣٠] بكسر الغين، ولا يعرف في كلام العرب إلا {شَغَفَهَا} [يوسف: ٣٠] بفتح الغين، وكذا (شعفها) أي تركها مشعوفة.**

**وقال سعيد بن أبي عروبة عن الحسن: الشغاف حجاب القلب، والشعاف سويداء القلب، فلو وصل الحب إلى الشعاف لماتت، وقال الحسن: ويقال: إن الشغاف الجلدة اللاصقة بالقلب التي لا ترى، وهي الجلدة البيضاء، فلصق حبه بقلبها كلصوق الجلدة بالقلب".**

الجلدة التي يشير إليها: غشاء رقيق مثل ما يكون على البيضة، على الكلية، وما أشبه ذلك، تلصق بهذه الأعضاء، فكأنه شبه حبها يوسف وما بلغ بهذه الجلدة التي لصقت بالقلب، والشعاف يقولون: أبلغ من الشغاف؛ لأنه لو وصل إلى حد الشعاف لجُنت؛ كما حصل لكثير من المحبين

المتيمين، يصل بهم الحب إلى حد الجنون -نسأل الله العافية-، ما أخبار مجنون ليلى عنا ببعيدة!

وهذا كما يحصل من الرجال يحصل من النساء، وإذا كان مثل هذا يحصل من الرجال مع تمتعهم بشيء من العقل الذي يحجزهم بعض الشيء، فلأن يبلغ بالنساء هذا وأشد، وشواهد الحال تدل على ذلك، امرأة ملك، امرأة ملك تحب غلامًا يباع ويشترى، لكن مثل هذا الحب سلطان فوق سلطان الملك، ولولا ما شرعه الله -سبحانه وتعالى- من الحدود التي تردع الناس مما يجعلهم أو يجعل كثيرًا منهم يقطع التفكير في منتصف طريقه، وإلا إذا وصل به الحد إلى ما وصل بهذه المرأة، فإنه لا يردعه إلا الحد.

فلا شك أن الحدود شُرعت رحمةً للعالمين، للخلق، تردعهم من الوقوع في مثل هذه المحرمات، ولا شك أن التساهل في تطبيق هذه الحدود، هذا تفريط فيما أمر الله -سبحانه وتعالى- به، وخيانة للأمة التي شُرعت الحدود من أجل صيانتها من الوقوع في مثل هذه المحرمات، والله المستعان.

**"قوله تعالى: {إِنَّا لَنَرَاها فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} [يوسف: ٣٠] أي في هذا الفعل.**

**وقال قتادة: (فَتاها) [يوسف: ٣٠] وهو فتى زوجها؛ لأن يوسف كان عندهم في حكم المماليك، وكان ينفذ أمرها فيه".**

ملك الزوج لا شك أنه ملك لامرأته باعتبار أنها تنتفع به كما تنتفع بملكها، وهي تقول: هذا بيتي، وهذه سيارتنا، تقول: هذا بيتنا، وهذا بيتي، وهذه سيارتي، وهو بيت زوجها، وسيارته، لكن باعتبار أنها تتصرف في ذلك تصرف الملاك يضاف إليها.

**"وقال مقاتل: وعن أبى عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال: إن امرأة العزيز استوهبت زوجها يوسف فوهبه لها، وقال: ما تصنعين به؟ قالت: أتخذه ولدًا، قال: هو لك، فربته حتى أيفع وفى نفسها منه ما في نفسها، فكانت تنكشف له وتتزين وتدعوه من وجه اللطف، فعصمه الله.**

**قوله تعالى: {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ} [يوسف: ٣١] أي بغيبتهن إياها، واحتيالهن في ذمها".**

وقعن في عرضها، وتحدثن فيما بينهن فيما صنعته، لكن تريد أن تبرر موقفها، تبرأ نفسها، وتظهر أنها محقة فيما صنعت، والله المستعان.

**"وقيل: إنها أطلعتهن واستأمنتهن فأفشين سرها، فسمي ذلك مكرًا. وقوله: {أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ} [يوسف: ٣١] في الكلام حذف، أي أرسلت إليهن تدعوهن إلى وليمة لتوقعهن فيما وقعت فيه، فقال مجاهد عن ابن عباس: إن امرأة العزيز قالت لزوجها: إني أريد أن أتخذ طعامًا فأدعو هؤلاء النسوة، فقال لها: افعلي، فاتخذت طعامًا، ثم نجدت لهن البيوت، نجدت أي زينت، والنجد ما ينجد به البيت من المتاع أي يزين، والجمع نجود عن أبي عبيد، والتنجيد التزيين،**

**وأرسلت إليهن أن يحضرن طعامها، ولا تتخلف منكن امرأة ممن سميت. قال وهب بن منبه: إنهن كن أربعين امرأة، فجئن على كره منهن، وقد قال فيهن أمية بن أبي الصلت:**

حتـــــى إذا جئنهـــــا قســـــرًا ومهـــدت لهـــن أنضـــادًا وكبابًـــا

**ويروى: أنماطًا. قال وهب بن منبه: فجئن وأخذن مجالسهن. {وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً} [يوسف: ٣١] أي هيأت لهن مجالس يتكئن عليها. قال ابن جبير: في كل مجلس جام فيه عسل وأترج وسكين حاد. وقرأ مجاهد وسعيد بن جبير (متكا) [يوسف: ٣١] مخففًا غير مهموز، والمُتْك هو الأترج بلغة القبط، وكذلك فسره مجاهد. وروى سفيان عن منصور عن مجاهد قال: المتكأ مثقلًا هو الطعام، والمتك مخففًا هو الأترج، وقال الشاعر:**

نشـــرب الإثـــم بالصـــواع جهـــارًا وتـــرى المتـــك بيننـــا مســـتعارًا

**وقد تقول أزد شنوءة: الأترجة المتكة، قال الجوهري: المتك ما تبقيه الخاتنة. وأصل المتك الزماورد. والمتكاء من النساء التي لم تخفض. قال الفراء: حدثني شيخ من ثقات أهل البصرة أن المتك مخففًا الزماورد.**

**وقال بعضهم: إنه الأترج، حكاه الأخفش. ابن زيد: أترجًا وعسلًا يؤكل به، قال الشاعر:**

فظلنـــــا بنعمـــــة واتكأنـــــا وشـــــربنا الحـــــلال مـــــن قللـــــه

**أي أكلنا. قال النحاس: قوله تعالى: {وَأَعْتَدَتْ} [يوسف: ٣١] من العتاد، وهو كل ما جعلته عدة لشيء. {مُتَّكَأً} [يوسف: ٣١] أصح ما قيل فيه ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: مجلسًا، وأما قول جماعة من أهل التفسير إنه الطعام فيجوز على تقدير: طعام متكأ، مثل: {وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ} [يوسف: ٨٢]".**

الأصل أن المتكأ ما يتكئ عليه ويجلس عليه، هذا الأصل فيه، وقد يطلق المحل ويراد ما حل فيه من الطعام، لكن أصله ما يتكئ عليه، هذا الأصل فيه، ولذا قال: أصح ما قيل فيه ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، معروف أن رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فيها انقطاع، أقول: فيها انقطاع.

**"ودل على هذا الحذف {وَآتَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً} [يوسف: ٣١]؛ لأن حضور النساء معهن سكاكين إنما هو لطعام يقطع بالسكاكين، كذا قال في كتاب إعراب القرآن له.**

**وقال في كتاب معاني القرآن له: وروى معمر عن قتادة قال: المتكأ الطعام.**

**وقيل: المتكأ كل ما أتكئ عليه عند طعام أو شراب أو حديث، وهذا هو المعروف عند أهل اللغة، إلا أن الروايات قد صحت بذلك. وحكى القتبي أنه يقال: اتكأنا عند فلان أي أكلنا، والأصل في مُتَّكَئًا مُوتكأ، ومثله متزن ومتعد".**

أصلها: مؤتزن، ومؤتعد، هذا الأصل، وهي لغة الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-، إذا أراد أن يقول: هذا حديث متصل، قال: مؤتصل، ونصَّ ابن الحاجب في شافيته أن مؤتعد ومؤتسر لغة الإمام الشافعي -رحمه الله-، وهو حجة في هذا الباب.

**طالب: .....**

مؤتعد، ومؤتسر.

**طالب: .....**

لأنه يقول: مؤتصل، هذا سند مؤتصل، والمراد متصل.

**طالب: .....**

كيف؟

**طالب: .....**

في أي شيء؟

**طالب: .....**

لغتهم متعد، متزن، متكئ، لا يدغمون في هذا وهذا، يدغمون، هذا الأصل، هذه لغتهم.

**"ومثله متزن ومتعد؛ لأنه من وزنت ووعدت ووكأت، ويقال: اتكأ يتكئ اتكاء. {كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً} [يوسف: ٣١] مفعولان، وحكى الكسائي والفراء أن السكين يذكر ويؤنث، وأنشد الفراء:**

فعيث في السنام غداة قر ... بسكين موثقة النصاب

**وقال الجوهري: والغالب عليه التذكير، وقال:**

يرى ناصحًا فيما بدا فإذا خلا ... فذلك سكين على الحلق حاذق

**وقال الأصمعي: لا يعرف في السكين إلا التذكير.**

**قوله تعالى: {وَقالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ} [يوسف: ٣١] بضم التاء لالتقاء الساكنين؛ لأن الكسرة تثقل إذا كان بعدها ضمة، وكسرت التاء على الأصل. قيل: إنها قالت لهن: لا تقطعن ولا تأكلن حتى أعلمكن، ثم قالت لخادمها: إذا قلت لك ادع لي إيلًا فادع يوسف، وإيل: صنم كانوا يعبدونه، وكان يوسف -عليه السلام- يعمل في الطين، وقد شد مئزره، وحسر عن ذراعيه، فقالت للخادم: ادع لي إيلًا، أي ادع لي الرب، وإيل بالعبرانية الرب، قال: فتعجب النسوة وقلن: كيف يجئ؟! فصعدت الخادم فدعت يوسف، فلما انحدر قالت لهن: اقطعن ما معكن.**

**{فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} [يوسف: ٣١] بالمدَى حتى بلغت السكاكين إلى العظم، قاله وهب بن منبه. وقال سعيد بن جبير: لم يخرج عليهن حتى زينته، فخرج عليهن فجأة فدهشن فيه، وتحيرن لحسن وجهه وزينته وما عليه، فجعلن يقطعن أيديهن، ويحسبن أنهن**

**يقطعن الأترج، واختلف في معنى {أَكْبَرْنَهُ} [يوسف: ٣١] فروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: أعظمنه وهبنه، وعنه أيضًا أمنين وأمذين من الدهش، وقال الشاعر:**

إذا ما رأين الفحل من فوق قارة صهلن وأكبرن المني المدفقا

**وقال ابن سمعان عن عدة من أصحابه: إنهم قالوا أمذين عشقًا، وهب بن منبه: عشقنه حتى مات منهن عشرة في ذلك المجلس دهشًا وحيرة ووجدًا بيوسف.**

**وقيل: معناه حِضْن من الدهش، قاله قتادة ومقاتل والسدي، قال الشاعر:**

نأتي النساء على أطهارهن ولا نأتي النساء إذا أكبرن إكبارًا

**وأنكر ذلك أبو عبيدة وغيره وقالوا: ليس ذلك في كلام العرب، ولكنه يجوز أن يكن حضن من شدة إعظامهن له، وقد تفزع المرأة فتسقط ولدها أو تحيض. قال الزجاج: يقال: أكبرنه، ولا يقال حضنه، فليس الإكبار بمعنى الحيض، وأجاب الأزهري فقال: يجوز أكبرت بمعنى حاضت؛ لأن المرأة إذا حاضت في الابتداء خرجت من حيز الصغر إلى الكبر".**

دخلت، دخلت، أكبرت يعني دخلت في حيز الكبر؛ كما يقال: أظلم وأنجد وأتهم، دخل فيما ذكر من الظلام ونجد وتهامة وغيرها، وهنا من شدة الذهول قطعن أيديهن، وهناك رجل تزوج امرأة في غاية الجمال، فجاء بها لكي تراها أم أولاده، وكانت أم أولاده في مهنتها، بيدها السكين تقطع لتجهز الغداء، فلما رأت المرأة بدلًا من أن تقطع الخضار وما أشبهها، قطعت الفرشة، فرشة البيت، قطعتها بالسكين من هول ما رأت، هذا لا شك أنه واقع، كل هذا أمر معروف عند النساء، ويوجد عند بعض الرجال إذا بلغ بهم هذا الأمر مبلغه، إذا رأى ما يعجبه يذهل ويفقد عقله وتوازنه، ويتصرف مثل هذه التصرفات، والله المستعان.

**"قال: والهاء في {أَكْبَرْنَهُ} [يوسف: ٣١] يجوز أن تكون هاء الوقف لا هاء الكناية".**

يعني ليست بضمير، **{أَكْبَرْنَهُ}** [يوسف: ٣١] يعني أكبرنه، لكن الهاء هاء السكت، لا هاء الكناية، وليست أكبرن يوسف، أكبرن يعني حضن، وليس المراد حضنه يعني حضن يوسف، لا، حضن، يعني نزل عليهن الدم من شدة أو من هول ما رأين، هذا معروف، المرأة إذا فزعت أو حصل لها شيء من المصيبة أو الكارثة ينزل عليها شيء من الدم يسمى النزيف أو استحاضة، هذا معروف، وليس المراد بالهاء هنا الكناية التي هي الضمير، وإنما هي هاء السكت.

**"وهذا مزيف؛ لأن هاء الوقف تسقط في الوصل، وأمثل منه قول ابن الأنباري: إن الهاء كناية عن مصدر الفعل، أي أكبرن إكبارًا، بمعنى حضن حيضًا. وعلى قول ابن عباس الأول تعود الهاء إلى يوسف، أي أعظمن يوسف وأجللنه.**

**قوله تعالى: {وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} [يوسف: ٣١] قال مجاهد: قطعنها حتى ألقينها. وقيل: خدشنها. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: حزًّا بالسكين، قال النحاس: يريد مجاهد أنه**

**ليس قطعًا تبين منه اليد، إنما هو خدش وحز، وذلك معروف في اللغة أن يقال إذا خدش الإنسان يد صاحبه: قطع يده.**

**وقال عكرمة: {أَيْدِيَهُنَّ} [يوسف: ٣١] أكمامهن، وفيه بعد.**

**وقيل: أناملهن، أي ما وجدن ألمًا في القطع والجرح، أي لشغل قلوبهن بيوسف، والتقطيع يشير إلى الكثرة".**

إذا انشغل الإنسان بشيء استولى عليه، لا يحس بما يؤلمه، لا يحس بما يؤلمه، ذكر عن بعضهم أنه إذا أراد أن يستأصل منه عضو دخل في الصلاة، شرع في الصلاة، وانشغل بها عما حوله، وحصلوا منه على ما يريدون وهو لا يشعر، مثل البنج، إذا وصل الانشغال -انشغال القلب- إلى هذا الحد، فالإنسان لا يحس بما حوله، والله المستعان.

**"والتقطيع يشير إلى الكثرة فيمكن أن ترجع الكثرة إلى واحدة جرحت يدها في مواضع، ويمكن أن يرجع إلى عددهن".**

الأصل أن يرجع إلى كل واحدة منهن، كل واحدة قطعت يدها في مواضع من يدها.

**"قوله تعالى: {وَقُلْنَ حاشَ لِلَّهِ} [يوسف: ٣١] أي معاذ الله".**

اشتهر على ألسنة الناس أن هذه التقطيعات التي في اليد هي من آثار، هذا موجود عند عامة الناس، أقول: هذا موجود، الناس يتوقعون أن هذه التقطيعات التي في اليد هي من آثار تقطيع تلك النسوة، ولا أصل له، يعني لو وُجد في يد ما يوجد في الثانية التي بها السكين، يعني لو وُجد في يد واحدة، ما يمكن أن يوجد في الثانية، إذا قطعت واحدة كيف تقطع الثانية وهي بها السكين؟ والله المستعان، كل هذا مما اشتهر على ألسنة العامة مما لا أصل له.

**طالب: .....**

يقولون: واحد وثمانون وثمانية عشر تساوي تسعًا وتسعين، إذا حذفت ثمانية عشر صار عمر الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

**طالب: .....**

المجموع تسة وتسعون، وإذا حذفت؟ إيش يصير؟ ثلاثًا وستين عمر الرسول، هذا اتفاقًا حصل، أقول: هذا حصل اتفاقًا، والناس إذا وقع شيء يوافق شيئًا أولوه عليه ونزلوه عليه.

**"وروى الأصمعي عن نافع أنه قرأ كما قرأ أبو عمرو بن العلاء. (وَقُلْنَ حاشَا لِلَّهِ) [يوسف: ٣١] بإثبات الألف، وهو الأصل، ومن حذفها جعل اللام في {لِلَّهِ} [يوسف: ٣١] عوضًا منها. وفيها أربع لغات، يقال: حاشاك، وحاشا لك، وحاش لك، وحشا لك. ويقال: حاشا زيد، وحاشا زيدًا".**

إما بالإضافة، أو ينصب على الاستثناء.

**"قال النحاس: وسمعت علي بن سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: النصب أولى؛ لأنه قد صح أنها فعل لقولهم: حاش لزيد، والحرف لا يحذف منه، وقد قال النابغة:**

ولا أحاشي من الأقوام من أحد ..... .....

**وقال بعضهم: حاش حرف، وأحاشي فعل. ويدل على كون حاشا فعلًا وقوع حرف الجر بعدها. وحكى أبو زيد عن أعرابي: اللهم اغفر لي ولمن يسمع، حاشا الشيطان وأبا الأصبغ، فنصب بها. وقرأ الحسن: (وقلن حاش لله) [يوسف: ٣١] بإسكان الشين، وعنه أيضًا: (حاش الإله) [يوسف: ٣١]. وقرأ ابن مسعود وأبي: (حاش الله) [يوسف: ٣١] بغير لام، ومنه قول الشاعر:**

حاشا أبي ثوبان إن به ضنًا عن الملحاة والشتم

**قال الزجاج: وأصل الكلمة من الحاشية، والحشا بمعنى الناحية، تقول: كنت في حشا فلان أي في ناحيته، فقولك: حاشا لزيد أي تنحى زيد من هذا وتباعد عنه، والاستثناء إخراج وتنحية عن جملة المذكورين.**

**وقال أبو علي: هو فاعل من المحاشاة، أي حاشا يوسف، وصار في حاشية، وناحية مما قرف به".**

من المستعمل بين الناس فلان حاش، يعني ذهب مذهبًا بعيدًا في ناحية بعيدة، يعني هرب.

**"أو من أن يكون بشرًا، فحاشا وحاش في الاستثناء حرف جر عند سيبويه، وعلى ما قال المبرد وأبو علي فعل".**

لذا يقول ابن مالك -رحمه الله- في حروف الجر:

هاك حروف الجرّ وهي من إلى حتى خلا حاشا عدا في عن على

المقصود أنه ذكرها من أحرف الجر، فإذا قال: حاشا زيدٍ، فمجرور بحاشا

**"قوله تعالى: {ما هذا بَشَراً} [يوسف: ٣١] قال الخليل وسيبويه: {ما} [يوسف: ٣١] بمنزلة ليس، تقول: ليس زيد قائمًا، و{ما هذا بَشَراً} [يوسف: ٣١]، و{ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ} [المجادلة: ٢].**

**وقال الكوفيون: لما حذفت الباء نصبت، وشرح هذا- فيما قاله أحمد بن يحيى-".**

هي مثل ليس إذا اقترن خبرها بالباء جُر، وإلا نُصب، مثل ليس.

**"أنك إذا قلت: ما زيد بمنطلق، فموضع الباء موضع نصب، وهكذا سائر حروف الخفض، فلما حذفت الباء نصبت لتدل على محلها، قال: وهذا قول الفراء، قال: ولم تعمل {ما} شيئًا، فألزمهم البصريون أن يقولوا: زيد القمر؛ لأن المعنى كالقمر! فرد أحمد بن يحيى بأن قال:**

**الباء أدخل في حروف الخفض من الكاف؛ لأن الكاف تكون اسمًا. قال النحاس: لا يصح إلا قول البصريين، وهذا القول يتناقض؛ لأن الفراء أجاز نصًّا ما بمنطلق زيد، وأنشد:**

أمـــا والله أن لـــو كنـــت حـــرًّا ومـــا بـــالحر أنـــت ولا العتيـــق

**ومنع نصًّا النصب، ولا نعلم بين النحويين اختلافًا أنه جائز: ما فيك براغب زيد، وما إليك بقاصد عمرو، ثم يحذفون الباء ويرفعون. وحكى البصريون والكوفيون ما زيد منطلق بالرفع، وحكى البصريون أنها لغة تميم، وأنشدوا:**

أتيمًـــا تجعلـــون إلـــي نـــدًا ومـــا تـــيم لـــذي حســـب نديـــد

**الند والنديد والنديدة المثل والنظير".**

أحيانًا يقولون: هذه (ما) التميمية، (ما) حجازية، و(ما) تميمية، معناهما واحد، (ما) الحجازية تعمل عمل ليس، و(ما) التميمية يُرفع بعدها الجزءان، ما زيد منطلق، ما زيد منطلق، وعلى أنها حجازية، ما زيد منطلقًا، وإن أتيت بالباء كما تأتي به بعد ليس غالبًا تقول: ما زيد بمنطلقٍ، ومعناهما واحد، لكن أثرها فيما بعدها يختلف عند أهل الحجاز بمنزلة ليس عاملة، وعند بني تميم لا تعمل، ملغاة.

**"وحكى الكسائي أنها لغة تهامة ونجد. وزعم الفراء أن الرفع أقوى الوجهين: قال أبو إسحاق: وهذا غلط، كتاب الله -عزَّ وجلَّ- ولغة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أقوى وأولى".**

**{ما هذا بَشَراً}** [يوسف: ٣١]، **{ما هذا بَشَراً}** [يوسف: ٣١]، **{ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ}** [المجادلة: ٢]، الحجازية، لغة أهل الحجاز أقوى، لغة قريش، لغة النبي -عليه الصلاة والسلام- هي لغة القرآن، فهي أقوى من لغة تميم، على أنه جاء في القرآن ما هو على لغة تميم، على لغة هذيل، جاء لكنه قليل، لغات العرب، أكثره من قريش، أكثره من لغة قريش.

**"قلت: وفي مصحف حفصة -رضي الله عنها- (ما هذا ببشر) [يوسف: ٣١] ذكره الغزنوي. قال القشيري أبو نصر: وذكرت النسوة أن صورة يوسف أحسن من صورة البشر، بل هو في صورة ملك".**

**{ما هذا بَشَراً}** [يوسف: ٣١]؛ لأنهم قالوا: **{ما هذا بَشَراً}** [يوسف: ٣١]، أنكرن أن يكون هذا من البشر، هذا ملك، والسبب أنهن ما رأين مثله في البشر، ما له نظير في البشر حتى يكون هذا بشرًا، فلما ارتفع في هذا الباب عن منزلة البشر الذين رأينهم، أنكرن أن يكون من البشر.

**"وقال الله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين: ٤]، والجمع بين الآيتين أن قولهن: {حاشَ لِلَّهِ} [يوسف: ٣١] تبرئة ليوسف عما رمته به امرأة العزيز من المراودة، أي بَعُد يوسف عن هذا، وقولهن: {لِلَّهِ} [يوسف: ٣١] أي لخوفه، أي براءة لله من هذا، أي قد**

**نجا يوسف من ذلك، فليس هذا من الصورة في شيء، والمعنى: أنه في التبرئة عن المعاصي كالملائكة، فعلى هذا لا تناقض.**

**وقيل: المراد تنزيهه عن مشابهة البشر في الصورة، لفرط جماله. وقوله: {لِلَّهِ} [يوسف: ٣١] تأكيد لهذا المعنى، فعلى هذا المعنى قالت النسوة ذلك ظنًّا منهن أن صورة الملك أحسن، وما بلغهن قوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين: ٤] فإنه من كتابنا".**

جرت عادة الناس أنهم إذا رأوا شيء حسن وصفوه بأنه ملك أو من فعل الملائكة، وإذا رأوا شيئًا قبيحًا أو تصرفًا قبيحًا قالوا: هذا شيطان أو من فعل الشياطين، وإن لم يروا الملائكة ولم يروا الشياطين، ولذا جاء تشبيه الشجرة أو طلعها {كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} [الصافات: ٦٥]، والأصل المشبه به أن يكون معلومًا، لكن لقبحه ومعرفة السامع بأن كل قبيح يشبه الشيطان، ولذا يقول قائلهم: كأنياب أغوال، هم ما رأوا الأغوال ولا رأوا أنيابها، قد يزول لهم ويخيل لهم بعض الشيء، لكن ما رأوا أنيابها على الحقيقة كي يشبهوا بها.

**طالب: .....**

إن كان المراد به كالملك في بعض خصاله، في بعض خصاله يشبه الملائكة، في طاعته لله -عزَّ وجلَّ- والملائكة مطيعون، لا بأس، لكن لا يعتقد فيه العصمة مثلهم أنه لا يعصي؛ كالملائكة، لا، هذا من باب المبالغة يمكن أن يتجاوز عنه، أو في هذا الباب الذي عُرف عنه، الله المستعان.

**طالب: .....**

بلا شك، إجماع، إجماع، والإيمان بهم إيمان، ركن من أركان الإيمان.

**طالب: .....**

كيف يتأول؟ ماذا يقول؟

**طالب: .....**

للجن، حتى إنكار الجن كفر -نسأل الله العافية-، ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، بعض المفتونين يأتي بأقوال لا قيمة لها، يتأول بها ما ورد في النصوص مثل نزول المسيح، يقول: المراد بنزول المسيح نزول مبادئ المسيح من العدل والحرية والمساواة، وهذا ما تدعو إليه الأمم المتحدة، يعني نزول المسيح قيام هذه المنظمة الإجرامية الخبيثة -نسأل الله العافية-، أقول: بعض المفتونين ينحى مثل هذا المنحى، لكن ما هو محسوب ولا على علماء الشرع مثل هذا.

**طالب: .....**

العبرة بمن يُعتد بقوله، وإلا فهؤلاء لا قيمة لهم.

**طالب: .....**

أين؟

**طالب:** ..........

على كل حال؛ إذا عرفوا وأصروا يحكم بكفرهم، ما المانع؟

**طالب:** ..........

شطر الحسن، ثبت في الحديث الصحيح.

**طالب:** ..........

وأشرنا إليه سابقًا، وهل المراد به الشطر يعني، وباقي الخلائق كلهم الشطر الثاني، أو أنه أعطي نصف ما يتصور من الحسن، وإن فاقه غيره في هذا الباب كمحمد -عليه الصلاة والسلام-؟

**طالب:** ..........

هذا أسهل، هذا أسهل بكثير من إنكار وجود الجن، إنكار وجود الجن، هذا شيء ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، هذا معلوم من الدين بالضرورة، ما يمكن إنكاره.

**طالب:** ..........

إنكار مثل هذا لا شك أنه مخالف للواقع ومكابرة، لكن ما يصل إلى حد الكفر.

"**وقد ظن بعض الضعفة أن هذا القول لو كان ظنًا باطلًا منهن لوجب على الله أن يرد عليهن، ويبين كذبهن، وهذا باطل؛ إذ لا وجوب على الله تعالى، وليس كل ما يخبر به الله -سبحانه- من كفر الكافرين وكذب الكاذبين يجب عليه أن يقرن به الرد عليه، وأيضًا أهل العرف قد يقولون في القبيح كأنه شيطان، وفي الحسن كأنه ملك، أي لم ير مثله؛ لأن الناس لا يرون الملائكة، فهو بناء على ظن في أن صورة الملك أحسن، أو على الإخبار بطهارة أخلاقه وبعده عن التهم.**

**{إِنْ هذا إِلَّا مَلَكٌ} [يوسف: ٣١] أي ما هذا إلا ملك، وقال الشاعر:**

فلست لإنسي ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب

**وروي عن الحسن: (ما هذا بشرى) [يوسف: ٣١] بكسر الباء والشين، أي ما هذا عبدًا مشترى، أي ما ينبغي لمثل هذا أن يباع، فوضع المصدر موضع اسم المفعول، كما قال: {أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ} [المائدة: ٩٦] أي مصيده، وشبهه كثير".**

وروي عن الحسن، (ما هذا بشرًى) **[يوسف: ٣١]**، ما يشرى هذا، هذا لا يباع ولا يشرى مثل هذا، (ما هذا بشرًى) **[يوسف: ٣١]**.

"**ويجوز أن يكون المعنى: ما هذا بثمن، أي مثله لا يثمن ولا يقوم، فيراد بالشراء على هذا الثمن المشترى به؛ كقولك: ما هذا بألف إذا نفيت قول القائل: هذا بألف. فالباء على هذا متعلقة بمحذوف هو الخبر، كأنه قال: ما هذا مقدرًا بشراء. وقراءة العامة أشبه؛ لأن بعده {إِنْ**

**هذا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} [يوسف: ٣١] مبالغة في تفضيله في جنس الملائكة تعظيمًا لشأنه، ولأن مثل (بشرى) [يوسف: ٣١] يكتب في المصحف بالياء.**

**قوله تعالى: {قالَتْ فَذلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ} [يوسف: ٣٢] لما رأت افتتانهن بيوسف أظهرت عذر نفسها بقولها: {لُمْتُنَّنِي فِيهِ} [يوسف: ٣٢] أي بحبه، و(ذلك) بمعنى (هذا)، وهو اختيار الطبري.**

**وقيل: الهاء للحب، و(ذلك) على بابه، والمعنى: ذلكن الحب الذي لمتنني فيه، أي حب هذا هو ذلك الحب. واللوم الوصف بالقبيح".**

اللوم والعذل بمعنًى واحد.

**"ثم أقرت وقالت: {وَلَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ} [يوسف: ٣٢] أي أمتنع، وسميت العصمة عصمة؛ لأنها تمنع من ارتكاب المعصية.**

**وقيل: {استعصم} [يوسف: ٣٢] أي استعصى، والمعنى واحد".**

الأصل أن السين والتاء للطلب، {استعصم} [يوسف: ٣٢]، أي: طلب العصمة من الله – سبحانه وتعالى –، فأجابه فعصمه.

**"{وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ} [يوسف: ٣٢] عاودته المراودة بمحضر منهن، وهتكت جلباب الحياء".**

عرفت الموافقة منهن لها، فأسفرت وأبدت ما في نفسها؛ لأن الإنسان قد يخفي ما في نفسه، ثم إذا تحدث بما في نفسه على غيره على أنه خبر من الأخبار لا ينسبه إلى نفسه، يقول: يُذكر كذا، ويُذكر كذا، فإذا أظهر الموافقة طرف، أبدى له أن هذا هو ما في نفسه، فهي أظهرت ذلك بعد أن رأت الموافقة منهن، وأنها ليست شاذة ولا نشاذًا، ولا نشاذًا أن تفعل ما فعلت؛ لما رأت ذلك منهن، أظهرت أن هذا هو صنيعها.

**" وهتكت جلباب الحياء، ووعدت بالسجن إن لم يفعل، وإنما فعلت هذا حين لم تخش لومًا ولا مقالًا خلاف أول أمرها إذ كان ذلك بينه وبينها. {وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ} [يوسف: ٣٢] أي الأذلاء. وخط المصحف {وَلَيَكُوناً} [يوسف: ٣٢] بالألف، وتقرأ بنون مخففة للتأكيد، ونون التأكيد تثقل وتخفف، والوقف على قوله: {لَيُسْجَنَنَّ} [يوسف: ٣٢] بالنون؛ لأنها مثقلة، وعلى {لَيَكُوناً} [يوسف: ٣٢] بالألف؛ لأنها مخففة، وهي تشبه نون الإعراب في قولك: رأيت رجلًا وزيدًا وعمرًا، ومثله قوله: {لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ} [العلق: ١٥]، ونحوها الوقف عليها بالألف، كقول الأعشى".**

يعني تشبه التنوين، تشبه التنوين، وإن أشبهت الألف في الصورة، لكنها مشبهة للتنوين في النطق، ولذا لو كان الوقف على الألف ليكونا، لكن {لَيَكُوناً} [يوسف: ٣٢]، {لَنَسْفَعاً} [العلق: ١٥]، هي مشبهة للتنوين الذي هو نون ساكنة، وإن كتب ألفًا إلا أنه نون ساكنة تلحق أواخر

الأسماء المعربة، فنون التوكيد الخفيفة المرسومة بصورة الألف هي مشبهة للتنوين، وليست مشبهة للألف إلا في الصورة والكتابة.

**" ونحوها الوقف عليها بالألف، كقول الأعشى: ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا، أي أراد فاعبدن، فلما وقف عليه كان الوقف بالألف.**

**قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} [يوسف: ٣٣] أي دخول السجن، فحذف المضاف، قاله الزجاج والنحاس. {أَحَبُّ إِلَيَّ} [يوسف: ٣٣] أي أسهل علي وأهون من الوقوع في المعصية، لا أن دخول السجن مما يحب على التحقيق".**

لا يحب ولا يُسعى إليه، ولا يُتمنى السجن، ومثله لقاء العدو مثلًا، وإن ترتب عليه ما ترتب من الخير والنفع العظيم، لقاء العدو يترتب عليه الشهادة، لكن لا يتمنى، وإذا حصل فالثبات، ومثله السجن لا يطلبه المسلم، ولا يرجوه المؤمن، ولا يسعى إليه، ولا يبذل الأسباب في الحصول عليه إلا من خلال ما شرعه الله، إن جاء تبعًا لما شرعه الله فالصبر الصبر، ويترتب عليه، يترتب عليه الخير الكثير -إن شاء الله تعالى-، أنه ما يضر، يوسف سُجن وكانت العاقبة له، وغيره سجن، الإمام أحمد -رحمه الله- سُجن، والحمد لله، حصل من ذلك الخير العظيم، لكن ما يُسعى إليه ويُتمنى، الإنسان يتمنى يقول: أنا والله عجزت أطلب العلم، عجزت أحفظ القرآن، عجزت أحفظ السنة، أسأل الله أن ييسر السجن من أجل كذا، ما هو بصحيح هذا، هذا ليس بصحيح؛ لأن الإنسان قد يفتن، قد يحصل له خلاف ما يريد -نسأل الله العافية-.

لا، لا يتمنى ذلك، لكن إذا حصل له تبعًا لما شرعه الله له -سبحانه وتعالى- فعليه أن يصبر ويحتسب ويبذل الأسباب، ويحاول أن ينفع نفسه؛ لكي ينفع غيره -إن شاء الله-.

**"وحكي أن يوسف -عليه السلام- لما قال: {السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ} [يوسف: ٣٣] أوحى الله إليه يا يوسف! أنت حبست نفسك حيث قلت: السجن أحب إلي، ولو قلت: العافية أحب إلي لعوفيت. وحكى أبو حاتم أن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قرأ: (السجن) [يوسف: ٣٣] بفتح السين".**

الذي هو المصدر.

**"وحكى أن ذلك قراءة ابن أبي إسحاق وعبد الرحمن الأعرج ويعقوب، وهو مصدر سجنه سجنًا. {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ} [يوسف: ٣٣] أي كيد النسوان.**

**وقيل: كيد النسوة اللاتي رأينه، فإنهن أمرنه بمطاوعة امرأة العزيز، وقلن له: هي مظلومة وقد ظلمتها".**

كيف ظلمها؟ لأنهن خشين عليها من أن تُمرض أو تموت أو تجن، إذا صار سببًا في حصول هذه المصائب لها فكأنه ظلمها، وهذا من كيد النساء كما هو معروف.

**"وقيل: طلبت كل واحدة أن تخلو به للنصيحة في امرأة العزيز".**

هؤلاء صواحب يوسف، يظهرن خلاف ما يردن، يظهرن خلاف ما يردن.

**"والقصد بذلك أن تعذله في حقها، وتأمره بمساعدتها، فلعله يجيب، فصارت كل واحدة تخلو به على حدة فتقول له: يا يوسف! اقض لي حاجتي، فأنا خير لك من سيدتك".**

هي تريد الخلوة؛ لكي تطلبه لامرأة العزيز، هذا الظاهر، وهي تريده في الحقيقة لنفسها، فأظهرن خلاف ما يبطن، وهؤلاء هن صواحب يوسف اللاتي ذكرهن في الحديث الصحيح لما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: **«مروا أبا بكر فليصل بالناس»**، قالت عائشة: إن أبا بكر رجل أسيف، رجل أسيف، فمر عمر، وجعلت توسط بعض النساء ليقلن للرسول -عليه الصلاة والسلام- هذه المقالة، فقال لهن: **«لأنتن صواحب يوسف»**، عائشة ما كان قصدها أنه رجل أسيف، وإنما تخشى أن يتشاءم به الناس؛ لأن الإنسان إذا جاء بعد رجل محبوب مرغوب عند الناس، وجاء في مكانه، تشاءم منه الناس وكرهوه، فكونه يأتي بعد الرسول -عليه الصلاة والسلام- مباشرة، تخشى من هذا، فأظهرت أنه رجل أسيف ما يتحمل أن يقف في موقف النبي -عليه الصلاة والسلام-، وأظهرت غير ذلك، فقال لها النبي -عليه الصلاة والسلام- ولمن دخل معها في الموضوع: **«لأنتن صواحب يوسف»**، صواحب يوسف قالوا: نخلوا بيوسف حتى ننصحه ليستجيب لطلب امرأة العزيز، ما هو هذا قصدهم، كل واحدة قالت له: اقض لي حاجتي، فأنا خير لك من سيدتك، هؤلاء هن صواحب يوسف.

والصحبة تضاف لأدنى مناسبة، الصحبة تضاف لأدنى مناسبة، هؤلاء صواحب يوسف، ما علاقة يوسف؟

**طالب: .....**

المراد بالصحبة الصحبة اللغوية أو الشرعية؟

**طالب: .....**

لا، وُجد أدنى مناسبة فأضفن إليه؛ كما يقال: ماذا فعل صاحبك؟ وبينك وبينه خصومة، هو ليس بصاحب، لكن لأدنى مناسبة بينك وبينه صار صاحبًا لك.

**"تدعوه كل واحدة لنفسها وتراوده، فقال: يا رب كانت واحدة فصرن جماعة.**

**وقيل: كيد امرأة العزيز فيما دعته إليه من الفاحشة، وكنى عنها بخطاب الجميع إما لتعظيم شأنها في الخطاب، وإما ليعدل عن التصريح إلى التعريض. والكيد الاحتيال والاجتهاد، ولهذا سميت الحرب كيدًا؛ لاحتيال الناس فيها، قال عمر بن لجأ:**

**تـــراءت كـــي تكيـــدك أم بشـــر وكيـــد بـــالتبرج مـــا تكيـــد**

**{أَصْبُ إِلَيْهِنَّ} [يوسف: ٣٣] جواب الشرط، أي أمل إليهن".**

المرأة من كيدها قد تظهر محاسنها للرجال، وإذا راودوها رفضت، وهي ما أظهرت محاسنها إلا من أجل ما يريدونه منها، فكونها ترفض من أجل أن ترتفع في أعينهم، وفي النهاية توافق.

على كل حال، هذا من كيد النساء، سميت الحرب كيدًا؛ لأن الناس يحتالون فيها، وسميت خَدْعَة -فتح الخاء- لغة النبي -عليه الصلاة والسلام-، كما في سنن أبي داود.

**"{أَصْبُ إِلَيْهِنَّ} [يوسف: ٣٣] جواب الشرط، أي أمل إليهن من صبا يصبو إذا مال واشتاق صبوًا وصبوة، قال:**

إلـــــى هنـــــد صـــــبا قلبـــــي وهنـــــد مثلهـــــا يُصْـــــبِي

**أي إن لم تلطف بي في اجتناب المعصية وقعت فيها.**

**{وَأَكُنْ مِنَ الْجاهِلِينَ} [يوسف: ٣٣] أي ممن يرتكب الإثم ويستحق الذم، أو ممن يعمل عمل الجهال، ودل هذا على أن أحدًا لا يمتنع عن معصية الله إلا بعون الله، ودل أيضًا على قبح الجهل والذم لصاحبه.**

**قوله تعالى: {فَاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ} [يوسف: ٣٤] لما قال: {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ} [يوسف: ٣٣] تعرض للدعاء، وكأنه قال: اللهم اصرف عني كيدهن، فاستجاب له دعاءه، ولطف به وعصمه عن الوقوع في الزنى. {كَيْدَهُنَّ} [يوسف: ٣٤]؛ لأنهن جمع قد راودنه عن نفسه. وقيل: يعني كيد النساء. وقيل: يعني كيد امرأة العزيز، على ما ذكر في الآية قبل، والعموم أولى.**

**قوله تعالى: {ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ} [يوسف: ٣٥]، فيه أربع مسائل:**

**الأولى: قوله تعالى: {ثُمَّ بَدا لَهُمْ} [يوسف: ٣٥] أي ظهر للعزيز وأهل مشورته {مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآياتِ} أي علامات براءة يوسف -من قد القميص من دبر، وشهادة الشاهد، وحز الأيدي، وقلة صبرهن عن لقاء يوسف- أن يسجنوه؛ كتمانًا للقصة ألا تشيع في العامة، وللحيلولة بينه وبينها.**

**وقيل: هي البركات التي كانت تنفتح عليهم ما دام يوسف فيهم، والأول أصح. قال مقاتل عن مجاهد عن ابن عباس في قوله: {ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآياتِ} [يوسف: ٣٥] قال: القميص من الآيات، وشهادة الشاهد من الآيات".**

القميص، القميص الذي جيء به وهو ملطخ بالدم غير ممزق آية وعلامة، كيف يكون هذا القميص وفيه من الدم ما فيه وغير ممزق، هذا الذئب الذي أكله في غاية الرحمة، كيف يأكل ولا يمزق الثياب، وأيضًا القميص الذي أُلقي على وجه أبيه فارتد بصيرًا.

**طالب: .....**

كذلك، المقصود أن القميص فيه عدة آيات، القميص فيه عدة آيات.

**طالب: .....**

الظلم، الظلم، الظلم إذا اقترن به ما يقتضي الاستجابة من توافر الأسباب وانتفاء الموانع، وعلى قدر الداعي أيضًا، وقدر حاجته، وقربه من الله تكون الاستجابة.

**طالب: .....**

عاد لأمر يريده الله -سبحانه وتعالى-، لأمر يريده الله؛ لأنه ما يلزم أن تكون الاستجابة برفع، أو بإجابة الدعوة نفسها، قد يجاب، لكن برفع ما هو أعظم منه، أو بادخاره له في الجنة يوم القيامة، نعم.

**"قال: القميص من الآيات، وشهادة الشاهد من الآيات وقطع الأيدي من الآيات، وإعظام النساء إياه من الآيات.**

**وقيل: ألجأها الخجل من الناس، والوجل من اليأس إلى أن رضيت بالحجاب مكان خوف الذهاب، لتشتفي إذا منعت من نظره، قال:**

وما صبابة مشتاق على أمل ... من اللقاء كمشتاق بلا أمل

**أو كادته رجاء أن يمل حبسه فيبذل نفسه".**

كان بإمكانها أن تأمر بقتله؛ لأنه ما استجاب، والعزيز بيدها، لكن لعله، لعله يستجيب بعد هذا السجن، والقتل يأس، ما هو بحل بالنسبة لها، هي تريده لنفسها، فلعله إذا حبس يمل من الحبس ويستجيب.

**"الثانية: قوله تعالى: {لَيَسْجُنُنَّهُ} [يوسف: ٣٥]، {لَيَسْجُنُنَّهُ} [يوسف: ٣٥] في موضع الفاعل، أي ظهر لهم أن يسجنوه، هذا قول سيبويه. قال المبرد: وهذا غلط، لا يكون الفاعل جملة، ولكن الفاعل ما دل عليه {بَدا} [يوسف: ٣٥] وهو مصدر، أي بدا لهم بداء، فحذف؛ لأن الفعل يدل عليه، كما قال الشاعر:**

وحق لمن أبو موسى أبوه ... يوفقه الذي نصب الجبالا

**أي وحق الحق، فحذف.**

**وقيل: المعنى ثم بدا لهم رأي لم يكونوا يعرفونه، وحذف؛ لأن في الكلام دليلًا عليه، وحذف أيضًا القول، أي قالوا: ليسجننه، واللام جواب ليمين مضمر، قاله الفراء، وهو فعل مذكر لا فعل مؤنث، ولو كان فعلًا مؤنثًا لكان يسجناتِّه، ويدل على هذا قوله: {لَهُمْ} [يوسف: ٣٥]، ولم يقل لهن، فكأنه أخبر عن النسوة وأعوانهن فغلّب المذكر، قاله أبو علي.**

**وقال السدي: كان سبب حبس يوسف أن امرأة العزيز شكت إليه أنه شهرها ونشر خبرها، فالضمير على هذا في {لَهُمْ} [يوسف: ٣٥] للملك.**

**الثالثة: قوله تعالى: {حَتَّى حِينٍ} [يوسف: ٣٥] أي إلى مدة غير معلومة، قاله كثير من المفسرين.**

**وقال ابن عباس: إلى انقطاع ما شاع في المدينة.**

**وقال سعيد بن جبير: إلى ستة أشهر. وحكى الْكِيَا أنه على ثلاثة عشر شهرًا. وقال عكرمة: تسع سنين. وقال الكلبي: خمس سنين. وقال مقاتل: سبع. وقد مضى في البقرة القول في الحين وما يرتبط به من الأحكام.**

**وقال وهب: أقام في السجن اثنتي عشرة سنة. و{حَتَّى} [يوسف: ٣٥] بمعنى إلى، كقوله: {حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر: ٥]. وجعل الله الحبس تطهيرًا ليوسف -صلى الله عليه وسلم- من همه بالمرأة. وكأن العزيز -وإن عرف براءة يوسف- أطاع المرأة في سجن يوسف".**

من بعد ما رأى الآيات أطاع المرأة، بعد ما رأى الآيات أطاع المرأة، الله المستعان.

**"قال ابن عباس: عثر يوسف ثلاث عثرات: حين هم بها فسجن، وحين قال للفتى: {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} [يوسف: ٤٢]، {فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} [يوسف: ٤٢]، وحين قال لإخوته: {إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ} [يوسف: ٧٠]، فقالوا: {إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ}. [يوسف: ٧٧]".**

ومع ذلك مُدح للحديث الصحيح: **«ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي»**، يقوله الرسول -عليه الصلاة والسلام-، **«ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي»**، يعني الذي دعاه لإجابة الملك، الذي دعاه لإجابة الملك، ما أجابه، قال: **{قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ}** [يوسف: ٥٠]، يعني لو غير يوسف لو قيل له: أجب الملك، ما يتأخر، ولا يتردد، لكن الذي يظهر وقد بريء تمام البراءة، وعرف الناس كلهم براءته، **{ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ}** [يوسف: ٥٠]؛ ليعرف الناس أنه بريء مما اتُهم به -عليه السلام-.

**"الرابعة: أكره يوسف -عليه السلام- على الفاحشة بالسجن، وأقام خمسة أعوام، وما رضي بذلك؛ لعظيم منزلته وشريف قدره، ولو أكره رجل بالسجن على الزنى ما جاز له إجماعًا. فإن أكره بالضرب فقد اختلف فيه العلماء، والصحيح أنه إذا كان فادحًا فإنه يسقط عنه إثم الزنى وحده. وقد قال بعض علمائنا: إنه لا يسقط عنه الحد، وهو ضعيف، فإن الله تعالى لا يجمع على عبده العذابين، ولا يصرفه بين بلاءين، فإنه من أعظم الحرج في الدين، {وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: ٧٨].**

**وسيأتي بيان هذا في النحل -إن شاء الله-، وصبر يوسف، واستعاذ به من الكيد، فاستجاب له على ما تقدم".**

هل يحصل الإكراه في الزنا؟ المرأة إجماعًا أنه يحصل إكراهها على الزنا، لكن الرجل هل يحصل إكراهه على الزنا بحيث يصل إلى حد لا يمكن أن يتأخر عنه؟ جمع غفير من أهل العلم يقولون: لا يحصل الإكراه، إكراه الرجل؛ لأنه إذا أُكره لم ينتشر، فإذا انتشر دل على أن عنده شيء من الرغبة، وهذه الرغبة تنافي الإكراه، تنافي الإكراه، ومنهم من يقول: إنه يحصل الإكراه إذا هُدد وخوف وبوشر ضربه، ولا يتم له أن يخرج من هذا الإكراه وما يترتب عليه من ألم إلا بحصول شيء من هذه الرغبة التي تحقق مطلب هذا المكرِه، وإلا فأكثر أهل العلم على أنه لا يتصور الإكراه على الزنا بالنسبة للرجل؛ لأنه متى يتصور الزنا منه؟ إذا وُجدت منه الرغبة، فكيف توجد الرغبة مع الإكراه؟

**طالب:** .....

كيف؟

**طالب:** .....

ماذا فيه؟

**طالب:** .....

حين همّ بها فسُجن؟ **{اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ}** [يوسف: ٤٢]، **{إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ}** **[يوسف: ٧٠]**.

**طالب:** .....

هذه بالنسبة له، لكن لو وقعت من غيره لما سُميت عثرة؛ لأنهم كما يقولون: حسنات الأبرار سيئات المقربين، يعني بالنسبة لشخص تسمى عثرة، ما حصل من إبراهيم من التورية مما يجوز له فعله عُدت كذبات على إبراهيم -عليه السلام-، واعتذر بها عن الشفاعة؛ لأنها بالنسبة له شيء كبير، لكن بالنسبة لغيره من آحاد الناس ليست بشيء.

**"قوله تعالى: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ} [يوسف: ٣٦]، {فَتَيَانِ} [يوسف: ٣٦] تثنية فتى، وهو من ذوات الياء، وقولهم: الفتو شاذ. قال وهب وغيره: حمل يوسف إلى السجن مقيدًا على حمار، وطيف به هذا جزاء من يعصي سيدته، وهو يقول: هذا أيسر من مقطعات النيران، وسرابيل القطران، وشراب الحميم".**

مقطعات، المقطعات هذه الثياب التي تقطع لهم يوم القيامة، نسأل الله العافية.

**"هذا أيسر من مقطعات النيران، وسرابيل القطران، وشراب الحميم، وأكل الزقوم. فلما انتهى يوسف إلى السجن وجد فيه قومًا قد انقطع رجاؤهم، واشتد بلاؤهم".**

كأنه سجن مؤبد بالنسبة لهم.

**"فجعل يقول لهم: اصبروا وأبشروا تؤجروا، فقالوا له: يا فتى! ما أحسن حديثك! لقد بورك لنا في جوارك، من أنت يا فتى؟ قال: أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب، ابن ذبيح الله إسحاق، ابن خليل الله إبراهيم".**

كون الذبيح إسحاق مسألة خلافية بين أهل العلم، لكن المرجح عند أهل التحقيق أنه إسماعيل -عليه السلام-.

**"وقال ابن عباس: لما قالت المرأة لزوجها إن هذا العبد العبراني قد فضحني، وأنا أريد أن تسجنه، فسجنه في السجن، فكان يعزي فيه الحزين، ويعود فيه المريض، ويداوي فيه الجريح، ويصلي الليل كله، ويبكي حتى تبكي معه جدر البيوت وسقفها والأبواب، وظهر به السجن، واستأنس به أهل السجن، فكان إذا خرج الرجل من السجن رجع حتى يجلس في السجن مع يوسف، وأحبه صاحب السجن فوسع عليه فيه، ثم قال له: يا يوسف! لقد أحببتك حبًّا لم أحب شيئًا حبك، فقال: أعوذ بالله من حبك، قال: ولم ذلك؟ قال: أحبني أبي ففعل بي إخوتي ما فعلوه، وأحبتني سيدتي فنزل بي ما ترى، فكان في حبسه حتى غضب الملك على خبازه وصاحب شرابه، وذلك أن الملك عمَّر فيهم فملوه، فدسوا إلى خبازه وصاحب شرابه أن يسماه جميعًا، فأجاب الخباز، وأبى صاحب الشراب، فانطلق صاحب الشراب فأخبر الملك بذلك، فأمر الملك بحبسهما، فاستأنسا بيوسف، فذلك قوله: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ} [يوسف: ٣٦]، وقد قيل: إن الخباز وضع السم في الطعام، فلما حضر الطعام قال الساقي: أيها الملك! لا تأكل فإن الطعام مسموم.**

**وقال الخباز: أيها الملك لا تشرب! فإن الشراب مسموم، فقال الملك للساقي: اشرب! فشرب فلم يضره، وقال للخباز: كل، فأبى، فجرب الطعام على حيوان فنفق مكانه".**

يعني مات.

**"فحبسهما سنة، وبقيا في السجن تلك المدة مع يوسف. واسم الساقي منجى، والآخر مجلث، ذكره الثعلبي عن كعب.**

**وقال النقاش: اسم أحدهما شرهم، والآخر سرهم، الأول بالشين المعجمة، والآخر بالسين المهملة.**

**وقال الطبري: الذي رأى أنه يعصر خمرًا هو نبو، قال السهيلي: وذكر اسم الآخر ولم أقيده. وقال: {فَتَيَانِ} [يوسف: ٣٦]؛ لأنهما كانا عبدين، والعبد يسمى فتى، صغيرًا كان أو كبيرًا، ذكره الماوردي".**

**«لا يقل أحدكم عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي».**

**"وقال القشيري: ولعل الفتى كان اسمًا للعبد في عرفهم، ولهذا قال: {تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ} [يوسف: ٣٠]. ويحتمل أن يكون الفتى اسمًا للخادم وإن لم يكن مملوكًا، ويمكن أن يكون حبسهما مع حبس يوسف أو بعده أو قبله، غير أنهما دخلا معه البيت الذي كان فيه. {قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا} [يوسف: ٣٦] أي عنبًا".**

لأن الخمر لا يُعصر، الخمر لا يعصر، إنما الذي يُعصر العنب، وأطلق عليه خمر باعتبار ما كان أو ما سيكون، يطلق على العنب خمر باعتبار ما سيكون، ولذا قولهم: مطاحن الدقيق، الدقيق لا يُطحن إلا باعتبار ما كان، لما كان حبًّا يُطحن.

**طالب: .....**

ماذا فيه؟

**طالب: .....**

نعم.

**طالب: .....**

**{وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ}** [يوسف: ٣٦]، دخل مع يوسف السجن فتيان.

**"كان يوسف قال لأهل السجن: إني أعبر الأحلام، فقال أحد الفتيين لصاحبه: تعال حتى نجرب هذا العبد العبراني، فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئًا، قاله ابن مسعود. وحكى الطبري أنهما سألاه عن علمه فقال: إني أعبر الرؤيا، فسألاه عن رؤياهما. قال ابن عباس ومجاهد: كانت رؤيا صدق رأياها وسألاه عنها، ولذلك صدق تأويلها.**

**وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا».**

**وقيل: إنها كانت رؤيا كذب سألاه عنها تجريبًا، وهذا قول ابن مسعود والسدي.**

**وقيل: إن المصلوب منهما كان كاذبًا، والآخر صادقًا، قاله أبو مجلز.**

**وروى الترمذي عن ابن عباس عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: قال: «من تحلم كاذبًا كُلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين ولن يعقد بينهما»".**

هذا تعجيز، هذا تعجيز، يؤتى بحبتين من الشعير يقال: اعقد بينهما؛ كما أن المصور يُكلف أن ينفخ في كل صورة صورها الروح، وليس بنافخ؛ ليظهر عجزه في العيان، وهو عاجز في الغيب لكن ظهور العجز في العيان وأمام الناس هذا فيه نكال له.

**طالب: .....**

**«من تحلم»؟**

**طالب: .....**

حديث الترمذي؟

**طالب: .....**

صحيح ما فيه إشكال.

**طالب: .....**

هذا غالبًا في مسلم، صحيح مسلم، هذا في مسلم.

"قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وعن عليٍّ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «من كذب في حلمه كلف يوم القيامة عقد شعيرة». قال: حديث حسن. قال ابن عباس: لما رأيا رؤياهما أصبحا مكروبين، فقال لهما يوسف: مالي أراكما مكروبين؟ قالا: يا سيدنا! إنا رأينا ما كرهنا، قال: فقصا عليَّ، فقصا عليه، قالا: نبئنا بتأويل ما رأينا، وهذا يدل على أنها كانت رؤيا منام.

{إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٣٦] فإحسانه أنه كان يعود المرضى، ويداويهم، ويعزي الحزانى، قال الضحاك: كان إذا مرض الرجل من أهل السجن قام به، وإذا ضاق وسع له، وإذا احتاج جمع له، وسأل له.

وقيل: {مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٣٦] أي العالمين الذين أحسنوا العلم، قاله الفراء.

وقال ابن إسحاق: {مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٣٦] لنا إن فسرته، كما يقول: افعل كذا وأنت محسن. قال: فما رأيتما؟ قال الخباز: رأيت كأني اختبزت في ثلاثة تنانير، وجعلته في ثلاث سلال، فوضعته على رأسي فجاء الطير فأكل منه.

وقال الآخر: رأيت كأني أخذت ثلاثة عناقيد من عنب أبيض، فعصرتهن في ثلاث أوانٍ، ثم صفيته فسقيت الملك كعادتي فيما مضى، فذلك قوله: {إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً} [يوسف: ٣٦] أي عنبًا، بلغة عمان، قاله الضحاك. وقرأ ابن مسعود: (إني أراني أعصر عنبًا) [يوسف: ٣٦].

وقال الأصمعي: أخبرني المعتمر بن سليمان أنه لقي أعرابيًّا ومعه عنب فقال له: ما معك؟ قال: خمر.

وقيل: معنى. {أَعْصِرُ خَمْراً} [يوسف: ٣٦] أي عنب خمر، فحذف المضاف. ويقال: خمرة وخمر وخمور، مثل تمرة وتمر وتمور.

{قَالَ} [يوسف: ٣٧] لهما يوسف: {لا يَأْتِيكُما طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ} [يوسف: ٣٧] يعني لا يجيئكما غدًا طعام من منزلكما {إِلَّا نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ} [يوسف: ٣٧] لتعلما أني أعلم تأويل رؤياكما، فقالا: افعل! فقال لهما: يجيئكما كذا وكذا، فكان على ما قال، وكان هذا من علم الغيب خص به يوسف. وبيَّن أن الله خصه بهذا العلم؛ لأنه ترك ملة قوم لا يؤمنون بالله، يعني دين الملك. ومعنى الكلام: عندي العلم بتأويل رؤياكما، والعلم بما يأتيكما من طعامكما، والعلم بدين الله، فاسمعوا أولًا ما يتعلق بالدين؛ لتهتدوا، ولهذا لم يعبر لهما حتى دعاهما إلى الإسلام، فقال: {يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ. ما تَعْبُدُونَ} [يوسف: ٣٩-٤٠]".

يا ليت كل من كان الناس به حاجة أن يستغل هذه الحاجة للدعوة، فلما احتاجا إلى يوسف – عليه السلام– دعاهما، والمحتاج في الغالب يستجيب إلى من احتاج إليه، ولو أن الأطباء استغلوا حاجة المرضى إليهم في دعوتهم إلى الخير لنفع الله بهم نفعًا عظيمًا، فالناس بحاجة ماسة إلى ما يشفي قلوبهم وأبدانهم، لكن هم ما يحسون بالأمور المعنوية، قد يكون القلب مريضًا مرضًا معنويًا، فلا يبحث له عن دواء، لكن إذا كان قلبه مريضًا مرضًا حسيًّا ذهب إلى الأطباء، ونفذ ما يقول له الأطباء بدقة، فهم محتاجون إلى مثل هذا، فلو استُغلت هذه الحاجة، ومثله الفقير لو جاء إلى الغني يسأله من ماله، فاستغل الغني دعوته، لنفع الله به، وهكذا.

لما احتاجا إلى يوسف، استغل هذه الحاجة في دعوتهم إلى التوحيد، والله المستعان.

**"وقيل: علم أن أحدهما مقتول، فدعاهما إلى الإسلام؛ ليسعدا به.**

**وقيل: إن يوسف كره أن يعبر لهما ما سألاه لما علمه من المكروه على أحدهما، فأعرض عن سؤالهما، وأخذ في غيره فقال: {لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ} [يوسف: ٣٧] في النوم {إِلَّا نَبَّأْتُكُما} [يوسف: ٣٧] بتفسيره في اليقظة، قاله السدي، فقالا له: هذا من فعل العرافين والكهنة، فقال لهما يوسف –عليه السلام–: ما أنا بكاهن، وإنما ذلك مما علمنيه ربي، إني لا أخبركما به تكهنًا وتنجيمًا، بل هو بوحي من الله –عزَّ وجلَّ–.**

**وقال ابن جريج: كان الملك إذا أراد قتل إنسان صنع له طعامًا معروفًا فأرسل به إليه، فالمعنى: لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليقظة، فعلى هذا {تُرْزَقانِهِ} [يوسف: ٣٧] أي يجري عليكما من جهة الملك أو غيره. ويحتمل يرزقكما الله. قال الحسن: كان يخبرهما بما غاب، كعيسى –عليه السلام–. وقيل: إنما دعاهما بذلك إلى الإسلام، وجعل المعجزة التي يستدلان بها إخبارهما بالغيوب.**

**قوله تعالى: {وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِي إِبْراهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ} [يوسف: ٣٨]؛ لأنهم أنبياء على الحق. {مَا كَانَ} [يوسف: ٣٨] أي ما ينبغي لنا {لَنا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} [يوسف: ٣٨]".**

بهذه الآية يستدل أهل العلم في كون الجد أبًا، يستدل أهل العلم بهذه الآية وما جاء في مثلها يستدلون بها على كون الجد أبًا، ويحجبون به الإخوة.

**"{مِنْ} [يوسف: ٣٨] للتأكيد، كقولك: ما جاءني من أحد. وقوله تعالى: {ذلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنا} [يوسف: ٣٨] إشارة إلى عصمته من الزنى. {وَعَلَى النَّاسِ} [يوسف: ٣٨] أي على المؤمنين الذين عصمهم الله من الشرك.**

**وقيل: {ذلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنا} [يوسف: ٣٨] إذ جعلنا أنبياء، {وَعَلَى النَّاسِ} [يوسف: ٣٨] إذ جعلنا الرسل إليهم. {وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ} [يوسف: ٣٨] على نعمة التوحيد والإيمان".**

اللهم صل على محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

# تفسير القرطبي

# سورة يوسف

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

| | | | |
|---|---|---|---|
| **تاريخ المحاضرة:** | **١٤٣١/١١/١٨هـ** | **المكان:** | |

عائشة ومن معها ممن طلب منه أن يعدل عن تكليف أبي بكر بالصلاة بعده، فشبههن بالنسوة اللاتي قطعن أيديهن؛ لأنهن أظهرن خلاف ما يبطن، وعائشة -رضي الله عنها- حينما طلبت من النبي- عليه الصلاة والسلام- أن يعدل عن تكليف أبي بكر في الإمامة بعده، معللة ذلك -رضي الله عنها- بأنه -رضي الله عنه- رجل أسيف، لا يستطيع أن يقوم مقام النبي -عليه الصلاة والسلام-، وأبطنت غير ما أظهرت -رضي الله عنها-؛ لأنه جرت العادة أن من يأتي يخلف المحبوب يتشاءم الناس به، وهذا شيء معروف عند الناس، وما زال، لو قُدر أن شخصًا محل ثقة من الناس وبارع ناجح في عمله ومرغوب لدى الخاصة والعامة، ثم فجأة أُبدل بغيره كره الناس البدل؛ لأنه يقوم مقام من اتفق الناس على الرضا به، فقال النبي - عليه الصلاة والسلام-: «إنكن صواحب يوسف»، من هذه الحيثية، وإلا فأوجه الشبه بعيدة كل البعد عن صواحب يوسف بين أمهات المؤمنين وبين صواحب يوسف إلا من هذه الحيثية، فأُطلقت الصحبة لهذه المناسبة.

"**{أَأَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ} [يوسف: ٣٩] أي في الصغر والكبر والتوسط، أو متفرقون في العدد. {خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ} [يوسف: ٣٩]**".

أو متفرقون في الأماكن، كل رب ممن يُعبد ويُدعى من دون الله في مكان، متفرقون في الأماكن أو متفرقون متفاوتون في الأحجام، أو متفرقون متفاوتون في الأتباع كثرةً وقلة.

"**وقيل: الخطاب لهما ولأهل السجن، وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله -تعالى-، فقال ذلك إلزامًا للحجة، أي آلهة شتى لا تضر ولا تنفع. {خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ} [يوسف: ٣٩] الذي قهر كل شيء، نظيره: {آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} [النمل: ٥٩].**

**وقيل: أشار بالتفرق إلى أنه لو تعدد الإله لتفرقوا في الإرادة، ولعلا بعضهم على بعض، وبيّن أنها إذا تفرقت لم تكن آلهة**".

لا شك أنه لو كانت آلهة متعددة لحصل التفرق، حصل التفرق هذا إذا تُصور أن هذه الآلهة تعقل، فكل إله يدعي أن الأمر له دون من سواه، **{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا}** [الأنبياء: ٢٢]، كل واحد منهم يزعم أنه أحق من غيره، فهو الإله الحق، هذا الذي لا ينبغي أن يعبد دونه، الذي لا ينبغي أن يُعبد سواه، فالتفرق أيضًا من هذه الحيثية، لو قُدر أنها آلهة، ومن شأن الإله أن يعقل، أما وقد كان واقعها أنها لا تعقل، فكيف تُقارن وتُوازن بالله الواحد القهار؟

"**قوله -تعالى-: {ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْماءً} [يوسف: ٤٠] بيّن عجز الأصنام وضعفها فقال: {ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ} [يوسف: ٤٠] أي من دون الله إلا ذوات أسماء لا معاني لها. {سَمَّيْتُمُوها} [يوسف: ٤٠] من تلقاء أنفسكم**".

هي مجرد أسماء لا حقائق لها، لا حقائق لها، فهل الحجر الذي يُعبد من دون الله، وتُطلب منه الحوائج، وهو حجر لا يضر ولا ينفع، فلكونه، أو لكون وجوده مثل عدمه سيان لا يضر ولا

ينفع، ما هو إلا مجرد اسم، هذا في الآلهة المحسوسة، فكيف بالآلهة غير المحسوسة مثل الهوى، {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} [الفرقان: ٤٣]، هذا غير محسوس، فهو مجرد اسم لا حقيقة له، والمحسوس من الآلهة سوى الله -سبحانه وتعالى- لا وجود له في الحقيقة؛ لأن وجوده كلا وجود، مثل العدم سواء بسواء؛ لأنه لا يضر ولا ينفع.

**"وقيل: عنى بالأسماء المسميات، أي ما تعبدون إلا أصنامًا ليس لها من الإلهية شيء إلا الاسم؛ لأنها جمادات. وقال: {ما تَعْبُدُونَ} [يوسف: ٤٠]، وقد ابتدأ بخطاب الاثنين؛ لأنه قصد جميع من هو على مثل حالهما من الشرك".**

هما اثنان {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ} [يوسف: ٣٩]، لكن وُجه الخطاب لهما ولمن شاكلهما من ساكن السجن كلهم يعبدون أربابًا وآلهة من دون الله، فاستحقوا أن يخاطبوا بمثل هذا الخطاب، والخطاب أيضًا يتعدى المسجونين إلى غيرهم، ومثل ما أشرنا سابقًا أنه ينبغي أن تُستغل الحاجة في الدعوة، وكلٌّ حسب موقعه، المدرس في موقعه والطلبة بحاجته، القاضي في موقعه، والخصوم بحاجته، الطبيب في موقعه والمرضى بحاجته، الحاجب -حاجب الموظف- سكرتير أو مدير مكتب أو، الناس بحاجته؛ لأن يسهل لهم الدخول إلى من يريدون، يستغل، والمحتاج في الغالب يستمع، وإن لم يكن الاستماع مقصودًا لذاته، لكنه يأتي تبعًا، فعلى هذا على كل إنسان أن يستغل موقعه ومكانه، والله المستعان.

**"{إِلَّا أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ} [يوسف: ٤٠] فحذف المفعول الثاني للدلالة، والمعنى: سميتموها آلهة من عند أنفسكم.**

**{ما أَنْزَلَ اللَّهُ} [يوسف: ٤٠] ذلك في كتاب. قال سعيد بن جبير: {مِنْ سُلْطانٍ} [يوسف: ٤٠] أي من حجة. {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} [يوسف: ٤٠] الذي هو خالق الكل. {أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} [يوسف: ٤٠]، أي القويم. {وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٤٠]".**

{الدِّينُ الْقَيِّمُ} [يوسف: ٤٠] هذا وصف للدين بأنه قويم مستقيم لا اعوجاج فيه، وجاء وصفه بأنه قِيَم {دِيناً قِيَماً} [الأنعام: ١٦١]، أي أخلاق، مجموعة من الأخلاق والآداب تحلى، ينبغي أن يتحلى بها المسلم، والقرآن خُلُقٌ ينبغي أن يطبق، لم يُنزل لمجرد التلاوة أو لمطلق التبرك، نعم يتلى ويتدبر ويطبق ويعمل به، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- كان خلقه القرآن، فالدين كما أنه قَيّم، فهو قِيَم أيضًا.

**"قوله -تعالى-: {يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ} [يوسف: ٤١]، فيه مسألتان:**

**الأولى: قوله -تعالى-: {أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً} [يوسف: ٤١] أي قال للساقي: إنك ترد على عملك الذي كنت عليه من سقي الملك بعد ثلاثة أيام، وقال للآخر: وأما أنت فتدعى إلى**

**ثلاثة أيام فتصلب فتأكل الطير من رأسك، قال: والله ما رأيت شيئًا، قال: رأيت أو لم تر {قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ} [يوسف: ٤١]".**

خاف، خاف من التأويل فأنكر، والله ما رأيت شيئًا، خاف من التأويل فأنكر، وعلى كل حال إذا ادعى شخص أنه رأى رؤيا فأُولت، هل تقع أو لا تقع؟

**طالب: .....**

هل تقع أو لا تقع؟ هنا وقعت، وقد أنكر أنه رأى، وقد يكون وقوعها عقوبة له على كذبه، والكذب في ادعاء الرؤيا أعظم من الكذب في اليقظة، وإن كان الكذب في الأصل يتفاوت بتفاوت الأثر المترتب عليه، وبتفاوت المكذوب عليه أيضًا.

وعلى كل حال هذه المسألة معروفة عند أهل العلم، كثير من أهل العلم يقول: إذا كانت الرؤيا كذبًا فإنها لا يمكن تأويلها، لا يمكن تأويلها، ولو أخطأ مخطئ فأولها فإنها لا تقع، ومنهم من قال: إنها تقع، وليس للمعبر إلا ما سمع، لكن كثيرًا من المعبرين يعرفون أنها بالفعل من أحوال المدعي أنها بالفعل واقعة أو لم تقع، ومن مجموع الرؤيا هذا الخبير العارف بالتعبير قد يقول له: كذبت، ما رأيتَ شيئًا، وقد يسأل الشخص عن رؤيا يزعم أنها حصلت له، فيقول المعبر العارف بالتعبير: ما حصلت لك الرؤيا، حصلت لغيرك؛ لأنها تليق بشخص صفته كذا وكذا، ومرد ذلك الخبرة والمعرفة، وعلى كل حال حصلت مثل هذه القصة لعمر سيذكرها المؤلف -إن شاء الله تعالى-.

**طالب: .....**

لا، هو إذا ذكر رقم، إذا ذكر رقم يستفاد منه في التعبير، إذا ذكر رقم أو ذكر ما يستشف ما يستنبط منه رقم، أما يذكر شيء لا مساس له بالأرقام فيستنبط منه رقم، هذا شيء آخر.

**طالب: .....**

أما بالنسبة لمن يكثر الكذب في حديثه مع الناس، فلا يكاد يصدق له رؤيا، ومن يلازم الصدق لا شك أن هذا في الغالب لا تخطئ له رؤيا.

**طالب: .....**

نعم، كثير منهم توسعه غير مرضي، ويخبرون عن دقائق وعن أشياء لا ينبغي الإخبار بها، أو لا يمكن إدراكها من خلال الرؤيا، لا شك أنه أحيانًا في بعض التعبيرات التي يزاولها بعض الناس قد جاوزت حد الرؤيا، وقد يخبرون عن أشياء يترتب عليها شيء من الفتنة للناس أو لبعضهم كالإخبار بالمغيبات، والله المستعان، توسعوا في ذلك توسعًا غير مرضي.

**"وحكى أهل اللغة أن سقى وأسقى لغتان بمعنى واحد، كما قال الشاعر:**

سقى قومي بني مجد وأسقى نميرًا والقبائل من هلال

**قال النحاس: الذي عليه أكثر أهل اللغة أن معنى سقاه ناوله فشرب، أو صب الماء في حلقه، ومعنى أسقاه جعل له سقيًا، قال الله -تعالى-: {وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً} [المرسلات: ٢٧].**

**الثانية: قال علماؤنا: إن قيل: من كذب في رؤياه ففسرها العابر له أيلزمه حكمها؟ قلنا: لا يلزمه، وإنما كان ذلك في يوسف؛ لأنه نبي، وتعبير النبي حكم، وقد قال: إنه يكون كذا وكذا، فأوجد الله -تعالى- ما أخبر كما قال تحقيقًا لنبوته، فإن قيل: فقد روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: إني رأيت كأني أعشبت ثم أجدبت ثم أعشبت ثم أجدبت، فقال له عمر: أنت رجل تؤمن ثم تكفر، ثم تؤمن ثم تكفر، ثم تموت كافرًا، فقال الرجل: ما رأيت شيئًا، فقال له عمر: قد قضى لك ما قضى لصاحب يوسف، قلنا: ليست لأحد بعد عمر؛ لأن عمر كان محدثًا".**

قد، لكن أيضًا قد يكذب، قد يكذب في دعواه أنه لم ير شيئًا، قد يكذب في دعواه أنه لم ير شيئًا.

**"لأن عمر كان محدثًا".**

يعني ملهمًا كما جاء في الحديث الصحيح.

**"وكان إذا ظن ظنًا كان، وإذا تكلم به وقع، على ما ورد في أخباره، وهي كثيرة، منها: أنه دخل عليه رجل فقال له: أظنك كاهنًا، فكان كما ظن، خرجه البخاري. ومنها: أنه سأل رجلًا عن اسمه فقال له: فيه أسماء النار كلها، فقال له: أدرك أهلك فقد احترقوا، ".**

اسمه شهاب بن جمرة بن لظى، ما أدري إيش، فقال: أدرك أهلك، كيف؟

**طالب: .....**

نعم.

**طالب: .....**

ابن حرقة، من الحرقة، من الحرقة، فقال: أدرك أهلك فقد احترقوا، فوجدهم كذلك، هذا استنباط من الألفاظ التي ينبغي أن يتداول منها أحسنها.

**طالب: .....**

هذا من باب الفأل، من باب الفأل ينبغي تحسين الأسماء، من باب الفأل ينبغي تحسين الأسماء.

**"فكان كما قال، خرجه في الموطأ".**

**طالب: .....**

الذي هو أدرك أهلك؟

**طالب: .....**

هذا بسند صحيح إلى عبد الرزاق.

**"خرجه في الموطأ، وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة الحجر -إن شاء الله تعالى-.**

**قوله -تعالى-: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ ناجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْساهُ الشَّيْطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} [يوسف: ٤٢].**

**فيه خمس مسائل:**

**الأولى: قوله -تعالى-: {وَقالَ لِلَّذِي ظَنَّ} [يوسف: ٤٢]، {ظَنَّ} [يوسف: ٤٢] هنا بمعنى أيقن، في قول أكثر المفسرين".**

يعني كما في قوله -تعالى-: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ} [البقرة: ٤٦]، ما يكفي الظن في مثل هذا، لا يكفي الظن في مثل هذا، بل لا بد من اليقين.

**"وفسره قتادة على الظن الذي هو خلاف اليقين".**

يعني الذي يحتمل النقيض، الاحتمال الراجح من وجهي الاحتمال يسمى ظنًا، ويقابله الوهم، الاحتمال المرجوح.

**"قال: إنما ظن يوسف نجاته؛ لأن العابر يظن ظنًّا وربك يخلق ما يشاء، والأول أصح وأشبه بحال الأنبياء، وأن ما قاله للفتيين في تعبير الرؤيا كان عن وحي، وإنما يكون ظنًّا في حكم الناس، وأما في حق الأنبياء، فإن حكمهم حق كيفما وقع.**

**الثانية: قوله -تعالى-: {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} [يوسف: ٤٢] أي سيدك، وذلك معروف في اللغة أن يقال للسيد: رب، قال الأعشى:**

ربـــي كـــريم لا يكـــدر نعمـــة وإذا تنوشـــد فـــي المهـــارق أنشـــدا

**أي اذكر ما رأيته، وما أنا عليه من عبارة الرؤيا للملك، وأخبره أني مظلوم محبوس بلا ذنب.**

**وفي صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لا يقل أحدكم: اسق ربك، أطعم ربك، وضئ ربك، ولا يقل أحدكم: ربي، وليقل: سيدي مولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي، أمتي، وليقل: فتاي، فتاتي، غلامي».**

**وفي القرآن: {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} [يوسف: ٤٢]، {إلى ربك} [يوسف: ٥٠]، {إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ} [يوسف: ٢٣] أي صاحبي، يعني العزيز".**

هذا في شرع من قبلنا، شريعة يوسف -عليه السلام-، وُجد بعض الأشياء التي جاء شرعنا بخلافها؛ كما هنا، وكما في سجوده، سجود أبويه مع إخوته، {وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً} [يوسف: ١٠٠].

**طالب: .....**

الجمهور على أنه مكروه فقط، لكن صريح النهي يدل على التحريم.

**طالب: .....**

المسألة فيها شيء من المبالغة، وإن كثر إطلاقها.

**"ويقال لكل من قام بإصلاح شيء وإتمامه: قد ربه يربه، فهو رب له. قال العلماء: قوله -عليه السلام-: «لا يقل أحدكم، وليقل» من باب الإرشاد إلى إطلاق اسم الأولى، لا أن إطلاق ذلك الاسم محرم؛ ولأنه قد جاء عنه -عليه السلام-: «أن تلد الأمة ربها» أي مالكها وسيدها، وهذا موافق للقرآن في إطلاق ذلك اللفظ، فكان محل النهي في هذا الباب ألا نتخذ هذه الأسماء عادة فنترك الأولى والأحسن.**

**وقد قيل: إن قول الرجل: عبدي وأمتي يجمع معنيين: أحدهما: أن العبودية بالحقيقة إنما هي لله -تعالى-، ففي قول الواحد من الناس لمملوكه: عبدي وأمتي تعظيم عليه، وإضافة له إلى نفسه بما أضافه الله -تعالى- به إلى نفسه، وذلك غير جائز. والثاني: أن المملوك يدخله من ذلك شيء في استصغاره بتلك التسمية، فيحمله ذلك على سوء الطاعة. وقال ابن شعبان في الزاهي".**

فرق بين أن ينسب هذا اللفظ إلى نفسه فيقول: عبدي وأمتي، عبدي مثلًا، وبين أن يُنسب من قبل غيره فيقال: عبد فلان، فالذي ينسب الشيء إلى نفسه مع لفظ يفيد شيئًا من التعظيم، لا شك أن مثل هذا مجانب للتواضع، أما أن ينسبه غيره إلى ذلك، فالأمر أسهل؛ لأنه حينئذ يسلم من التزكية.

**طالب: .....**

نعم.

**طالب: .....**

والله على حسب الطعن، إن كان غير متعدٍ، إذا كان الطعن خاصًّا لازمًا غير متعدٍّ، فالأولى ألا ينتصر لنفسه، وإذا كان الطعن فيه يتعدى ضرره ينبغي أن يدافع عنه، وإن دافع عن نفسه فلا بأس، وإن اقتضى الأمر إلى ذكر شيء من مناقبه ومحاسنه، فالله -سبحانه وتعالى- لا يحب الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، وهو مظلوم في هذه المسألة، ولذا لما قيل في ابن عمر: إنه كان عييًّا، قال: كيف يكون عييًا من في جوفه كتاب الله؟ وهذا كثير في سيرهم أنهم إذا ظُلموا أو اتُّهموا بشيء دافعوا عن أنفسهم، لكن كونه يتولى الدفاع غيره أولى.

**" لا يقل السيد: عبدي وأمتي، ولا يقل المملوك: ربي ولا ربتي، وهذا محمول على ما ذكرناه.**

**وقيل: إنما قال -صلى الله عليه وسلم-: «لا يقل العبد: ربي، وليقل: سيدي»؛ لأن الرب من أسماء الله -تعالى- المستعملة بالاتفاق، واختلف في السيد هل هو من أسماء الله -تعالى- أم لا؟ فإذا قلنا: ليس من أسماء الله، فالفرق واضح، إذ لا التباس ولا إشكال، وإذا قلنا: إنه من أسمائه فليس في الشهرة ولا الاستعمال كلفظ الرب، فيحصل الفرق.**

**وقال ابن العربي: يحتمل أن يكون ذلك جائزًا في شرع يوسف -عليه السلام-".**

يعني إطلاق الرب.

"الثالثة: قوله -تعالى-: {فَأَنْساهُ الشَّيْطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ} [يوسف: ٤٢] الضمير في {فَأَنْساهُ} [يوسف: ٤٢] فيه قولان: أحدهما: أنه عائد إلى يوسف -عليه السلام-، أي أنساه الشيطان ذكر الله -عزَّ وجلَّ-، وذلك أنه لما قال يوسف لساقي الملك -حين علم أنه سينجو ويعود إلى حالته الأولى مع الملك-: {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} [يوسف: ٤٢] نسي في ذلك الوقت أن يشكو إلى الله ويستغيث به، وجنح إلى الاعتصام بمخلوق، فعوقب باللبث. قال عبد العزيز بن عمير الكندي: دخل جبريل على يوسف النبي -عليه السلام- في السجن فعرفه يوسف، فقال: يا أخا المنذرين! مالي أراك بين الخاطئين؟! فقال جبريل -عليه السلام-: يا طاهر ابن الطاهرين! يقرئك السلام رب العالمين ويقول: أما استحيت إذ استغثت بالآدميين؟! وعزتي! لألبثنك في السجن بضع سنين، فقال: يا جبريل! أهو عني راضٍ؟ قال: نعم! قال: لا أبالي الساعة.

وروي أن جبريل -عليه السلام- جاءه فعاتبه عن الله -تعالى- في ذلك وطول سجنه، وقال له: يا يوسف! من خلصك من القتل من أيدي إخوتك؟! قال: الله -تعالى-، قال: فمن أخرجك من الجب؟ قال: الله -تعالى- قال: فمن عصمك من الفاحشة؟ قال: الله -تعالى-، قال: فمن صرف عنك كيد النساء؟ قال: الله -تعالى-، قال: فكيف وثقت بمخلوق وتركت ربك فلم تسأله؟! قال: يا رب كلمة زلت مني! أسألك يا إله إبراهيم وإسحاق والشيخ يعقوب -عليهم السلام- أن ترحمني، فقال له جبريل: فإن عقوبتك أن تلبث في السجن بضع سنين.

وروى أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «رحم الله يوسف، لولا الكلمة التي قال: {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} [يوسف: ٤٢] ما لبث في السجن بضع سنين».

وقال ابن عباس: عوقب يوسف بطول الحبس بضع سنين".

حديث أبي هريرة من قوله -عليه الصلاة والسلام-: «لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي»، وفي هذا مدح ليوسف -عليه السلام-، «لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي»، يعني داعي الملك حينما طلبه الملك، فقال له: {ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ} [يوسف: ٥٠]؛ ليقترن خروجه بالبراءة مما نُسب إليه، فإذا أُمر بالخروج وخرج مباشرة، ما تحصل البراءة مثل رده لرسول الملك وقوله له: {ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ} [يوسف: ٥٠]؛ لكي يبحث الملك، ويطلب الجواب، ويُسمع الجواب الصحيح، وحينئذ تنتشر براءة يوسف -عليه السلام-، لكن العادة أن المسجون مجرد ما يُفتح الباب، ولو لم يقل، ولم يقل له أحد: اخرج، ينظر إلى الباب، ولذا قال -عليه الصلاة والسلام-: «لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي»، ولا شك أن هذا مدح ليوسف -عليه السلام-.

طالب: .....

يعني واحد يسجن في السجن بضع سنين، سبع سنين، أو أقل أو أكثر - على الخلاف في ذلك-، سنين، ثم يقال له: الملك يدعوك، يقول له: ارجع إلى الملك، يعني عادة الإنسان وجبلته تدعو إلى أنه مجرد ما يفتح الباب بالنسبة للمسجون ينظر إلى الباب ويخرج، هذا من تواضعه - عليه الصلاة والسلام-، وإرادة رفع شأن يوسف -عليه السلام-؛ لئلا يتطاول الناس عليه بسبب ما ذُكر عنه في هذه السورة.

**"وقال ابن عباس: عوقب يوسف بطول الحبس بضع سنين لما قال للذي نجا منهما: {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} [يوسف: ٤٢]، ولو ذكر يوسف ربه لخلصه.**

**وروى إسماعيل بن إبراهيم عن يونس عن الحسن قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لولا كلمة يوسف- يعني قوله: {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} [يوسف: ٤٢]- ما لبث في السجن ما لبث» قال: ثم يبكي الحسن ويقول: نحن ينزل بنا الأمر فنشكو إلى الناس".**

هذه يمكن تكون من خير ما يقوله الناس، لا تنسنا يا فلان، اذكر حاجتي إلى فلان، اذكر وأنت ذاهب للمدير اذكر كذا، وأنت ذاهب إلى المستشفى اسأل الطبيب عن كذا، هذه أمر اعتاده الناس، ولا شك أن مزاولة الأسباب أمر لا بأس به، وكل بحسب موقعه، وقد يكون من بعض الناس مقبولًا، ولكنه من بعضهم غير مقبول، فالناس منازل؛ كما يقولون: حسنات الأبرار سيئات المقربين، يليق بفئة من الناس ما لا يليق بغيرهم، ويُقبل من قوم ما لا يقبل من غيرهم، فإذا وجدت شابًّا فاته بعض الصلاة تفرح أنه جاء يصلي، قبلت منه هذا القدر الذي أدركه من الصلاة، لكن كبير سن يفوته شيء من الصلاة، ما يناسب هذا، طالب علم الأمر فيه أشد، فلا شك أن الناس منازل، فيُطلب من بعض الناس ويُتوقع منهم غير ما يتوقع من البعض الآخر، ولا شك أن من كان بالله أعرف كان منه أخوف، فيوسف -عليه السلام- هذه منزلته، والله المستعان.

**طالب: .....**

الذي يزاول الأسباب ولا يلتفت إليها، لا شك أنه أفضل، الذي يزاول الأسباب ولا يلتفت إليها بقلبه، بل يعتمد على ربه هذا أفضل، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- باشر الأسباب، أما من يزاول الأسباب مع التفاته إليها بحيث لو تركها تشكَّى وتذمَّر، ولو أني فعلت كذا، ولو أني، هذا يزاول الأسباب أفضل من كونه يتركها، وشخص إذا زاول الأسباب اعتمد عليها اعتمادًا كليًّا، ورأى أنه لو لم يعالج ما برئ، مثل هذا محض التوكل أفضل له؛ لأنه ينقله من مجرد كونه سببًا إلى كونه مؤثرًا، وهذا خطر.

**"وقيل: إن الهاء تعود على الناجي، فهو الناسي، أي أنسى الشيطانُ الساقي أن يذكر يوسف لربه، أي لسيده، وفية حذف، أي أنساه الشيطان ذكره لربه، وقد رجح بعض العلماء هذا القول**

**فقال: لولا أن الشيطان أنسى يوسف ذكر الله لما استحق العقاب باللبث في السجن، إذ الناسي غير مؤاخذ.**

**وأجاب أهل القول الأول بأن النسيان قد يكون بمعنى الترك، فلما ترك ذكر الله ودعاه الشيطان إلى ذلك عوقب، رد عليهم أهل القول الثاني بقوله -تعالى-: {وَقَالَ الَّذِي نَجا مِنْهُما وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ} [يوسف: ٤٥]، فدل على أن الناسي هو الساقي لا يوسف، مع قوله -تعالى-: {إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ} [الحجر: ٤٢]، فكيف يصح أن يضاف نسيانه إلى الشيطان، وليس له على الأنبياء سلطنة؟!**

**قيل: أما النسيان فلا عصمة للأنبياء عنه إلا في وجه واحد، وهو الخبر عن الله -تعالى- فيما يبلغونه، فإنهم معصومون فيه، وإذا وقع منهم النسيان حيث يجوز وقوعه فإنه ينسب إلى الشيطان إطلاقًا، وذلك إنما يكون فيما أخبر الله عنهم، ولا يجوز لنا نحن ذلك فيهم، قال -صلى الله عليه وسلم-: «نسي آدم فنسيت ذريته». وقال: «إنما أنا بشر أنسى كما تنسون». وقد تقدم".**

قوله: النسيان قد يكون بمعنى الترك، يعني منه قوله -تعالى-: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} [التوبة: ٦٧]، {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} [التوبة: ٦٧]، أي تركوا عبادته، فنسيهم، يعني تركهم من هدايته ومغفرته، وتركهم في عذابه في الآخرة، أما بالنسبة للنسيان وجريانه على الأنبياء، فنسيانهم تشريع، ونسيانهم شيئًا مما أُمروا بتبليغه هذا ما يمكن أن يحصل، فالإجماع قائم على عصمتهم من مثله، يعني أُمر بتبليغ شيء فنسيه، الإجماع قائم على عصمتهم من مثل ذلك، وكونهم ينسون ليسنوا ويشرعوا، وقد حصل النسيان والسهو في أعظم العبادات في الصلاة؛ ليكون ذلك شرعًا لأمته -عليه الصلاة والسلام-.

**طالب: .....**

{أَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ} [يوسف: ٤٢]، ما فيه شك أن الاحتمال قائم أنه يحتمل أن يكون الساقي نسي، أنساه الشيطان، ويحتمل أن يكون الناسي هو يوسف، والذي أنساه الشيطان، فعوقب، {فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} [يوسف: ٤٢].

**"الرابعة: قوله -تعالى-: {فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} [يوسف: ٤٢] البضع قطعة من الدهر مختلف فيها، قال يعقوب عن أبي زيد: يقال بضع وبضع بفتح الباء وكسرها، قال أكثرهم: ولا يقال بضع ومائة، وإنما هو إلى التسعين".**

يعقوب هذا من؟ وأبو زيد من؟

**طالب: .....**

صحيح، وأبو زيد؟ أبو زيد الأنصاري الإمام اللغوي الثقة الذي إذا قال سيبويه: حدثني الثقة، يقصده.

**"وقال الهروي: العرب تستعمل البضع فيما بين الثلاث إلى التسع. والبضع والبضعة واحد، ومعناهما القطعة من العدد. وحكى أبو عبيدة أنه قال: البضع ما دون نصف العقد، يريد ما بين الواحد إلى أربعة، وهذا ليس بشيء.**

**وفي الحديث أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه-: «وكم البضع؟» فقال: ما بين الثلاث إلى السبع. فقال: «اذهب فزائد في الخطر». وعلى هذا أكثر المفسرين، أن البضع سبع، حكاه الثعلبي".**

يعني في مراهنة أبي بكر للمشركين في غلبة الروم راهنهم على أنهم سيغلبون في بضع سنين.

**"قال الماوردي: وهو قول أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وقطرب.**

**وقال مجاهد: من ثلاث إلى تسع، وقاله الأصمعي. قال ابن عباس: من ثلاث إلى عشرة. وحكى الزجاج أنه ما بين الثلاث إلى الخمس. قال الفراء: والبضع لا يذكر إلا مع العشرة والعشرين إلى التسعين، ولا يذكر بعد المائة.**

**وفي المدة التي لبث فيها يوسف مسجونًا ثلاثة أقاويل: أحدها: سبع سنين، قاله ابن جريج وقتادة ووهب بن منبه، قال وهب: أقام أيوب في البلاء سبع سنين، وأقام يوسف في السجن سبع سنين.**

**الثاني: اثنتا عشرة سنة، قاله ابن عباس.**

**الثالث: أربع عشرة سنة، قاله الضحاك.**

**وقال مقاتل: عن مجاهد عن ابن عباس قال: مكث يوسف في السجن خمسًا وبضعًا. واشتقاقه من بضعت الشيء أي قطعته، فهو قطعة من العدد، فعاقب الله يوسف بأن حبس سبع سنين أو تسع سنين بعد الخمس التي مضت، فالبضع مدة العقوبة لا مدة الحبس كله. قال وهب بن منبه: حبس يوسف في السجن سبع سنين، ومكث أيوب في البلاء سبع سنين، وعذب بخت نصر بالمسخ سبع سنين.**

**وقال عبد الله بن راشد البصري عن سعيد بن أبي عروبة: إن البضع ما بين الخمس إلى الاثنتي عشرة سنة.**

**الخامسة: في هذه الآية دليل على جواز التعلق بالأسباب، وإن كان اليقين حاصلًا، فإن الأمور بيد مسببها، ولكنه جعلها سلسلة، وركب بعضها على بعض، فتحريكها سُنَّة، والتعويل على المنتهى يقين. والذي يدل على جواز ذلك نسبة ما جرى من النسيان إلى الشيطان كما جرى لموسى في لقيا الخضر، وهذا بيّن فتأملوه ".**

التعلق بالأسباب يعني فعل الأسباب، التعلق بها يعني فعلها، وليس المراد بذلك الركون إليها، وادعاء أنها مؤثرة بذاتها، كما يقوله بعض المبتدعة، فمذهب أهل السنة وسط بين طرفي نقيض،

فالمعتزلة تأثير الأسباب، والأشعرية يلغون أثر الأسباب، وأن الأسباب وجودها مثل عدمها، وأن الأشياء التي عُلقت عليها تحصل عندها لا بها، تحصل عندها لا بها، والمعتزلة على النقيض من ذلك يرون أنها مؤثرة بذاتها، وأهل السنة يرون أنها مؤثرة بجعل الله -سبحانه وتعالى- الأثر فيها، لا شك أن الثياب تقي من البرد، لكن لا لذاتها، بجعل الله -سبحانه وتعالى- ذلك الأثر فيها، وعند الأشعرية الدفء إنما حصل عندها لا بها، الإبصار إنما حصل عند البصر لا به، ولذلك لا فرق عندهم بين الأعمى والمبصر، العين لا أثر لها، وجودها مثل عدمها، وإنما عندها يحصل الإبصار لا بها، ولذا استفاض عنهم وقالوه بالحرف: إنه يجوز -يعني في عقولهم الكبار- أن يرى أعمى الصين بقة الأندلس؛ لماذا؟

لأن البصر سبب، والسبب لا قيمة له، ولا أثر له، وهذا شيء ما هو بإلزام، نصوا عليه بالحرف، ما هو بإلزام، يعني يلزمهم أن يقولوا كذا، لا.

فعلى من سلك هذا المسلك الوسط والمنهج السوي أن يحمد الله -سبحانه وتعالى- على هذه النعمة؛ إذ لو تركه وعقله لضل وزل، كم فيهم من الأذكياء والعباقرة من الطائفتين -من المعتزلة والأشعرية-! لكن العقل وحده لا يهدي، العقل إن لم يُلزم ويُزم بزمام الشرع، فإنه في الغالب نقص لا يستقل بالهداية، نعم يستفيد منه من يسخره لفهم الشرع، وما جاء عن الله وعن رسوله، لا شك أنه نعمة، لكن النعم إذا لم تستخدم فيما يرضي الله -سبحانه وتعالى-، فهي نقم، كثير من الأذكياء يستغل ذكاءه فيما يضر الناس ويؤذيهم به، مثل هذا ذكاؤه وبال عليه، والله المستعان.

**"قوله -تعالى-: {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ} [يوسف: ٤٣] لما دنا فرج يوسف -عليه السلام- رأى الملك رؤياه، فنزل جبريل فسلم على يوسف وبشره بالفرج وقال: إن الله مخرجك من سجنك، وممكّن لك في الأرض، يذل لك ملوكها، ويطيعك جبابرتها، ومعطيك الكلمة العليا على إخوتك، وذلك بسبب رؤيا رآها الملك، وهي كيت وكيت، وتأويلها كذا وكذا، فما لبث في السجن أكثر مما رأى الملك الرؤيا حتى خرج، فجعل الله الرؤيا أولًا ليوسف بلاء وشدة، وجعلها آخرًا بشرى ورحمة، وذلك أن الملك الأكبر الريان بن الوليد رأى في نومه كأنما خرج من نهر يابس سبع بقرات سمان، في إثرهن سبع عجاف- أي مهازيل- وقد أقبلت العجاف على السمان فأخذن بآذانهن فأكلنهن، إلا القرنين، ورأى سبع سنبلات خضر قد أقبل عليهن سبع يابسات فأكلنهن حتى أتين عليهن فلم يبق منهن شيء وهن يابسات، وكذلك البقر كن عجافًا فلم يزد فيهن شيء من أكلهن السمان، فهالته الرؤيا، فأرسل إلى الناس وأهل العلم منهم والبصر بالكهانة والنجامة والعرافة والسحر، وأشراف قومه، فقال: {يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيايَ} [يوسف: ٤٣]، فقص عليهم، فقال القوم: {أَضْغاثُ أَحْلامٍ} [يوسف: ٤٤]، قال ابن جريج: قال لي عطاء: إن أضغاث الأحلام الكاذبة المخطئة من الرؤيا.**

**وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن الرؤيا منها حق، ومنها أضغاث أحلام، يعني بها الكاذبة.**

**وقال الهروي: قوله -تعالى-: {أَضْغَاثُ أَحْلامٍ} [يوسف: ٤٤] أي أخلاط أحلام. والضغث في اللغة الحزمة من الشيء كالبقل والكلأ وما أشبههما، أي قالوا: ليست رؤياك ببينة، والأحلام الرؤيا المختلطة.**

**وقال مجاهد: أضغاث الرؤيا أهاويلها.**

**وقال أبو عبيدة: الأضغاث ما لا تأويل له من الرؤيا. قوله -تعالى-: {سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ} [يوسف: ٤٣] حذفت الهاء من {سَبْعَ} [يوسف: ٤٣] فرقًا بين المذكر والمؤنث {سِمانٍ} [يوسف: ٤٣] من نعت البقرات، ويجوز في غير القرآن سبع بقرات سمانًا، نعت للسبع، وكذا خضرًا، قال الفراء: ومثله {سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً} [نوح: ١٥]، وقد مضى في سورة البقرة اشتقاقها ومعناها".**

الوصف والتابع عمومًا إذا تبع المضاف مع المضاف إليه، هل يكون تابعًا للمضاف أو للمضاف إليه؟

هنا {سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ} [يوسف: ٤٣]؟

**طالب:** .....

لماذا؟

**طالب:** .....

نعم، للمضاف إليه، {سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً} [نوح: ١٥] للمضاف، للمضاف، لكن إذا اتحدت الحركة فصارت المضاف بكسرة، مررت بغلام زيدٍ الفاضل، وصف لأيهما؟

**طالب: غلام.**

ماذا يدريك؟

**طالب:** .....

كلاهما مجرور، غلام وزيد كلاهما مجرور، نعم هنا يميز الإعراب، علامة الإعراب، مررت بغلام زيدٍ الفاضل، وما يدريك أن الغلام هو الفاضل؟ هنا يحتاج إلى النظر في السياق وما يدل عليه.

في مثل قوله -تعالى-: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو} [الرحمن: ٢٧]، {ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٧]، {ذُو} [الرحمن: ٢٧] مع قوله: {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي} [الرحمن: ٧٨]، هذا واضح إذا كان الإعراب بالحروف سهلًا، وإذا اختلفا إعراب المضاف مع المضاف إليه، كان هذا مرفوعًا وهذا مجرورًا هذا أمره سهل، لكن إذا كانا مجرورين فلا بد من فهم السياق كاملًا ليُعرف التابع لمن، هل هو للمضاف أو للمضاف إليه.

ولذا عندنا {سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ} [يوسف: ٤٣]، {سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً} [نوح: ١٥]، لماذا هذا نُصب؟ قد يقول قائل: لماذا هذا نُصب وهذا جُر؟ تكون القاعدة واحدة إما للمضاف أو للمضاف إليه؟ نقول: لا، أحيانًا يكون الوصف للمضاف، وأحيانًا يكون للمضاف إليه، وإذا اختلف إعراب المضاف عن المضاف إليه فالأمر سهل.

**طالب: .....**

هذا في غير القرآن، في غير القرآن، الوصف لأي شيء؟ الوصف للسبع أو للسماوات؟ السماوات الطباق ولا السبع الطباق؟ يجوز هذا وذاك؛ لأن السبع هي السماوات، لأن السبع هي السماوات.

**"وقال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: المعز والبقر إذا دخلت المدينة، فإن كانت سمانًا فهي سني رخاء، وإن كانت عجافًا كانت شدادًا، وإن كانت المدينة مدينة بحر وإبان سفر قدمت سفن على عددها وحالها، وإلا كانت فتنًا مترادفة، كأنها وجوه البقر، كما في الخبر: «يشبه بعضها بعضًا».**

**وفي خبر آخر في الفتن: «كأنها صياصي البقر» يريد لتشابهها، إلا أن تكون صفرًا كلها فإنها أمراض تدخل على الناس".**

لأن لون الصفرة دليل المرض.

**"وإن كانت مختلفة الألوان، شنيعة القرون وكان الناس ينفرون منها، أو كأن النار والدخان يخرج من أفواهها فإنه عسكر أو غارة، أو عدو يضرب عليهم، وينزل بساحتهم. وقد تدل البقرة على الزوجة والخادم والغلة والسَّنة، لما يكون فيها من الولد والغلة والنبات. {يأكلهن سبع عجاف} [يوسف: ٤٣] من عجف يعجف، على وزن عظم يعظم، وروي عجف يعجف على وزن حمد يحمد.**

**قوله -تعالى-: {يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيايَ} [يوسف: ٤٣] جمع الرؤيا رؤى: أي أخبروني بحكم هذه الرؤيا. {إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ} [يوسف: ٤٣]، العبارة مشتقة من عبور النهر، فمتى عبرت النهر، بلغت شاطئه، فعابر، الرؤيا يعبر بما يؤول إليه أمرها. واللام في {لِلرُّءْيا} [يوسف: ٤٣] للتبيين، أي إن كنتم تعبرون، ثم بيّن فقال: للرؤيا، قاله الزجاج.**

**{قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ وَما نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلامِ بِعالِمِينَ} [يوسف: ٤٤]، فيه مسألتان".**

**طالب: .....**

تأويل، يعني إذا رئي هذا يكون كذا، إن ثبت، إن ثبت، إن ثبت.

**طالب: .....**

الفعل رأى، المصادر الثلاثة تختلف باختلاف المعاني، تقول: رأى رؤيا يعني في النوم، ورأى رأيًا يعني بعقله، ورأى رؤية ببصره، قد يستعار بعضها مكان بعض، لكن هذا هو الأصل، فرؤيا

الأحداث يعني تحليل الأحداث يشبه تعبير الرؤيا؛ لأنه يستدل بهذا بالقرائن التي تحتف بهذه الأحداث على تفسيرها، وتأويلها كما يستدل بالقرائن التي تحتف بالرؤيا لتأويلها، مجرد استعارة.

"**الأولى: قوله -تعالى-: {أَضْغَاثُ أَحْلامٍ} [يوسف: ٤٤] قال الفراء: ويجوز (أَضْغَاثَ أَحْلامٍ) [يوسف: ٤٤] قال النحاس: النصب بعيد؛ لأن المعنى: لم ترَ شيئًا له تأويل، إنما هي أضغاث أحلام، أي أخلاط. وواحد الأضغاث ضغث، يقال لكل مختلط من بقل أو حشيش أو غيرهما: ضغث**".

النصب، النصب على ماذا؟ **(قَالُوا أَضْغَاثَ أَحْلامٍ)** [يوسف: ٤٤]، منصوب بالفعل رأيت، بالفعل رأيت أضغاثَ أحلام؛ كما في قوله -تعالى-: **{حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ}** [سبأ: ٢٣].

"**قال الشاعر:**

كضـــغث حلـــم غـــر منـــه حالمـــه

**{وَما نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلامِ بِعالِمِينَ} [يوسف: ٤٤] قال الزجاج: المعنى بتأويل الأحلام المختلطة، نفوا عن أنفسهم علم ما لا تأويل له، لا أنهم نفوا عن أنفسهم علم التأويل.**

**وقيل: نفوا عن أنفسهم علم التعبير**".

ما قالوا: نحن بالتأويل، ما نحن بالتأويل عالمين، لم يقولوا: وما نحن بالتأويل بعالمين، إنما نفوا عن أنفسهم تأويل الأحلام التي هي الأضغاث.

"**وقيل: نفوا عن أنفسهم علم التعبير، والأضغاث على هذا الجماعات من الرؤيا التي منها صحيحة، ومنها باطلة، ولهذا قال الساقي: {أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ} [يوسف: ٤٥] فعلم أن القوم عجزوا عن التأويل، لا أنهم ادعوا ألا تأويل لها.**

**وقيل: إنهم لم يقصدوا تفسيرًا، وإنما أرادوا محوها من صدر الملك حتى لا تشغل باله، وعلى هذا أيضًا فعندهم علم**".

قد يستعمل بعض الناس إذا طُلب منه تأويل رؤيا قال: خير يكون، خير يكون، وانصرف عن صاحب الرؤيا؛ لأنه لا يشتغل بها، هذا قد يُسلك من قبل بعض الناس.

"**و{الْأَحْلامِ} [يوسف: ٤٤] جمع حلم، والحلم بالضم ما يراه النائم، تقول منه: حلم بالفتح واحتلم، وتقول: حلمت بكذا وحلمته، قال:**

فحملتهـــا وبنـــو رفيـــدة دونهـــا لا يبعـــدن خيالهـــا المحلـــوم

**أصله الأناة، ومنه الحلم ضد الطيش، فقيل لما يرى في النوم: حلم؛ لأن النوم حالة أناة وسكون ودعه.**

**الثانية: في الآية دليل على بطلان قول من يقول: إن الرؤيا على أول ما تعبر؛ لأن القوم قالوا: {أَضْغَاثُ أَحْلامٍ} [يوسف: ٤٤]، ولم تقع كذلك، فإن يوسف فسرها على سني الجدب والخصب، فكان كما عبر، وفيها دليل على فساد أن الرؤيا على رجل طائر، فإذا عبرت، وقعت".**

دليل على بطلان قول من يقول: إن الرؤيا على أول ما تُعبر، لكن هل هم عبروها؟ أو رفضوا تعبيرها؟ هل هم عبروها؟ **{قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ}** [يوسف: ٤٤]، ما عبروا، فليس في الآية دليل على البطلان على قوله، وأما كون الرؤيا على رجل طائر أو جناح طائر، قد جاء في الحديث، عندك مخرج؟ ما خُرج عندكم؟

**طالب: .....**

معروف أنه الترمذي، لكن ما تكلم عليه؟

**طالب: .....**

ما خرج عندك؟

**طالب: .....**

فيها دليل على فساد أن الرؤيا على رجل طائر، فإذا عُبرت وقعت، هذا يدل له الحديث الصحيح أن الرؤيا إذا لم تكن حسنة، فإن كانت مما يسوء فإنه لا يحسن تعبيرها؛ لئلا تقع، بل ينفث عن شماله، ويستعيذ من الشيطان، وحينئذٍ لا تقع، فإذا عُبرت تقع، إذا لم تعبر لم تقع، كما دل له هذا الحديث، سواء كانت حسنة أو ليست حسنة.

**طالب: .....**

فيها دليل على فساد أن الرؤيا على رجل طائر، وهذا يؤكد لنا أن المؤلف -كما مر بنا مرارًا- ليس من أهل الحديث كما هو معروف، وقد يسوق بعض الأحاديث الضعيفة، وقد يصدر الأحاديث الصحيحة بصيغة التمريض.

وعلى كل حال الكمال لله، يبقى أن التفسير تفسير جامع على اسمه، تفسير نافع ماتع ومفيد، إلا أنه في هذه الجهة أنه ضم أحاديث كثيرة، وُجد فيه أحاديث كثيرة، يعني فيه معدل، يعني ما يقرب من عشرة آلاف حديث الكتاب، الكتاب بمجموعه فيه ما يقرب من عشرة آلاف حديث، فهي كمية طيبة، لكن يبقى أنه ليس من أهل الصناعة، ولذا قد ينسب الحديث إلى السنن، وهو موجود في الصحيح، قد ينسب الحديث إلى السنن وهو موجود في الصحيح، وقد ينسبه إلى مسلم وهو في البخاري، وهكذا.

وعلى كل حال الكمال لله.

**"قوله -تعالى-: {وَقالَ الَّذِي نَجا مِنْهُما} [يوسف: ٤٥] يعني ساقي الملك. {وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ} [يوسف: ٤٥] أي بعد حين، عن ابن عباس وغيره، ومنه: {إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ} [هود: ٨]،**

**وأصله الجملة من الحين. وقال ابن درستويه: والأمة لا تكون الحين إلا على حذف مضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، كأنه قال- والله أعلم-: وادكر بعد حين أمة، أو بعد زمن أمة، وما أشبه ذلك، والأمة الجماعة الكثيرة من الناس. قال الأخفش: هو في اللفظ واحد، وفي المعنى جمع، وكل جنس من الحيوان أمة".**

الجماعة الكثيرة من الناس، يعني كما جاء في سورة القصص **{لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ}** [القصص: ٢٣].

**"وفي الحديث: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها»".**

جاء الأمر بقتلها، ثم نُسخ ذلك الأمر.

**"قوله -تعالى-: {وَادَّكَرَ} [يوسف: ٤٥] أي تذكر حاجة يوسف، وهو قول: {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} [يوسف: ٤٢]".**

**طالب: أحسن الله إليكم، ما استثني من الكلاب شيء؟**

استثني الأسود وغيره، والكلب الكَلِب الذي هو العقور وما أشبه ذلك.

**"وقرأ ابن عباس -فيما روى عفان عن همام عن قتادة عن عكرمة عنه-: {وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ} [يوسف: ٤٥]. قال النحاس: المعروف من قراءة ابن عباس وعكرمة والضحاك (وادكر بعد أَمَهٍ) [يوسف: ٤٥] بفتح الهمزة وتخفيف الميم، أي بعد نسيان، قال الشاعر:**

أمهـــت وكنـــت لا أنســـى حـــديثًا كـــذاك الـــدهر يـــودي بـــالعقول"

بلا شك، الدهر يعني طول العمر يعرض الإنسان للنسيان، والله المستعان.

**"وعن شبيل بن عزرة الضُبَعي: (بعد أَمْهٍ) [يوسف: ٤٥] بفتح الألف وإسكان الميم وهاء خالصة، وهو مثل الأمه، وهما لغتان، ومعناهما النسيان، ويقال: أمه يأمه أمهًا إذا نسي، فعلى هذا: (وادكر بعد أمه) [يوسف: ٤٥]، ذكره النحاس، ورجل أمه ذاهب العقل. قال الجوهري: وأما ما في حديث الزهري (أمه) [يوسف: ٤٥] بمعنى أقر واعترف، فهي لغة غير مشهورة.**

**وقرأ الأشهب العقيلي: (بعد إمة) [يوسف: ٤٥] أي بعد نعمة، أي بعد أن أنعم الله عليه بالنجاة. ثم قيل: نسي الفتى يوسف لقضاء الله -تعالى- في بقائه في السجن مدة.**

**وقيل: ما نسي، ولكنه خاف أن يذكر الملك الذنب الذي بسببه حبس هو والخباز".**

لأنه إذا أخبره بطلب يوسف ذكر أنه جاء من السجن من عند يوسف، وإذا عرف أنه ممن سُجن عرف الذنب الذي بسببه سُجن، والله المستعان.

**"فقوله: {وَادَّكَرَ} [يوسف: ٤٥] أي ذكر وأخبر. قال النحاس: أصل ادكر اذتكر، والذال قريبة المخرج من التاء، ولم يجز إدغامها فيها؛ لأن الذال مجهورة، والتاء مهموسة، فلو أدغموا**

**ذهب الجهر، فأبدلوا من موضع التاء حرفًا مجهورًا وهو الدال، وكان أولى من الطاء؛ لأن الطاء مطبقة، فصار اذدكر، فأدغموا الذال في الدال لرخاوة الدال ولينها، ثم قال: {أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ} [يوسف: ٤٥] أي أنا أخبركم. وقرأ الحسن: (أنا آتيكم بتأويله) [يوسف: ٤٥]، وقال: كيف ينبئهم العلج؟! قال النحاس: ومعنى {أُنَبِّئُكُمْ} [يوسف: ٤٥] صحيح حسن، أي أنا أخبركم إذا سألت. {فَأَرْسِلُونِ} [يوسف: ٤٥] خاطب الملك ولكن بلفظ التعظيم، أو خاطب الملك وأهل مجلسه. {يُوسُفُ} [يوسف: ٤٦] نداء مفرد، وكذا {الصِّدِّيقُ} [يوسف: ٤٦] أي الكثير الصدق".**

أصلها: يا يوسف، حُذف حرف النداء للعلم به.

**"{أَفْتِنَا} [يوسف: ٤٦] أي فأرسلوه، فجاء إلى يوسف فقال: أيها الصديق!".**

حُذفت هذه الجمل؛ لعدم اللبس.

**"وسأله عن رؤيا الملك. {لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ} [يوسف: ٤٦] أي إلى الملك وأصحابه. {لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٤٦] التعبير، أو {لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٤٦] مكانك من الفضل والعلم فتخرج، ويحتمل أن يريد بالناس الملك وحده تعظيمًا له".**

بارك الله فيك.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك.

بسم الله الرحمن الرحيم

# تفسير القرطبي

# سورة يوسف

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

| | | | |
|---|---|---|---|
| **تاريخ المحاضرة:** | **١٤٣١/١١/١٨هـ** | **المكان:** | |

**"بسم الله الرحمن الرحيم.**

**الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه، قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى-:**

**"قوله -تعالى-: {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ} [يوسف: ٤٧]، فيه مسألتان:**

**الأولى: قوله -تعالى-: {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ} [يوسف: ٤٧] لما أعلمه بالرؤيا جعل يفسرها له، فقال: السبع من البقرات السمان والسنبلات الخضر سبع سنين مخصبات، وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبات، فذلك قوله: {تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً} [يوسف: ٤٧] أي متوالية متتابعة، وهو مصدر على غير المصدر؛ لأن معنى {تَزْرَعُونَ} [يوسف: ٤٧] تدأبون كعادتكم في الزراعة سبع سنين.**

**وقيل: هو حال، أي دائبين."**

يعني مصدر بالمرادف؛ كما تقول: قعدتُ جلوسًا، وقفت قيامًا، زرعت دأبًا؛ لأن الدأب هو الزراعة، الزراعة دأب.

**"وقيل: صفة لسبع سنين، أي دائبة. وحكى أبو حاتم عن يعقوب {دَأَباً} [يوسف: ٤٧] بتحريك الهمزة، وكذا روى حفص عن عاصم".**

يعني قراءة الجمهور: (دَأْبًا) **[يوسف: ٤٧]**، بإسكان الهمزة، (دَأْبًا) **[يوسف: ٤٧]**، قراءة عاصم **{دَأَبًا} [يوسف: ٤٧]**، ما يوافق عليها غيره.

**"وهما لغتان، وفيه قولان، قول أبي حاتم: إنه من دئِب. قال النحاس: ولا يعرف أهل اللغة إلا دأَب".**

دئب دأبًا، دئب دأبًا، مثل فهم فهمًا، لكن يأتي مصدر مثل هذا الوزن على دأبًا، فرح فرحًا.

وفعل اللازم بابه فعل كفرحٍ وكجوًى وكشلل

**"والقول الآخر: إنه حرك؛ لأن فيه حرفًا من حروف الحلق، قاله الفراء، قال: وكذلك كل حرف فتح أوله وسكن ثانيه فتثقيله جائز إذا كان ثانيه همزة، أو هاء، أو عينًا، أو غينًا، أو حاء، أو خاء، وأصله العادة، قال:**

كدأبك من أم الحويرث قبلها ....."

الذي مضت كلها، همزة، أو هاء، أو عينًا، أو غينًا، أو حاءً، أو خاءً؛ لأن الهمزة إذا سبقتها ألف يوضع التنوين على الهمزة، ولا يوضع على ألف، عندك عين، غين، حاء منونة، منصوبة منونة، ولا تحتاج إلى ألف؛ لأن قبلها ألفًا بخلاف ما لو كان قبلها غير الألف لاحتاجت إلى ألف.

**"وقد مضى في آل عمران القول فيه. {فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ} [يوسف: ٤٧] قيل: لئلا يتسوس، وليكون أبقى، وهكذا الأمر في ديار مصر. {إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ} [يوسف: ٤٧] أي استخرجوا ما تحتاجون إليه بقدر الحاجة".**

والسوس، والسوس في بلاد مصر أكثر منه في غيرها، شاهد هذا في الكتب، يعني إذا جاءت من مصر فالغالب سوس، سوس غير الأرضة، السوس غير الأرضة.

**طالب: .....**

مثل ما يأتي للخبز، يعمل السوس خروقًا صغيرة مثل النقط، غير الأرضة، الأرضة تأكل بالجملة، لكن هذه تخرب، تمكن قراءة الكتاب بالراحة، لكن تشوه الكتاب، أما ما عداها من البلدان فيندر أن يوجد فيها سوس، يوجد فيها أوبئة أخرى تتلف الورق، لكن غير السوس، عندنا ما يُعرف السوس، ما فيه كتاب نجدي فيه سوس، فيه أرضة صحيح، لكن السوس ما فيه.

**طالب: .....**

نعم، ما يمكن أن يوجد كتاب نجدي فيه سوس، أرضة صحيح، الأرضة تأكل الجميع، الأرضة تقول: اقرأ وإلا قرأت، صحيح تسلط على الكتاب الذي يركن ولا يُقرأ، سبحان الله العظيم.

**طالب: .....**

..... الله المستعان.

**طالب: .....**

فيه أدوية، هم أغنياؤهم وأثرياؤهم يجعلون لها برادات الكتب.

**طالب: .....**

برادات، يعني غرفة برادة تُجعل فيها الكتب وتستمر سليمة، نحن جانا تركة قبل خمس سنوات مات صاحبها من خمسين سنة؛ كأنها اليوم خرجت من المطبعة الكتب، كأنها اليوم خرجت من المطبعة.

**طالب: .....**

لا، يأتي بجو مناسب، بجو مناسب.

**طالب: .....**

ما يضر أبدًا، أبدًا، ولا يتأثر، ولا يعفن.

**"وهذا القول منه أمر، والأول خبر. ويحتمل أن يكون الأول أيضًا أمرًا، وإن كان الأظهر منه الخبر".**

يعني يمكن أن يأتي الأمر بلفظ الخبر.

**"فيكون معنى: {تَزْرَعُونَ} [يوسف: ٤٧] أي ازرعوا.**

**الثانية: هذه الآية أصل في القول بالمصالح الشرعية التي هي حفظ الأديان والنفوس والعقول والأنساب والأموال، فكل ما تضمن تحصيل شيء من هذه الأمور فهو مصلحة، وكل ما يفوت شيئًا منها فهو مفسدة، ودفعه مصلحة".**

الشرائع كلها جاءت بحفظ الضرورات الخمس التي هي الأديان والنفوس والعقول والأنساب والأموال أيضًا، جاءت الشرائع متفقة على حفظ هذه الضرورات الخمس، فحرمت كل ما يعرض لها مباشرة أو سببًا.

**"ولا خلاف أن مقصود الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية؛ ليحصل لهم التمكن من معرفة الله -تعالى- وعبادته الموصلتين إلى السعادة الأخروية، ومراعاة ذلك فضل من الله- عز وجل- ورحمة رحم بها عباده، من غير وجوب عليه، ولا استحقاق، هذا مذهب كافة المحققين من أهل السنة أجمعين، وبسطه في أصول الفقه.**

**قوله -تعالى-: {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ} [يوسف: ٤٨]، فيه مسألتان:**

**الأولى: قوله -تعالى-: {سَبْعٌ شِدادٌ} [يوسف: ٤٨] يعني السنين المجدبات. {يَأْكُلْنَ} [يوسف: ٤٨] مجاز، والمعنى يأكل أهلهن. {ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ} [يوسف: ٤٨] أي ما ادخرتم لأجلهن، ونحوه قول القائل:**

نهـــارك يـــا مغـــرور ســـهو وغفلـــة ... وليلـــك نـــوم والـــردى لـــك لازم

**والنهار لا يسهو، والليل لا ينام، وإنما يسهى في النهار، وينام في الليل".**

{بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} [سبأ: ٣٣]، {مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} [سبأ: ٣٣]، يعني المكر في الليل والنهار.

**"وحكى زيد بن أسلم عن أبيه: أن يوسف كان يضع طعام الاثنين فيقربه إلى رجل واحد فيأكل بعضه، حتى إذا كان يوم قربه له فأكله كله".**

هذا اختبار، هذا اختبار، متى تدخل أو متى تنتهي السبع؟ متى تدخل السبع العجاف؟ ما عندهم تقاويم وتواريخ مضبوطة.

**طالب: .....**

لا، اختبر دخولها بهذه الطريقة، يقدم طعام الاثنين للواحد، إن بقي منه شيء، ما زال الأمر، في يوم أكله كله، قال: خلاص، جاءت العجاف.

**"فقال يوسف: هذا أول يوم من السبع الشداد. {إِلَّا قَلِيلًا} [يوسف: ٤٨] نصب على الاستثناء. {مِمَّا تُحْصِنُونَ} [يوسف: ٤٨] أي مما تحبسون لتزرعوا؛ لأن في استبقاء البذر تحصين الأقوات.**

**وقال أبو عبيدة: تحرزون.**

**وقال قتادة: {تُحْصِنُونَ} [يوسف: ٤٨] تدخرون، والمعنى واحد، وهو يدل على جواز احتكار الطعام إلى وقت الحاجة".**

لا ليقصد به الغلاء فيستغل حاجة الناس، وإنما يدخره إلى وقت حاجته، إذا كان عنده طعام لا يبذر فينفد في أسرع وقت، يدخره ويتقوته كما هو قوت على مر الأيام، لا بأس بذلك أن يدخر قوت سنة مثلًا يأكله بالتدريج، لكن يدخره ليبيعه على الناس مستغلًا حاجتهم، ويدخر أكثر من حاجته من أجل استغلال حاجة الناس، هذا هو المنهي عنه.

**"الثانية: هذه الآية أصل في صحة رؤيا الكافر، وأنها تخرج على حسب ما رأى، لا سيما إذا تعلقت بمؤمن، فكيف إذا كانت آية لنبي، ومعجزة لرسول، وتصديقًا لمصطفى للتبليغ، وحجة للواسطة بين الله -جلَّ جلاله- وبين عباده؟".**

«الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»، ورؤيا هذين أو هذه الرؤيا التي حصلت، الرؤيا التي حصلت للملك، وقبلها ما حصل ما كان لصاحبي السجن صادقة، فهل نقول: إن مثل هذه الرؤيا جزء من النبوة؟ هل مشبهة للنبوة في الصدق، لا أن من حصل له مثل هذه الرؤيا -ولو كانت صادقة- أنه يحصل له شيء من النبوة، ولا قائل يقول: إن من حصل له ست وأربعين رؤيا صادقة مطابقة للواقع يكون نبيًّا؛ أنه تحصل النبوة له، لا، إنما هي مشبهة للنبوة في مطابقة الواقع والصدق.

**طالب: .....**

هي تدخل في حفظ الأديان، هذه داخلة في حفظ الأديان، أقول: تدخل في حفظ الأديان؛ لأنه لا يتم حفظ دين المرء إلا بمخالفة المشركين.

**طالب: .....**

ما أدري، هذه أول مرة أسمعه، لكن إن ثبت فهو من باب الاهتمام بها والعناية بشأنها تُعد؛ لئلا يغفل عنها، يعني مثل من قال: إنه يجب أن يكتفى باشتراط المتابعة لصحة العمل، ولا يحتاج إلى اشتراط النية، لماذا؟

لأن النية فرع عن المتابعة، ما فيه متابعة إلا بنية، لكن تفرد النية للعناية بها؛ لئلا يغفل عنها الناس، إن كان ثبت عن شيخ الإسلام أنه أفرد ذلك؛ لكي يُهتم به.

**"قوله -تعالى-: {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ} [يوسف: ٤٩] هذا خبر من يوسف -عليه السلام- عما لم يكن في رؤيا الملك، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله. قال قتادة: زاده الله علم سنة لم يسألوه عنها إظهارًا لفضله، وإعلامًا لمكانه من العلم وبمعرفته. {فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ} [يوسف: ٤٩] من الإغاثة أو الغوث، غوث الرجل قال: واغوثاه، والاسم الغوث والغواث**

**والغواث، واستغاثني فلان فأغثته، والاسم الغياث، صارت الواو ياءً لكسرة ما قبلها. والغيث المطر، وقد غاث الغيث الأرض أي أصابها".**

أصله واو، أصلها واو، غواث، غواث، لكن لما كُسر ما قبلها قُلبت ياءً.

**"وغاث الله البلاد يغيثها غيثًا، وغيثت الأرض تغاث غيثًا، فهي أرض مغيثة ومغيوثة، فمعنى {يُغاثُ النَّاسُ} [يوسف: ٤٩] يمطرون. {وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} [يوسف: ٤٩] قال ابن عباس: يعصرون الأعناب والدهن، ذكره البخاري.**

**وروى حجاج عن ابن جريج قال: يعصرون العنب خمرًا، والسمسم دهنًا، والزيتون زيتًا".**

زيت السمسم يسمونه إيش؟ شيرج.

**"وقيل: أراد حلب الألبان لكثرتها، ويدل ذلك على كثرة النبات".**

يعصرون الزروع، يعصرون الزروع من أجل حلبها، على كل حال هو داخل، داخل في عموم العصر.

**"وقيل: {يَعْصِرُونَ} [يوسف: ٤٩] أي ينجون، وهو من العصرة، وهي المنجاة. قال أبو عبيدة: والعصر بالتحريك الملجأ والمنجاة، وكذلك العصرة، قال أبو زبيد:**

صاديًا يستغيث غير مغاث ولقد كان عصره المنجود

**والمنجود الفزع. واعتصرت بفلان وتعصرت أي التجأت إليه. قال أبو الغوث: {يَعْصِرُونَ} [يوسف: ٤٩] يستغلون، وهو من عصر العنب. واعتصرت ماله أي استخرجته من يده، وقرأ عيسى: (تُعصَرون) [يوسف: ٤٩] بضم التاء وفتح الصاد، ومعناه: تمطرون، من قول الله: {وَأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجَّاجاً} [النبأ: ١٤]، وكذلك معنى (تُعصِرون) [يوسف: ٤٩] بضم التاء وكسر الصاد، فيمن قرأه كذلك".**

وأصل العصر في المحسوسات، في الأجسام، تعصر الثوب، تعصر العكة، تعصر ما فيه مما يحتاج إليه من سمن وغيره، ويستعمل أيضًا العصر في المعنويات؛ كما سُميت صلاة العصر، والكتاب الشديد الاختصار، أو الكلام الشديد الاختصار يسمونه معتصرًا، وما أطول منه يقال له: مختصر، فالمختصر من المختصر يسمى معتصرًا، فيستعمل في المحسوسات، كما يستعمل في المعنويات.

كونها سُميت صلاة العصر، لماذا؟

**طالب: .....**

يعني الوقت ضاق عليه واعتصر؟

**طالب: .....**

هم الحنفية الذين يقولون هذا، يقولون: اعتصر، اعتُصر النهار فضُيق عليها، فضُيق عليها، لماذا يقولون مثل هذا الكلام؟

**طالب:** .....

نعم، آخر وقت النهار، آخر النهار هو وقت صلاة العصر، من مصير ظل الشيء مثليه.

**"قوله -تعالى-: {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ} [يوسف: ٥٠] أي فذهب الرسول فأخبر الملك، فقال: ائتوني به. {فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ} [يوسف: ٥٠] أي يأمره بالخروج قال: {ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ} [يوسف: ٥٠] أي حال النسوة. {اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} [يوسف: ٥٠] فأبى أن يخرج إلا أن تصح براءته عند الملك مما قذف به، وأنه حبس بلا جرم.**

**وروى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»".**

يوسفُ، يوسفُ خبر.

**"قال: «ولو لبثت في السجن ما لبث ثم جاءني الرسول أجبت -ثم قرأ-: {فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ قالَ ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} [يوسف: ٥٠] قال: ورحمة الله على لوط، لقد كان يأوي إلى ركن شديد إذ قال: {لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ} [هود: ٨٠]، فما بعث الله من بعده نبيًّا إلا في ذروة من قومه»".**

يعني ركن شديد من قوم وعشيرة؛ لأنه لم يكن من قبيلة كبيرة أو له عشيرة تمنع، تمنعه، على كل حال كما جاء في الحديث: «**يرحم الله لوطًا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد**»، وهو الله -عزَّ وجلَّ- في الحديث الصحيح.

**"وروى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يرحم الله لوطًا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي ونحن أحق من إبراهيم إذ قال له: {أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} [البقرة: ٢٦٠]» وروي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «يرحم الله أخي يوسف، لقد كان صابرًا حليمًا ولو لبثت في السجن ما لبثه أجبت الداعي ولم ألتمس العذر»".**

الذي في الصحيح: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**»؛ لئلا يظن ظان أو يتوهم متوهم أن إبراهيم شك حينما قال لله -عزَّ وجلَّ-: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} [البقرة: ٢٦٠]، فنفى عنه الشك، ولا يلزم من ذلك أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- يشك، لا، بل هو أفضل الخلق، أفضل من إبراهيم وغير إبراهيم، قوله أيضًا: «**لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي**» إشادة بيوسف، ولا يعني هذا أنه أفضل من محمد -

عليه الصلاة والسلام-، وهذا من باب رفعة من يستحق الرفعة أو من يُتوهم تنقصه من بعض السفهاء المتطاولين، وهضم للنفس، لنفسه -عليه الصلاة والسلام-.

**طالب: {رُكْنٍ شَدِيدٍ} [هود: ٨٠].**

الله -سبحانه وتعالى-.

**طالب: .....**

كيف؟

**طالب: .....**

يأوي إلى ركن شديد.

**طالب: .....**

يعني لو قصد الله، أن الله يمنعهم أن يحاولوا مضرته، لا بأس، لا بأس، لا بأس.

**"وروي نحو هذا الحديث من طريق عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك، في كتاب التفسير من صحيح البخاري، وليس لابن القاسم في الديوان غيره".**

يعني في صحيح البخاري، الديوان، ديوان البخاري، صحيحه.

**"وفي رواية الطبري: «يرحم الله يوسف لو كنت أنا المحبوس ثم أُرسل إليّ لخرجت سريعًا أن كان لحليمًا ذا أناة».**

**وقال -صلى الله عليه وسلم-: «لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات لو كنت مكانه لما أخبرتهم حتى اشترط أن يخرجوني، ولقد عجبت منه حين آتاه الرسول ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب».**

**قال ابن عطية: كان هذا الفعل من يوسف -عليه السلام- أناة وصبرًا، وطلبًا لبراءة الساحة، وذلك أنه -فيما روي- خشي أن يخرج وينال من الملك مرتبة، ويسكت عن أمر ذنبه صفحًا فيراه الناس بتلك العين أبدًا ويقولون: هذا الذي راود امرأة مولاه، فأراد يوسف -عليه السلام- أن يبين براءته، ويحقق منزلته من العفة والخير، وحينئذ يخرج للإحظاء والمنزلة، فلهذا قال للرسول: ارجع إلى ربك وقل له: ما بال النسوة؟ ومقصد يوسف -عليه السلام- إنما كان: وقل له يستقصي عن ذنبي، وينظر في أمري هل سجنت بحق أو بظلم، ونكب عن امرأة العزيز حسن عشرة، ورعاية لذمام الملك العزيز له.**

**فإن قيل: كيف مدح النبي -صلى الله عليه وسلم- يوسف بالصبر والأناة وترك المبادرة إلى الخروج، ثم هو يذهب بنفسه عن حالة قد مدح بها غيره؟ فالوجه في ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما أخذ لنفسه وجها آخر من الرأي، له جهة أيضًا من الجودة، يقول: لو كنت أنا لبادرت بالخروج".**

لا شك أن ما فعله يوسف -عليه السلام- ليخرج بريئًا وتظهر براءته لدى الخاص والعام قبل أن يصطفيه الملك، ويتخذه مقربًا لديه؛ لأنه إذا نال هذه المنزلة يمكن النفس الإنسانية أو البشرية تجعله وتحمله على أن يسكت، ولا يسعى في إظهار براءته قبل التمكن، وهذا ظاهر مشاهد، تجد كثيرًا من الناس أو جُلّ الناس يستطيع أن يتكلم ويستطيع أن ينكر ما لم تحصل له حظوة عند الملك أو عند المسؤولين، فإذا حصلت له هذه جاءت المداراة، وجاءت المداهنة، وجاء تحقيق المصالح ودرء المفاسد على حسب ما يزعمون، فأراد أن تظهر براءته قبل كل شيء، قبل أن يصطفى.

لأن مثل هذا الاصطفاء لا شك أنه ابتلاء، مَن مِن الناس يستطيع بعد الاصطفاء أن يظهر الإنكار كما كان يظهره قبل ذلك؟ من مثل العالم الذي وُلي الحسبة، استدعاه الملك وقال له: أنت مسؤول عن الحسبة -الأمر والنهي-.

قال: أما وقد قلت ذلك: البساط الذي تحتك حرير، قم، وأن نقوم أو نقول بالحق لا نخاف في الله لومة لائم، هذا أصل، لكن الله المستعان.

**"فإن قيل: كيف مدح النبي -صلى الله عليه وسلم- يوسف بالصبر والأناة وترك المبادرة إلى الخروج، ثم هو يذهب بنفسه عن حالة قد مدح بها غيره؟ فالوجه في ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما أخذ لنفسه وجهًا آخر من الرأي، له جهة أيضًا من الجودة، يقول: لو كنت أنا لبادرت بالخروج ثم حاولت بيان عذري بعد ذلك، وذلك أن هذه القصص والنوازل هي معرضة لأن يقتدي الناس بها إلى يوم القيامة، فأراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حمل الناس على الأحزم من الأمور، وذلك أن تارك الحزم في مثل هذه النازلة، التارك فرصة الخروج من مثل ذلك السجن، ربما نتج له البقاء في سجنه، وانصرفت نفس مخرجه عنه، وإن كان يوسف -عليه السلام- أمن من ذلك بعلمه من الله".**

لعل يوسف اطلع بوحي من الله -سبحانه وتعالى- أنه يخرج بعد ظهور براءته، لكن لو كان شخص من آحاد الناس، ويُؤمر بالخروج، فيقال له: ارجع، ارجع، قل للملك كذا وكذا وكذا، أنا أشترط كذا، أنا أفعل كذا، الملك يعني ما الذي يمنعه أن يقول: خلوه يجلس، لا يطلع أبدًا؟ بعد يريد أن يخرجه من السجن ويشترط؟ خله يجلس؛ لأنه ما يُؤمن أن يقول الملك مثل هذا، لكن يوسف -عليه السلام- قد علم أنه سيخرج من السجن بوحي من الله -سبحانه وتعالى-، وإلا فالبقاء في السجن والمكث فيه ليس مقصودًا شرعيًّا لذاته، نعم إذا ترتب أو وُجد إثر عمل شرعي أُجر عليه، أما أن الإنسان يتمنى السجن، ويعرض نفسه للسجن من غير حاجة، من غير ضرورة، فلا يمدح بهذا؛ لأنه يعوقه عن تحقيق كثير من المصالح.

**طالب: .....**

نعم.

**طالب: .....**

أنه يخرج، أنه يخرج، الحزم أنه يخرج، يعني الرسول -عليه الصلاة والسلام- حينما قال ذلك عن نفسه، لا يقصد نفسه هو، هو يُبلغ بوحي أنه يخرج مثل يوسف، لكن يريد أن يبلغ الأمة أنه لو حصل له مثل هذا الظرف، لو قالوا: اطلع، اطلع، لا تجلس، هذا الحزم، ثم اذكر ما شئت بعد الخروج، أما أن تقول: ارجع إلى الملك، لا، أنا أشترط، ما أطلع إلا إذا كان برد للوظيفة، يقال له: خله يجلس، ثم بعد ذلك ماذا يستفيد؟ يجلس حرًّا طليقًا يتعبد ويزاول ما أُمر به من الطاعات، وينفع الناس، ولا هو موظف ولا غير موظف، ما الذي يمنع؟ هذا الحزم.

**طالب: .....**

نعم، لكن هل الرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول هذا إشادة بيوسف؟ صح، لكن هل معنى أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- لو حصل له من ذلك ما حصل، وهو يعرف أنه سوف يخرج بريئًا تمام البراءة مما اتُّهم به أنه يخرج ثم يُطالب، هو يأمر الأمة بذلك؛ لأنه ما عندهم وحي، إذا أتيحت الفرصة للخروج اخرج، الذي ما عنده وحي، إذا أتيحت له الفرصة يخرج، أحسن من أن يقول: لا، أنا أشترط، يقال له: اجلس، خلاص بدل هذه السنة يجلس للسنة القادمة، حتى يرجع عما برأسه.

الذي ما عنده وحي، مثل هذا إذا أتيحت له فرصة الخروج يخرج؛ لكي يعبد ربه على مراد الله -سبحانه وتعالى-، وينفع الناس، ولا يضيع أهله.

المقصود أن المفاسد الحاصلة بسبب السجن كثيرة جدًّا، قد يحصل مصلحة، قد يحصل مصلحة من دعوى المسجونين، من إقبال على عبادة خاصة أو حفظ أو ما أشبه ذلك، أو تعلم من جديد، بعض الناس تعلم في السجن، بعض المسجونين بجرائم حفظوا القرآن كما هو معروف، والنسب مرتفعة، ما هي بشيء سهل أو هين، نسب طيبة، يعني الذين حفظوا القرآن كاملًا، الذين حفظوا نصفه أو جزءًا أو جزأين، هذا كثير جدًّا، وسببه ما صدر من المسؤولين في تخفيف مدة السجن لمن يحفظ.

نعم، قد يحصل له ذلك، قد يكون بعض الناس السجن أنفع لهم من الخروج، أنفع له من خارج السجن؛ لأنه مفسد، وفي السجن يتولاه ناس صالحون، وقد تنكسر نفسه، وتذهب شوكة المعصية من نفسه، لكن هذا خلاف الأصل، هذا خلاف الأصل، والله المستعان؛ كما أن من الناس من لا يصلحه إلا الفقر، ومن الناس من لا يصلحه إلا الغناء، وهكذا.

**"وإن كان يوسف -عليه السلام- أمن من ذلك بعلمه من الله، فغيره من الناس لا يأمن ذلك، فالحالة التي ذهب النبي -صلى الله عليه وسلم- بنفسه إليها حالة حزم، وما فعله يوسف -عليه السلام- صبر عظيم وجلد.**

قوله -تعالى-: {فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ} [يوسف: ٥٠] ذكر النساء جملة ليدخل فيهن امرأة العزيز مدخل العموم بالتلويح حتى لا يقع عليها تصريح، وذلك حسن عشرة وأدب، وفى الكلام محذوف، أي فاسأله أن يتعرف ما بال النسوة. قال ابن عباس: فأرسل الملك إلى النسوة وإلى امرأة العزيز -وكان قد مات العزيز فدعاهن ف{قالَ ما خَطْبُكُنَّ} [يوسف: ٥١] أي ما شأنكن؟ {إِذْ راوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ} [يوسف: ٥١]، وذلك أن كل واحدة منهن كلمت يوسف في حق نفسها -على ما تقدم-، أو أراد قول كل واحدة قد ظلمت امرأة العزيز، فكان ذلك مراودة منهن. {قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ} [يوسف: ٥١] أي معاذ الله.

{ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ} [يوسف: ٥١] أي زنى. {قالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ} [يوسف: ٥١] لما رأت إقرارهن ببراءة يوسف، وخافت أن يشهدن عليها إن أنكرت أقرت هي أيضًا، وكان ذلك لطفًا من الله بيوسف. و{حَصْحَصَ الْحَقُّ} [يوسف: ٥١] أي تبين وظهر، وأصله حصص، فقيل: حصحص، كما قال: كبكبوا في كببوا، وكفكف في كفف، قاله الزجاج وغيره. وأصل الحص استئصال الشيء، يقال: حص شعره إذا استأصله جزًّا، قال أبو القيس بن الأسلت:

قد حصت البيضة رأسي فما ... أطعم نومًا غير تهجاع

وسنة حصاء أي جرداء لا خير فيها، قال جرير:

يأوي إليكم بلا من ولا جحد ... من ساقه السنة الحصاء والذِّيْب

كأنه أراد أن يقول: والضبع، وهي السنة المجدبة، فوضع الذئب موضعه لأجل القافية، فمعنى {حَصْحَصَ الْحَقُّ} [يوسف: ٥١] أي انقطع عن الباطل، بظهوره وثباته، قال:

ألا مبلغ عني خداشًا فإنه ... كذوب إذا ما حصحص الحق ظالم

وقيل: هو مشتق من الحصة، فالمعنى: بانت حصة الحق من حصة الباطل.

وقال مجاهد وقتادة: وأصله مأخوذ من قولهم: حص شعره إذا استأصل قطعه، ومنه الحصة من الأرض إذا قطعت منها. والحصحص بالكسر التراب والحجارة، ذكره الجوهري".

يعني كما يقال: حصحص البعير، إذا فرق الحجارة والتراب وأثار الغبار من هذا.

"{أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} [يوسف: ٥١] وهذا القول منها -وإن لم يكن سأل عنه- إظهار لتوبتها، وتحقيق لصدق يوسف وكرامته؛ لأن إقرار المقر على نفسه أقوى من الشهادة عليه، فجمع الله -تعالى- ليوسف لإظهار صدقه الشهادة والإقرار، حتى لا يخامر نفسًا ظن، ولا يخالطها شك. وشددت النون في {خَطْبُكُنَّ} [يوسف: ٥١] و{راوَدْتُنَّ} [يوسف: ٥١]؛ لأنها بمنزلة الميم والواو في المذكر".

طالب: .....

حال يوسف بالنسبة له أكمل؛ لأنه يعرف أنه يخرج، لكن لو كان ما يعرف أنه يخرج فلا شك أن الخروج هو الحزم، يخرج ثم يطالب، يخرج ثم يطالب، لكن إذا تمكن من إبراء نفسه بمثل الطريقة التي فعلها يوسف مع علمه أنه يخرج، لا شك أن فعل يوسف أكمل.

**طالب: .....**

على كل حال الحاكم كافر كما هو معروف.

**طالب: .....**

أين العدل؟ أين العدل وقد سُجن مظلومًا؟ طبيعة، طبيعة المُلك هكذا، طبيعة المُلك، ما يشترط على الملوك، أقول: طبيعة المُلك، ما يمكن أن يشترط عليه، نسأل الله السلامة والعافية، والله المستعان.

**"قوله -تعالى-: {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ} [يوسف: ٥٢] اختلف فيمن قاله، فقيل: هو من قول امرأة العزيز، وهو متصل بقولها: {الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ} [يوسف: ٥١] أي أقررت بالصدق؛ ليعلم أني لم أخنه بالغيب أي بالكذب عليه، ولم أذكره بسوء وهو غائب، بل صدقت وحدت عن الخيانة، ثم قالت: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي} [يوسف: ٥٣]، بل أنا راودته، وعلى هذا هي كانت مقرة بالصانع، ولهذا قالت: {إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} [يوسف: ٥٣].**

**وقيل: هو من قول يوسف، أي قال يوسف: ذلك الأمر الذي فعلته، من رد الرسول {لِيَعْلَمَ} [يوسف: ٥٢] العزيز {أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ} [يوسف: ٥٢]، قاله الحسن وقتادة وغيرهما. ومعنى {بِالْغَيْبِ} [يوسف: ٥٢] وهو غائب. وإنما قال يوسف ذلك بحضرة الملك، وقال: {لِيَعْلَمَ} [يوسف: ٥٢] على الغائب توقيرًا للملك.**

**وقيل: قاله إذ عاد إليه الرسول وهو في السجن بعد، قال ابن عباس: جاء الرسول إلى يوسف- عليه السلام- بالخبر وجبريل معه يحدثه، فقال يوسف: {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ} [يوسف: ٥٢] أي لم أخن سيدي بالغيب، فقال له جبريل -عليه السلام-: يا يوسف! ولا حين حللت الإزار، وجلست مجلس الرجل من المرأة؟! فقال يوسف: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي} [يوسف: ٥٣] الآية.**

**وقال السدي: إنما قالت له امرأة العزيز: ولا حين حللت سراويلك يا يوسف؟! فقال يوسف: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي} [يوسف: ٥٣]".**

شيخ الإسلام، شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- يرى أن كل هذا في السياق، على لسان امرأة العزيز، وليس على لسان يوسف، {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} [يوسف: ٥٣]، هذا من قول امرأة العزيز.

"وقيل: {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ} [يوسف: ٥٢] من قول العزيز، أي ذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب، وأني لم أغفل عن مجازاته على أمانته. {وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ} [يوسف: ٥٢] معناه: أن الله لا يهدي الخائنين بكيدهم.

قوله -تعالى-: {وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي} [يوسف: ٥٣] قيل: هو من قول المرأة.

وقال القشيري: فالظاهر أن قوله: {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ} [يوسف: ٥٢]، وقوله: {وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي} [يوسف: ٥٣] من قول يوسف.

قلت: إذا احتمل أن يكون من قول المرأة فالقول به أولى حتى نبرئ يوسف من حل الإزار والسراويل، وإذا قدرناه من قول يوسف فيكون مما خطر بقلبه، على ما قدمناه من القول المختار في قوله: {وَهَمَّ بِها} [يوسف: ٢٤]. قال أبو بكر الأنباري: من الناس من يقول: {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ} [يوسف: ٥٢] إلى قوله: {إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} [يوسف: ٥٣] من كلام امرأة العزيز؛ لأنه متصل بقولها: {أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} [يوسف: ٥١]، وهذا مذهب الذين ينفون الهم عن يوسف -عليه السلام-، فمن بنى على قولهم قال: من قوله: {قالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ} [يوسف: ٥١] إلى قوله: {إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} [يوسف: ٥٣] كلام متصل بعضه ببعض، ولا يكون فيه وقف تام على حقيقة، ولسنا نختار هذا القول ولا نذهب إليه.

وقال الحسن: لما قال يوسف: {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ} [يوسف: ٥٢] كره نبي الله أن يكون قد زكى نفسه فقال: {وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي} [يوسف: ٥٣]؛ لأن تزكية النفس مذمومة، قال الله -تعالى-: {فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ} [النجم: ٣٢]، وقد بيناه في النساء.

وقيل: هو من قول العزيز، أي وما أبرئ نفسي من سوء الظن بيوسف. {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} [يوسف: ٥٣] أي مشتهية له.

{إِلَّا ما رَحِمَ رَبِّي} [يوسف: ٥٣] في موضع نصب بالاستثناء، و{مَا} [يوسف: ٥٣] بمعنى (من)، أي إلا من رحم ربي فعصمه، و(ما) بمعنى (من) كثير، قال الله -تعالى-: {فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ} [النساء: ٣]، وهو استثناء منقطع؛ لأنه استثناء المرحوم بالعصمة من النفس الأمارة بالسوء".

يعني من غير جنس المستثنى منه، الأصل أن (ما) لغير العاقل، و(من) للعاقل، وقد تُستعمل هذه بمنزلة تلك، والعكس؛ تنزيلًا للعاقل منزلة غير العاقل، {فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ} [النساء: ٣] تنزيل للنساء لنقصان عقلهن بغير العاقل، وقد يُنزل العاقل، غير العاقل منزلة العاقل؛ لأن السياق بصدد أن يكون هذا -وهو جماد غير عاقل- مثلًا يسبح الله -سبحانه وتعالى-، ويلتزم ولا يعصي، فهو من هذه الحيثية بمنزلة العقلاء، فيقال: يُعبر عنه بصيغة

العاقل، والعكس بالعكس، من العقلاء من لا يستحق أن لا ينزل منزلة العقلاء؛ كما أن من النساء من تستحق أن تُوصف وتدخل في خطاب الرجال، ومن الرجال من يستحق أن يدخل في خطاب النساء.

**طالب: .....**

يمرون بالدهناء إيش؟ خفافًا إيابهم، ويرجعن، يرجعن إيش؟ من الذي يرجع؟ هؤلاء السراق، قبل السرقة يمرون بالدهناء، يمرون، خطاب مذكر، وبعد السرقة ما يستحقون أن يكون، ما يستحقون، على ما يقول بعضهم.

"**وفي الخبر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «ما تقولون في صاحب لكم إن أنتم أكرمتموه وأطعمتموه وكسوتموه أفضى بكم إلى شر غاية، وإن أهنتموه وأعريتموه وأجعتموه أفضى بكم إلى خير غاية»، قالوا: يا رسول الله! هذا شر صاحب في الأرض. قال: «فوالذي نفسي بيده إنها لنفوسكم التي بين جنوبكم»**".

إذا أكرمت النفس حملتك على ما لا يرضي الله، وإذا أهنتها وقصرتها على طاعة الله، وصبرت، صبّرتها عن معصية الله، حملتك على الخير، وأفضت بك إلى خير.

**طالب: .....**

مخرج؟ ما خرج؟ فيه من الإخوان معه نسخة؟ نسخة فيها تخريج؟ فيها تخريج؟

على كل حال معناه صحيح؛ لأن الجنة حُفت بالمكاره، والنار حفت بالشهوات، يعني ما تشتهيه النفس، فإن أنت تركت نفسك وما تشتهيه حملتك إلى ما يوصلك إلى النار -نسأل الله العافية-، وإن قصرتها وقهرتها على ما يرضي الله -سبحانه وتعالى-، على خلاف مرادها، أوصلتك إلى الجنة.

**طالب: .....**

ما هو؟

**طالب: .....**

أين؟

**طالب: .....**

السياق السياق، شيخ الإسلام من وجوه كثيرة بين أنها من قول امرأة العزيز، أنه لا يقوله يوسف من وجوه كثيرة، -رحمه الله-.

**طالب: .....**

هذا على كلامه؛ كأنها لما ظهر لها براءة يوسف وصدقه وخرج لهم من السجن؛ كأنها صدقت، أقرت به بعد أن عرفت أن الله -سبحانه وتعالى- حفظه وأكرمه بسبب صدقه.

"قوله -تعالى-: {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي} [يوسف: ٥٤] لما ثبت للملك براءته مما نسب إليه، وتحقق في القصة أمانته، وفهم أيضًا صبره وجلده عظمت منزلته عنده، وتيقن حسن خلاله قال: {ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي} [يوسف: ٥٤] فانظر إلى قول الملك أولًا -حين تحقق علمه- {ائْتُونِي بِهِ} [يوسف: ٥٤] فقط، فلما فعل يوسف ما فعل ثانيًا قال: {ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي} [يوسف: ٥٤]، وروي عن وهب بن منبه قال: لما دعي يوسف وقف بالباب فقال: حسبي ربي من خلقه، عزَّ جاره، وجلَّ ثناؤه، ولا إله غيره، ثم دخل فلما نظر إليه الملك نزل عن سريره، فخر له ساجدًا، ثم أقعده الملك معه على سريره، فقال: {إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ} [يوسف: ٥٤]، قال له يوسف: {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ} [يوسف: ٥٥] للخزائن {عَلِيمٌ} [يوسف: ٥٥] بوجوه تصرفاتها.

وقيل: حافظ للحساب، عليم بالألسن.

وفي الخبر: «يرحم الله أخي يوسف، لو لم يقل: اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته، ولكن أخر ذلك سنة».

وقيل: إنما تأخر تمليكه إلى سنة؛ لأنه لم يقل: إن شاء الله. وقد قيل في هذه القصة: إن يوسف -عليه السلام- لما دخل على الملك قال: اللهم إني أسألك بخيرك من خيره، وأعوذ بك من شره وشر غيره، ثم سلم على الملك بالعربية فقال: ما هذا اللسان؟ قال: هذا لسان عمي إسماعيل، ثم دعا له بالعبرانية فقال: ما هذا اللسان؟ قال: لسان آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وكان الملك يتكلم بسبعين لسانًا، فكلما تكلم الملك بلسان أجابه يوسف بذلك اللسان، فأعجب الملك أمره، وكان يوسف إذ ذاك ابن ثلاثين سنة، ثم أجلسه على سريره وقال: أحب أن أسمع منك رؤياي.

قال يوسف: نعم أيها الملك! رأيت سبع بقرات سمان شهبًا غرًّا حسانًا، كشف لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب أخلافها لبنًا، فبينا أنت تنظر إليهن، وتتعجب من حسنهن، إذ نضب النيل فغار ماؤه، وبدا أسه، فخرج من حمئه ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر مقلصات البطون، ليس لهن ضروع ولا أخلاف، لهن أنياب وأضراس، وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع، فاختلطن بالسمان فافترسنهن افتراس السباع، فأكلن لحومهن، ومزقن جلودهن، وحطمن عظامهن، ومشمشن مخهن، فبينا أنت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل! ثم لم يظهر منهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن! إذا بسبع سنابل خضر طريات ناعمات ممتلئات حبًّا وماءً، وإلى جانبهن سبع يابسات ليس فيهن ماء ولا خضرة في منبت واحد، عروقهن في الثرى والماء، فبينا أنت تقول في نفسك: أي شيء هذا؟! هؤلاء خضر مثمرات، وهؤلاء سود يابسات، والمنبت واحد، وأصولهن في الماء، إذ هبت ريح فذرت الأوراق

من اليابسات السود على الخضر المثمرات، فأشعلت فيهن النار فأحرقتهن، فصرن سودًا مغبرات، فانتبهت مذعورًا أيها الملك، فقال الملك: والله ما شأن هذه الرؤيا، وإن كان عجبًا بأعجب مما سمعت منك!

فما ترى في رؤياي أيها الصديق؟ فقال يوسف: أرى أن تجمع الطعام، وتزرع زرعًا كثيرًا في هذه السنين المخصبة، فإنك لو زرعت على حجر أو مدر لنبت، وأظهر الله فيه النماء والبركة، ثم ترفع الزرع في قصبه وسنبله تبنى له المخازن العظام، فيكون القصب والسنبل علفًا للدواب، وحبه للناس، وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم إلى أهرائك الخمس، فيكفيك من الطعام الذي جمعته لأهل مصر ومن حولها، ويأتيك الخلق من النواحي يمتارون منك، ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك.

فقال الملك: ومن لي بتدبير هذه الأمور؟ ولو جمعت أهل مصر جميعًا ما أطاقوا، ولم يكونوا فيه أمناء، فقال يوسف -عليه السلام- عند ذلك: {اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ} [يوسف: ٥٥] أي على خزائن أرضك، وهي جمع خزانة، ودخلت الألف واللام عوضًا من الإضافة، كقول النابغة:

لهـم شـيمة لـم يعطهـا الله غيـرهم  مـن الجـود والأحـلام غيـر كـواذب"

ما ذكره، ما ذكره من تفصيل الخبر -خبر يوسف مع الملك- هذا مما تُلقي عن أهل الكتاب، ولا يُصدق، ولا يُكذب.

"قوله -تعالى-: {أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي} [يوسف: ٥٤] جزم؛ لأنه جواب الأمر، وهذا يدل على أن قوله: {ذلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ} [يوسف: ٥٢] جرى في السجن. ويحتمل أنه جرى عند الملك ثم قال في مجلس آخر: {ائْتُونِي بِهِ} [يوسف: ٥٠] تأكيدًا، {أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي} [يوسف: ٥٤] أي اجعله خالصًا لنفسي، أفوض إليه أمر مملكتي، فذهبوا فجاءوا به، ودل على هذا: {فَلَمَّا كَلَّمَهُ} [يوسف: ٥٤] أي كلم الملك يوسف، وسأله عن الرؤيا فأجاب يوسف، فـ{قالَ} [يوسف: ٥٤] الملك: {إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ} [يوسف: ٥٤] أي متمكن نافذ القول، {أَمِينٌ} [يوسف: ٥٤] لا تخاف غدرًا.

{قالَ اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف: ٥٥]، فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله -تعالى-: {قالَ اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ} [يوسف: ٥٥] قال سعيد بن منصور: سمعت مالك بن أنس يقول: مصر خزانة الأرض، أما سمعت إلى قوله: {اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ} [يوسف: ٥٥] أي على حفظها، فحذف المضاف. {إِنِّي حَفِيظٌ} [يوسف: ٥٥] لما وليت {عَلِيمٌ} [يوسف: ٥٥] بأمره.

وفي التفسير: إني حاسب كاتب، وأنه أول من كتب في القراطيس.

**وقيل: {حَفِيظٌ} [يوسف: ٥٥] لتقدير الأقوات، {عَلِيمٌ} [يوسف: ٥٥] بسني المجاعات. قال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «رحم الله أخي يوسف، لو لم يقل: اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته، ولكن أخر ذلك عنه سنة».**

**قال ابن عباس: لما انصرمت السنة من يوم سأله الإمارة".**

هذا في الطبري؟ في الطبري؟

**طالب:** .....

من قبله في الطبري؟ ما فيه تخريج عندك؟

**طالب:** .....

أين؟

**طالب:** .....

يعني جاء في كتب التفسير، جاء في كتب التفسير.

**"قال ابن عباس: لما انصرمت السنة من يوم سأله الإمارة دعاه الملك، فتوَّجه ورداه بسيفه، ووضع له سريرًا من ذهب، مكللًا بالدر والياقوت، وضرب عليه حلة من إستبرق، وكان طول السرير ثلاثين ذراعًا وعرضه عشرة أذرع، عليه ثلاثون فراشًا وستون مرفقة، ثم أمره أن يخرج، فخرج متوجًا، لونه كالثلج، ووجهه كالقمر، يرى الناظر وجهه من صفاء لون وجهه، فجلس على السرير، ودانت له الملوك".**

يعني يرى الناظر وجهه في وجه يوسف -عليه السلام- من صفاء وجهه كالمرآة.

**"ودانت له الملوك، ودخل الملك بيته مع نسائه، وفوض إليه أمر مصر، وعزل قطفير عما كان عليه، وجعل يوسف مكانه. قال ابن زيد: كان لفرعون ملك مصر خزائن كثيرة غير الطعام، فسلم سلطانه كله إليه، وهلك قطفير تلك الليالي، فزوج الملك يوسف راعيل امرأة العزيز، فلما دخل عليها قال: أليس هذا خيرًا مما كنت تريدين؟! فقالت: أيها الصديق لا تلمني، فإني كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله من الحسن فغلبتني نفسي".**

وبهذا، وبهذا نعرف خطأ من يقدم على تزوج النساء ذوات الاحتياج إلى الرجال وهو ليس له بهن حاجة، لا شك أن مثل هذا يعرض المرأة للفتنة، إذا كان كبير السن، تعطل المنافع، يتزوج امرأة ما زالت في شبابها بحاجة إلى الرجال، مثل هذا يعرضها للفتنة؛ كما كانت امرأة العزيز، ولذا قال عمر -رضي الله عنه-: إذا بلغ الرجال الستين فإياه وإيا الشواب، ولما عرض عثمان -رضي الله عنه- على ابن مسعود أن يزوجه، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يا معشر**

**الشباب»**، يعني ما قال: يا معشر الشيوخ، لا شك أن مثل هذا يعرض المرأة للفتنة، وكم من امرأة قبض عليها بسبب هذا، هذا التصرف، كثير من كبار السن لا يقدرون هذه الأمور قدرها، فلطمع في مال أو جاه أو غير ذلك يقدم ابنته ضحية لمثل هذه الأطماع فيزوجها رجلًا لا يعاشرها المعاشرة التي ترضيها وتعفها عن الناس، فتذهب تبحث عن غيره، نعم هي ملومة بلا شك ومكلفة، لكن مع ذلك جزء كبير من اللوم، من اللوم على ولي أمرها الذي أوقعها، سبب لها مثل هذه التصرفات.

**"فوجدها يوسف عذراء فأصابها فولدت له رجلين: إفراثيم بن يوسف، ومنشأ بن يوسف.**

**وقال وهب بن منبه: إنما كان تزويجه زليخاء امرأة العزيز بين دخلتي الإخوة، وذلك أن زليخاء مات زوجها ويوسف في السجن، وذهب مالها، وعمي بصرها بكاءً على يوسف، فصارت تتكفف الناس، فمنهم من يرحمها، ومنهم من لا يرحمها، وكان يوسف يركب في كل أسبوع مرة في موكب زهاء مائة ألف من عظماء قومه، فقيل لها: لو تعرضت له لعله يسعفك بشيء، ثم قيل لها: لا تفعلي، فربما ذكر بعض ما كان منك من المراودة والسجن فيسيء إليك، فقالت: أنا أعلم بخلق حبيبي منكم، ثم تركته حتى إذا ركب في موكبه، قامت فنادت بأعلى صوتها: سبحان من جعل الملوك عبيدًا بمعصيتهم، وجعل العبيد ملوكًا بطاعتهم، فقال يوسف: ما هذه؟ فأتوا بها، فقالت: أنا التي كنت أخدمك على صدور قدمي، وأرجل جمتك بيدي، وتربيت في بيتي، وأكرمت مثواك، لكن فرط ما فرط من جهلي وعتوي فذقت وبال أمري، فذهب مالي، وتضعضع ركني، وطال ذلي، وعمي بصري، وبعد ما كنت مغبوطة أهل مصر صرت مرحومتهم، أتكفف الناس، فمنهم من يرحمني، ومنهم من لا يرحمني، وهذا جزاء المفسدين.**

**فبكى يوسف بكاء شديدًا، ثم قال لها: هل بقيت تجدين مما كان في نفسك من حبك لي شيئًا؟ فقالت: والله لنظرة إلى وجهك أحب إلي من الدنيا بحذافيرها، لكن ناولني صدر سوطك، فناولها فوضعته على صدرها، فوجد للسوط في يده اضطرابًا وارتعاشًا من خفقان قلبها، فبكى ثم مضى إلى منزله، فأرسل إليها رسولًا: إن كنت أيمًا تزوجناك، وإن كنت ذات بعل أغنيناك، فقالت للرسول: أعوذ بالله أن يستهزئ بي الملك! لم يردني أيام شبابي وغناي ومالي وعزي، أفيريدني اليوم وأنا عجوز عمياء فقيرة؟!**

**فأعلمه الرسول بمقالتها، فلما ركب في الأسبوع الثاني تعرضت له، فقال لها: ألم يبلغك الرسول؟ فقالت: قد أخبرتك أن نظرة واحدة إلى وجهك أحب إلي من الدنيا وما فيها، فأمر بها فأصلح من شأنها وهيئت، ثم زفت إليه، فقام يوسف يصلي ويدعو الله، وقامت وراءه، فسأل الله -تعالى- أن يعيد إليها شبابها وجمالها وبصرها، فرد الله عليها شبابها وجمالها وبصرها حتى عادت أحسن ما كانت يوم راودته، إكرامًا ليوسف -عليه السلام- لما عف عن محارم**

**الله، فأصابها فإذا هي عذراء، فسألها، فقالت: يا نبي الله إن زوجي كان عنينًا لا يأتي النساء، وكنت أنت من الحسن والجمال بما لا يوصف، قال: فعاشا في خفض عيش، في كل يوم يجدد الله لهما خيرًا، وولدت له ولدين، إفراثيم ومنشأ.**

**وفيما روي أن الله -تعالى- ألقى في قلب يوسف من محبتها أضعاف ما كان في قلبها، فقال لها: ما شأنك لا تحبينني كما كنت في أول مرة؟ فقالت له: لما ذقت محبة الله -تعالى- شغلني ذلك عن كل شيء".**

**طالب: .....**

غريبة؟ يعني الطبع البشري يأباها؟

**طالب: .....**

هذا موجود في الأولين والآخرين، أقول: هذه الغريزة موجودة في السابقين واللاحقين، الحب والعشق والجنون من أجله، والموت بسببه، هذا كله موجود، هذا مركب في الطبائع البشرية، يعني هذه الغرائز إن لم تقاد وتزم بزمام الشرع مهلكة، لا شك أنها مهلكة، والله المستعان.

أما حبها له ومراودتها على هذا فأمر لا ينكره أحد، وأما التفاصيل، السياق لا يأباها وإن كانت لا تُصدَّق ولا تُكذَّب.

**طالب: .....**

زليخا، زليخا، لكن يمكن في لغة وفي لغة، يمكن بالعبرية كذا، وبالقبطية كذا، ما يدرى، الله أعلم.

**طالب: .....**

ما يمنع أن يكون لها أكثر من اسم بسبب اختلاف اللغات.

**طالب: .....**

نعم، نقف على الآية {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ} [يوسف: ٥٦]، ورقة واحدة.

**طالب: .....**

ما أدري، والله ما أدري، كتب التفسير تذكر، تذكر كتب التفسير، كلهم مطواطؤون عليه، كل المفسرين يذكرونها.

**طالب: .....**

لكن هل ثبت أنها راودت غيره؟ هل ثبت أنها وقع منها فاحشة أو شيء؟

**طالب: .....**

يعني هي خيانة لزوجها الأول بلا شك.

**طالب: .....**

على كل حال كتب التفسير مطبقة على هذا.

**"الثانية: قال بعض أهل العلم: في هذه الآية ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر، والسلطان الكافر، بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فعل لا يعارضه فيه، فيصلح منه ما شاء، وأما إذا كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره فلا يجوز ذلك.**

**وقال قوم: إن هذا كان ليوسف خاصة، وهذا اليوم غير جائز، والأول أولى إذا كان على الشرط الذي ذكرناه. والله أعلم.**

**قال الماوردي: فإن كان المولي ظالمًا فقد اختلف الناس في جواز الولاية من قبله على قولين: أحدهما: جوازها إذا عمل بالحق فيما تقلده؛ لأن يوسف ولي من قبل فرعون، ولأن الاعتبار في حقه بفعله لا بفعل غيره.**

**الثاني: أنه لا يجوز ذلك، لما فيه من تولي الظالمين بالمعونة لهم، وتزكيتهم بتقلد أعمالهم، فأجاب من ذهب إلى هذا المذهب عن ولاية يوسف من قبل فرعون بجوابين: أحدهما: أن فرعون يوسف كان صالحًا، وإنما الطاغي فرعون موسى.**

**الثاني: أنه نظر في أملاكه دون أعماله، فزالت عنه التبعة فيه.**

**قال الماوردي: والأصح من إطلاق هذين القولين أن يفصل ما يتولاه من جهة الظالم على ثلاثة أقسام: أحدها: ما يجوز لأهله فعله من غير اجتهاد في تنفيذه كالصدقات والزكوات، فيجوز توليه من جهة الظالم؛ لأن النص على مستحقه قد أغنى عن الاجتهاد فيه، وجواز تفرد أربابه به قد أغنى عن التقليد.**

**والقسم الثاني: ما لا يجوز أن يتفردوا به ويلزم الاجتهاد في مصرفه كأموال الفيء، فلا يجوز توليه من جهة الظالم؛ لأنه يتصرف بغير حق، ويجتهد فيما لا يستحق".**

هذا الكلام، هذا الكلام حقيقة يحتاجه كثير من يحتاج إلى العمل بلاد غير المسلمين أو في بلاد المسلمين ممن يحكمها بعض الظلمة الذين يتصرفون فيها على غير مراد الله -سبحانه وتعالى-، والدخول في الأعمال التي هي في الأصل غير شرعية، لكن من باب تخفيف المظالم، وإعانة من يحتاج من المحتاجين وهكذا، والحكم بالحق بقدر الإمكان وتقليل هذا الظلم وتقليل مخالفة الحق، مسألة تحتاج إلى سياسة شرعية في مثل هذه الأمور، هل يقول الإنسان: أنا ما دام تحت ولاية شخص لا يحكم بالعدل، ولا يطبق شرع الله لا يجوز لي أن أخدمه بأي عمل من الأعمال، ولو توصلت به بواسطته إلى ما يُرضي الله -سبحانه وتعالى- وخففت الظلم، ونشرت بعض ما أستطيعه من العدل؟

منهم من يقول: لا شك أن الشرع جاء بجلب المصالح، وهذه مصلحة، كون الإنسان يتولى، وهو صالح مصلح، وإن كانت تحت ولاية عامة لظالم أو كافر أو ما أشبه ذلك، فإنه بعمله هذا يقلل تلك المفاسد التي تصدر عن هذا الظالم، وعلى كل حال المسألة اجتهادية.

**طالب: .....**

الكافر إذا كان يستطيع بواسطة توليه هذا العمل الجزئي أن يحقق العدل فيما وُكل إليه، ويخفف الظلم في الجملة، وهذا شيء يتعذر به كثير من الناس في بعض القطاعات التي تزاول أشياء غير شرعية، يقول: أنا ولا غيري، أنا أخفف الظلم، وقد يُقال له: امسك هذا العمل، وإن كان في الأصل ما هو مشروع، أو مرغوب عنه في الأصل، لكن وجودك خير وبركة أحسن من غيرك، أحسن من أن يأتي شخص يستغل هذا المنصب فيزيد الطين بلة، ولو قيل للصالحين مثلًا: اتركوا هذه القطاعات التي هي في الأصل غير شرعية وتولاها أناس من الأشرار زادوا الظلم ظلمًا، زادوا البلاء بلاءً، ودخول الصالحين في الجملة ينفع في أي قطاع كان، ومنهم من يقول: أبدًا، الورع أن لا تدخل في هذه الأمور، وما أنت بحاجة إلى أن تقحم نفسك في أمور قد لا تُحمد عقباها؛ لأن بعض الفئات الغالب عليها -بعض الجهات- الغالب عليها عدم الصلاح، فيدخل الإنسان بنية الإصلاح، وقد يؤثَر عليه، قد يؤثَر عليه، وقد يكون في بعض الأمر ما لا يخدمه، بل قد يحرفه عن مراده ومقصوده، طبعًا، السلامة لا يعدلها شيء، لكن إن نظر إلى باب المصلحة، وأنه يحقق مصلحة من خلال هذا العمل، لعله يؤجر على قدر نيته وقدر عمله.

**طالب: .....**

يعني ما يسلم، ما يسلم؛ لأنه يكون المشرع إما عقلًا مطبوعًا أو شرعًا متبوعًا، هذه فيها نزعة اعتزالية، وإن كان في الأصل ما هو من المعتزلة الخلص.

**طالب: .....**

نعم، يعني مثل شخص يطبق القانون بكل حذافيره إلا في زاوية معينة، الأحوال الشخصية مثلًا في الشرع، يقال له: تولى هذا الجانب.

بسم الله الرحمن الرحيم

# تفسير القرطبي

# سورة يوسف

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

| | | | |
|---|---|---|---|
| **تاريخ المحاضرة:** | **١٤٣١/١١/١٨هـ** | **المكان:** | |

"والقسم الثالث: ما يجوز أن يتولاه لأهله، وللاجتهاد فيه مدخل كالقضايا والأحكام، فعقد التقليد محلول، فإن كان النظر تنفيذًا للحكم بين متراضيين، وتوسطًا بين مجبورين جاز، وإن كان إلزام إجبار لم يجز.

الثالثة: ودلت الآية أيضًا على جواز أن يخطب الإنسان عملًا يكون له أهلًا".

{اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ} [يوسف: ٥٥]، إن كان الإنسان يأنس من نفسه النفع في هذا المجال، هل له أن يطلب هذا العمل مباشرة ممن يملك توليته أو يدخل في عموم حديث عبد الرحمن بن سمرة: «لا تسأل الإمارة»؟

"فإن قيل: فقد روى مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة»".

ما هو متفق عليه؟

الحديث في الصحيحين.

**طالب:** .....

في الصحيحين، لكن عموم المغاربة والأندلس لهم عناية بمسلم أكثر من عنايتهم بالبخاري، وهذا ظاهر في هذا الكتاب.

"«لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها».

وعن أبي بردة قال: قال أبو موسى: أقبلت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ومعي رجلان من الأشعريين، أحدهما عن يميني، والآخر عن يساري، فكلاهما سأل العمل، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يستاك، فقال: «ما تقول يا أبا موسى -أو يا عبد الله بن قيس-». قال: قلت: والذي بعثك بالحق ما أطلعاني علمًا في أنفسهما، وما شعرت أنهما يطلبان العمل، قال: وكأني أنظر إلى سواكه تحت شفته وقد قلصت، فقال: «لن -أو لا- نستعمل على عملنا من أراده» وذكر الحديث، خرجه مسلم أيضًا وغيره، فالجواب:

أولًا: أن يوسف -عليه السلام- إنما طلب الولاية؛ لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم فرأى أن ذلك فرض متعين عليه، فإنه لم يكن هناك غيره، وهكذا الحكم اليوم، لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبة، ولم يكن هناك من يصلح، ولا يقوم مقامه لتعين ذلك عليه، ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك، ويخبر بصفاته التي يستحقها به من العلم والكفاية وغير ذلك، كما قال يوسف -عليه السلام- ، فأما لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها وعلم بذلك فالأولى ألا يطلب؛ لقوله -عليه السلام- لعبد الرحمن: «لا تسأل الإمارة»، وأيضًا فإن في سؤالها والحرص عليها مع العلم

**بكثرة آفاتها وصعوبة التخلص منها دليل على أنه يطلبها لنفسه ولأغراضه، ومن كان هكذا يوشك أن تغلب عليه نفسه فيهلك".**

نعمت، نعمت المرضعة، لكن بئست الفاطمة، يدخل الإنسان وعنده شيء من الثقة بنفسه ثم ما يلبس أن يتغير، والله المستعان.

**"وهذا معنى قوله -عليه السلام-: «وكل إليها» ومن أباها لعلمه بآفاتها، ولخوفه من التقصير في حقوقها فر منها، ثم إن ابتلي بها فيرجى له التخلص منها، وهو معنى قوله: «أعين عليها».**

**الثاني: أنه لم يقل: إني حسيب كريم، وإن كان كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»، ولا قال: إني جميل مليح، إنما قال: {إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف: ٥٥]".**

يعني ذكر الوصف المؤثر، ذكر الوصف المؤثر في العمل، وإلا كريم ابن كريم، وجميل مليح، كل هذا غير مؤثر، الوصف المؤثر في هذا العمل قوله: {إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف: ٥٥]، فينظر في كل عمل، ومن يناسبه من الأشخاص.

**"فسألها بالحفظ والعلم، لا بالنسب والجمال.**

**الثالث: إنما قال ذلك عند من لا يعرفه فأراد تعريف نفسه، وصار ذلك مستثنى من قوله -تعالى-: {فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ} [النجم: ٣٢].**

**الرابع: أنه رأى ذلك فرضًا متعينًا عليه؛ لأنه لم يكن هنالك غيره، وهو الأظهر، والله أعلم.**

**الرابعة: ودلت الآية أيضًا على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل".**

يعني عند الحاجة، عند الحاجة، ويكون من الإخبار لا على سبيل الترفع، عند الحاجة إذا هُضم أو اتُّهم بشيء؛ كما اتُّهم ابن عمر بأنه عيي وعاجز، فقال: كيف يكون عييًا ما في جوفه كتاب الله، فيخبر عما في نفسه مما يدفع عنه التهمة، و{لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ} [النساء: ١٤٨].

**"قال الماوردي: وليس هذا على الإطلاق في عموم الصفات، ولكنه مخصوص فيما اقترن بوصله، أو تعلق بظاهر من مكسب، وممنوع منه فيما سواه، لما فيه من تزكية ومراءاة، ولو ميزه الفاضل عنه لكان أليق بفضله، فإن يوسف دعته الضرورة إليه لما سبق من حاله، ولما يرجو من الظفر بأهله".**

اللهم صل على محمدٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

# تفسير القرطبي

# سورة يوسف

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

| | | | |
|---|---|---|---|
| **تاريخ المحاضرة:** | **١٤٣١/١١/١٨هـ** | **المكان:** | |

"بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه، قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى-:

"{وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يوسف: ٥٦-٥٧].

قوله -تعالى-: {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ} [يوسف: ٥٦] أي ومثل هذا الأنعام الذي أنعمنا عليه في تقريبه إلى قلب الملك، وإنجائه من السجن مكنا له في الأرض، أي أقدرناه على ما يريد.

وقال إلكيا الطبري قوله -تعالى-: {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ} [يوسف: ٥٦] دليل على إجازة الحيلة في التوصل إلى المباح، وما فيه الغبطة والصلاح، واستخراج الحقوق".

المشبه به في قوله، المشبه به، آلة التشبيه، أداة التشبيه الكاف في {كَذَلِكَ} [يوسف: ٥٦]، فالمشبه به المحذوف من النعم التي أسبغها الله -سبحانه وتعالى- على يوسف -عليه السلام-، شبه بهذه النعم، وألحق بها تمكينه في الأرض.

وقول إلكيا الطبري: فيه دليل على إجازة الحيلة في التوصل إلى المباح، وأما الحيلة في تحليل الحرام أو تحريم الحلال هذا صنيع بني إسرائيل الذي جاء ذمهم بهذه الحيل، السبت، وجاء أيضًا النهي عن مشابهتهم في هذا الباب «لا تكونوا مثل بني إسرائيل فترتكبوا المحرمات بأدنى الحيل»، والله المستعان.

أما إذا كانت الحيلة يتوصل فيها إلى أمر مباح، استخراج حق وما أشبهه، شريطة ألا تكون مشتملة على كذب صريح، وألا يترتب عليها من الآثار ما هو أعظم منها، قد يتوصل الإنسان بحيلة إلى حقه المشروع له، لكنه يرتكب وسيلة محرمة مثلًا أو وسيلة تضر بصاحبه أكثر من حقه، الأصل في ذلك {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ} [النساء: ١٤٨]، لكن بقدر مظلمته، يأخذ بقدر ما ظُلم.

ومسألة الظفر عند أهل العلم معروفة إذا كان لإنسان حق عند آخر ولم يتوصل إلى ذلك الحق إلا بشيء من الخفاء والغموض، ليست عنده من البينات الظاهرة التي يستطيع بها الوصول إلى حقه، بإمكانه أن يأخذ بقدر الحق على ألا يزيد عليه من ماله ما يستوفي به حقه اعتمادًا على حديث امرأة أبي سفيان أنه رجل شحيح لا يعطيها ما يكفيها، ويكفي ولدها، فقال: «خذي من ماله ما يكفيك وولدك بالمعروف»، على أن الورع في مثل هذا إذا لم يتمكن الإنسان من الوصول إلى حقه بالبينات الشرعية، الورع أن يترك؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «ولا تخن من خانك».

طالب: أحسن الله إليكم، ما معنى قوله: وما فيه الغبطة والصلاح؟

يعني له، له أو لغيره شريطة ألا يكون محذورًا أو ما يتوصل به إليه محذور، الحيلة في التوصل إلى المباح.

**طالب: .....**

{مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ} [يوسف: ٧٦]، تأتي.

**طالب: .....**

ما أضرت به، مصلحته ظاهرة، مصلحة الأخ ظاهرة، ومصلحة الأهل كلهم ظاهرة على ما سيأتي -إن شاء الله تعالى-، وقد يكون هذا في شرعهم دون شرعنا، قد يكون في شرعهم، يكون مما نُسخ من شريعتهم.

**"ومثله قول -تعالى-: {وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ} [ص: ٤٤]".**

في قصة، قصة أيوب -عليه السلام- حلف أن يضرب امرأته جراء تصرفها من غير إذنه عددًا من الجلدات مائة، فلو ضربها وهي تسعى لمصلحته أضر بها لو ضربها الضرب المعروف، فأُمر بأن يأخذ ضغثًا -عرجون النخل- عدد أفراده مائة، وحينئذٍ يكون ضربها بمائة ، وهذه حيلة.

**"وحديث أبي سعيد الخدري في عامل خيبر، والذي أداه من التمر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وما قاله".**

حينما باع الصاع بالصاعين من التمر الجيد، فقال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: بع التمر، بع الجنيب، بع الجمع واشتري به، واشتري به، واشتري بقيمته جنيبًا، هذا تحايل على الوصول إلى المطلوب، وتحاشيًا عن الربا الصريح، ومثله مسألة التورق، لا شك أنها حيلة، لكنها حيلة مباحة للوصول إلى أمر مشروع، إذ قد لا يجد الإنسان من يقرضه، ولا يجوز له أن يأخذ الدراهم بالدراهم الربا الصريح، فلم يكن في طريقه حل إلا السلم، وهذا لا يتيسر في كل وقت، وفي كل زمان، أو التورق، ولهذا هي جائزة عند جماهير الأمة، جماهير أهل العلم جائزة، وإن منعها ابن عباس وشيخ الإسلام ابن تيمية وبعضهم.

**"قلت: وهذا مردود على ما يأتي. يقال: مكناه ومكنا له، قال الله -تعالى-: {مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ} [الأنعام: ٦]. قال الطبري: استخلف الملك الأكبر الوليد بن الريان يوسف على عمل إطفير وعزله، قال مجاهد: وأسلم على يديه. قال ابن عباس: ملكه بعد سنة ونصف.**

**وروى مقاتل أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لو أن يوسف قال: إني حفيظ عليم إن شاء الله لملك في وقته». ثم مات إطفير فزوجه الوليد بزوجة إطفير راعيل، فدخل بها يوسف فوجدها عذراء، وولدت له ولدين: إفراثيم ومنشأ، ابني يوسف، ومن زعم أنها زليخاء قال: لم يتزوجها يوسف، وأنها لما رأته في موكبه بكت، ثم قالت: الحمد لله الذي جعل الملوك عبيدًا**

**بالمعصية، والحمد لله الذي جعل العبيد بالطاعة ملوكًا، فضمها إليه، فكانت من عياله حتى ماتت عنده، ولم يتزوجها، ذكره الماوردي، وهو خلاف ما تقدم عن وهب، وذكره الثعلبي، فالله أعلم.**

**ولما فوض الملك أمر مصر إلى يوسف تلطف بالناس، وجعل يدعوهم إلى الإسلام حتى آمنوا به، وأقام فيهم العدل، فأحبه الرجال والنساء، قال وهب والسدي وابن عباس وغيرهم: ثم دخلت السنون المخصبة، فأمر يوسف بإصلاح المزارع، وأمرهم أن يتوسعوا في الزراعة، فلما أدركت الغلة أمر بها فجمعت، ثم بنى لها الأهراء، فجمعت فيها في تلك السنة غلة ضاقت عنها المخازن لكثرتها، ثم جمع عليه غلة كل سنة كذلك، حتى إذا انقضت السبع المخصبة، وجاءت السنون المجدبة نزل جبريل وقال: يا أهل مصر جوعوا، فإن الله سلط عليكم الجوع سبع سنين.**

**وقال بعض أهل الحكمة: للجوع والقحط علامتان: إحداهما: أن النفس تحب الطعام أكثر من العادة، ويسرع إليها الجوع، خلاف ما كانت عليه قبل ذلك، وتأخذ من الطعام فوق الكفاية".**

هذا شيء مشاهد، يعني في سنين الخصب والرخاء تجد الأكل يسيرًا جدًّا، تقدم المائدة التي تكفي العشرة يجلس عليها خمسون، ويبقى فيها بقية، وهذا مشاهد الآن، ولله الحمد والمنة، يحدثنا الجيل الذي قبلنا والذين قبلهم يقولون: مثل هذا كان يأكله الرجل الواحد الذي يجلس عليه عشرة أو عشرين شخص، يأكله الرجل الواحد في سني الجدب يكون الامتحان أعظم، كما أنه في السني الخصبة أيضًا تكون الشهوة أقل.

وهذا كله لبيان الدار الأخرى؛ لأن هذا يدل على ضعة هذه الدنيا، تجد الإنسان إذا كان محتاجًا للشيء سرعان ما يحصل عليه، فيتلفه، يقضي عليه بسرعة، لكن إذا كان غير محتاج إليه، تجده يعيش عنده ويستمر، ولو نظرنا في أحوال المحتاجين والفقراء لوجدناهم فيهم قدرة وقوة جسمية على الأكل مثلًا، وقد لا يتيسر لهم، فيهم قدرة على معاشرة النساء، وقد لا تتيسر لهم، بينما الرجل إذا كان غنيًا تجده بالعكس لا يشتهي الطعام سواء كان باختياره أو إجبار، وهذا أشد، إذا مُنع منه وهو بين يديه، تجده لا يستطيع معاشرة النساء مع القدرة ما يريد منهن، وهذا كله يبين لنا منزلة هذه الدنيا، فالعاقل لا يركن إليها، بخلاف الآخرة التي فيها ما قص الله ورسوله عنها – عليه الصلاة والسلام–، والله المستعان.

عامل يشتغل في بيت قبل خمسين سنة تقريبًا، فيأتون له بالطعام الصحن الذي يكفي –بدو مبالغة– يكفي عشرة الآن، فيأكله، رقت له ربة البيت فجاءت له بصحن أكبر منه من الغد فأكله، في اليوم الثالث أكبر فأكله، ثم قال لها: لا تكلفين نفسك، لو تأتين بما على وجه الأرض من الطعام أكلته، نعم هذه سنين الجدب، يصير فيها حف على ما يقول العوام، الإنسان يتصور أنه وصل إليه هذا الطعام، ولن يصل إليه مرة أخرى، ما هو متصور، أنه كل شيء عنده،

المستودع، والثلاجة ملآنة، والمحلات قريبة، والثمن موجود، لذلك ما تكون الشفقة عليه مثل لو كان معدومًا، والله المستعان.

**طالب: .....**

ما هو بالظاهر، هو الغنى غنى النفس بلا شك، لكن هو يتصور أنهم ليسوا واقفين عليه مرة ثانية، هذه فرصة، هذه فرصة لن تتكرر، ما هو كل يوم، اللحم لا يوجد كل يوم، الأرز معدوم، هو هو، القمح والتمر إن وُجد، ما كل الناس عندهم، يتصور أنه ما وقف عليه لأنه ما يتكرر مرة ثانية.

**طالب: .....**

هو مسألة غنى النفس، غنى النفس مع وجود الشيء، أما مع عدمه، الفقير حقيقي ما هو نفسي، الحاجة حقيقية، غنى النفس الآن تجد الشخص يدخر أشياء ليس بحاجتها، هذا فقير النفس -نسأل الله العافية-.

"**والثانية: أن يفقد الطعام فلا يوجد رأسًا ويعز إلى الغاية، فاجتمعت هاتان العلامتان في عهد يوسف، فانتبه الرجال والنساء والصبيان ينادون الجوع الجوع!!**".

من الفرش قاموا على لسان واحد: الجوع الجوع.

"**ويأكلون ولا يشبعون، وانتبه الملك، ينادى الجوع الجوع!! قال: فدعا له يوسف فأبرأه الله من ذلك، ثم أصبح فنادى يوسف في أرض مصر كلها، معاشر الناس! لا يزرع أحد زرعًا فيضيع البذر ولا يطلع شيء. وجاءت تلك السنون بهول عظيم لا يوصف، قال ابن عباس: لما كان ابتداء القحط بينا الملك في جوف الليل أصابه الجوع في نصف الليل، فهتف الملك يا يوسف! الجوع الجوع!! فقال يوسف: هذا أوان القحط، فلما دخلت أول سنة من سني القحط هلك فيها كل شيء أعدوه في السنين المخصبة، فجعل أهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف، فباعهم أول سنة بالنقود، حتى لم يبقَ بمصر دينار ولا درهم إلا قبضه، وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر، حتى لم يبقَ في أيدي الناس منها شيء، وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب، حتى احتوى عليها أجمع، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء، حتى احتوى على الكل، وباعهم في السنة الخامسة بالعقار والضياع، حتى ملكها كلها، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم ونسائهم، فاسترقهم جميعًا، وباعهم في السنة السابعة برقابهم، حتى لم يبقَ في السنة السابعة بمصر حر ولا عبد إلا صار عبدًا له**".

لا شك، لا شك أنه أولًا إن ثبت مثل هذا، إن ثبتت مثل هذه الأخبار، وهي متلقاة في الغالب عن بني إسرائيل، لكن العقل لا يحيلها، فالرق أيسر من الموت، الرق أيسر من الموت، فإذا لم يكن هناك خيار بين الإنسان إلا أن يبتاع نفسه، أو يموت جوعًا، فأن يبيع نفسه، ويكون رقيقًا أسهل.

**"فقال الناس: والله ما رأينا ملكًا أجل ولا أعظم من هذا، فقال يوسف لملك مصر: كيف رأيت صنع ربي فيما خولني! والآن كل هذا لك، فما ترى فيه؟ فقال: فوَّضت إليك الأمر فافعل ما شئت، وإنما نحن لك تبع، وما أنا بالذي يستنكف عن عبادتك وطاعتك".**

**طالب: ما المقصود بالعبادة هنا؟**

الرق، الرق.

**"ولا أنا إلا من بعض مماليكك، وخول من خولك، فقال يوسف -عليه السلام-: إني لم أعتقهم من الجوع لأستعبدهم، ولم أجرهم من البلاء لأكون عليهم بلاءً، وإني أشهد الله وأشهدك أني أعتقت أهل مصر عن آخرهم، ورددت عليهم أموالهم وأملاكهم، ورددت عليك ملكك بشرط أن تستن بسنتي.**

**ويروى أن يوسف -عليه السلام- كان لا يشبع من طعام في تلك السنين، فقيل له: أتجوع وبيدك خزائن الأرض؟ فقال: إني أخاف إن شبعت أن أنسى الجائع".**

هكذا، هكذا ينبغي أن يكون الوالي، يكون واحدًا من رعيته لا يشبع وهم يجوعون، ولا يكتسي وهم عراة، وهكذا، في صدر هذه الأمة الأمثلة الواضحة الظاهرة عمر بن الخطاب، وقبله أبو بكر من هذا التراث، من هذا النوع، والله المستعان.

**"وأمر يوسف طباخ الملك أن يجعل غداءه نصف النهار، حتى يذوق الملك طعم الجوع، فلا ينسى الجائعين، فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار.**

**قوله -تعالى-: {نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ} [يوسف: ٥٦] أي بإحساننا، والرحمة النعمة والإحسان".**

**{نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا}** [يوسف: ٥٦]، **{نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا}** [يوسف: ٥٦]، هذا تأويل، مذهب أهل الحق أهل السنة والجماعة، سلف هذه الأمة وأئمتها إثبات صفة الرحمة لله -سبحانه وتعالى- على ما يليق بجلاله وعظمته، والمؤلف -عفا الله عنا وعنه- مؤول في هذا الباب، وهو أقرب ما يكون إلى مذهب الأشاعرة، وإن لم يكن أشعريًّا، لكنه قريب منهم، يؤول كثير من الصفات التي يؤولونها، والله المستعان.

**"{وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٥٦] أي ثوابهم.**

**وقال ابن عباس ووهب: يعني الصابرين".**

**طالب: أحسن الله إليكم، لكن الرحمة هنا المقصود بها الصفة أم العطية، هنا {نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ} [يوسف: ٥٦] المقصود بها صفة الله أم العطية من الله، في السياق يعني؟**

الرحمة من لازمها العطية، فتفسير اللفظ بلازمه يُقبل في حالة واحدة، ممن يُثبت، أما من ينفي ويؤول لا يقبل منه التفسير باللازم.

يعني لو قال النووي -وهذا مثال ضربناه كثيرًا-، لو قال النووي: «والذي نفسي بيده»: روحي في تصرفه، قلنا: لا يا نووي، أنت مؤول، في إثبات اليد لله -سبحانه وتعالى- على ما يليق بجلاله وعظمته، ما فيه أحد ينكر أن أرواح الناس في تصرف الله -سبحانه وتعالى-، لكن لو قال شخص، لو قال شيخ الإسلام مثلًا ابن تيمية أو غيره ممن يُثبت الصفات على ما يليق بجلال الله وعظمته: «والذي نفسي بيده»: روحي في تصرفه، قلنا: على العين والرأس، كلامك صحيح، هذا ينبغي أن يُطرد، الشخص الذي عُرف عنه النفي ما يقبل منه التأويل باللازم، أما الذي يثبت ومنهجه الإثبات ما ينكر، ولذا لو قال مثلًا: {فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [البقرة: ١١٥]، {أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [البقرة: ١١٥]، هل هذه من آيات الصفات أو المقصود الجهة؟ نعم نقول: المقصود الجهة عند من يثبت، وأما من ينكر ويطرد في كل النصوص نقول: لا، وهكذا الآيات المحتملة، والتي قد يدل سياقها على غير كونها صفة.

**طالب:** .....

كيف؟

**طالب:** .....

هذه يقولها غالب الشراح: روحي في تصرفه، «والذي نفسي» روحي، «بيده» في تصرفه.

**طالب:** .....

ما المعنى؟ المعنى هذا، هذا معنى «والذي نفسي بيده» يعني روحي في تصرفه، روحي، أما «نفسي» روحي، صح هذا ما فيه إشكال، النفس هي الروح، فيه مشكلة؟

«بيده» يعين في تصرفه، فيريد أن لا يثبت يد لله -سبحانه وتعالى-، لكن ما فيه أحد ينكر أن روح الناس في تصرف الله -سبحانه وتعالى-، في قبضته، وأن قلوبهم بين أصبعين من أصابعه.

**طالب:** .....

نعم، هو يفر عن إثبات اليد.

**طالب:** .....

بيده نعم.

**"وقال ابن عباس ووهب: يعني الصابرين لصبره في الجب، وفي الرق، وفي السجن، وصبره عن محارم الله عما دعته إليه المرأة.**

**وقال الماوردي: واختلف فيما أوتيه يوسف من هذه الحال على قولين: أحدهما: أنه ثواب من الله -تعالى- على ما ابتلاه.**

**الثاني: أنه أنعم الله عليه بذلك تفضلًا منه عليه، وثوابه باقٍ على حاله في الآخرة.**

**قوله -تعالى-: {وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ} [يوسف: ٥٧] أي ما نعطيه في الآخرة خير وأكثر مما أعطيناه في الدنيا؛ لأن أجر الآخرة دائم، وأجر الدنيا ينقطع، وظاهر الآية العموم في كل مؤمن متقٍ، وأنشدوا:**

أما في رسول الله يوسف أسوة ... لمثلك محبوسًا على الظلم والإفك

أقام جميل الصبر في الحبس برهة ... فآل به الصبر الجميل إلى الملك

**وكتب بعضهم إلى صديق له:**

وراء مضيق الخوف متسع الأمن ... وأول مفروح به آخر الحزن

فلا تيئسن فالله ملك يوسفًا ... خزائنه بعد الخلاص من السجن

**وأنشد بعضهم:**

إذا الحادثات بلغن النهى ... وكادت تذوب لهن المهج

وحل البلاء وقل العزاء ... فعند التناهي يكون الفرج

**والشعر في هذا المعنى كثير.**

**قوله -تعالى-: {وَجاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ} [يوسف: ٥٨]".**

**طالب: .....**

أعظمها طلب المعصية منهم، أعظمها طلب المعصية مع ما احتف بهذا الطلب من قوة الشباب لديه، وجمال المرأة وسلطانها، ولذلك قال: {السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ} [يوسف: ٣٣].

**"قوله -تعالى-: {وَجاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ} [يوسف: ٥٨] أي جاءوا إلى مصر لما أصابهم القحط ليمتاروا، وهذا من اختصار القرآن المعجز. قال ابن عباس وغيره: لما أصاب الناس القحط والشدة، ونزل ذلك بأرض كنعان بعث يعقوب -عليه السلام- ولده للميرة، وذاع أمر يوسف -عليه السلام- في الآفاق، للينه وقربه ورحمته ورأفته وعدله وسيرته، وكان يوسف -عليه السلام- حين نزلت الشدة بالناس يجلس للناس عند البيع بنفسه، فيعطيهم من الطعام على عدد رؤوسهم، لكل رأس وسقًا.**

**{وَجاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ} [يوسف: ٥٨] يوسف {وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ} [يوسف: ٥٨]؛ لأنهم خلفوه صبيًّا، ولم يتوهموا أنه بعد العبودية يبلغ إلى تلك الحال من المملكة، مع طول المدة، وهي أربعون سنة.**

**وقيل: أنكروه؛ لأنهم اعتقدوا أنه ملك كافر: وقيل: رأوه لابس حرير، وفي عنقه طوق ذهب، وعلى رأسه تاج، وقد تزيا بزي فرعون مصر، ويوسف رآهم على ما كان عهدهم في الملبس والحلية، ويحتمل أنهم رأوه وراء ستر فلم يعرفوه.**

**وقيل: أنكروه لأمر خارق امتحانًا امتحن الله به يعقوب".**

لا شك أنهم ينكرونه؛ لأن حاله وهيأته وشكله مع المدة، طول المدة، كان صغير السن وكبر، مدة أربعين سنة كفيلة بأن تغير الشكل من جهة.

الأمر الثاني: النعمة بعد البؤس تغير الأشكال بلا ريب، ولذا تجدون أهل النعم في الغالب أشكالهم تختلف عن أهل الحاجة والفاقة، لكن لو كان ممن استقر، ممن استقرت خلقته لما فارقهم في الغالب أنه لا يتغير إلا تغيرًا يسيرًا يعني، تغير غير مؤثر، يعني فرق بين شخص تفارقه من عشر سنوات، ثم تجده بعد سنين طويلة بعد أربعين سنة، تغير تغيرًا جذريًّا، بينما لو فارقته عمره أربعين مثلًا، تجده بعد ستين أو سبعين أو تفارقه بعد عمره خمسين، تجده بعد ذلك، الملامح العامة ما تتغير في الجملة، اللهم إلا إذا كان الإنسان فيه مزيد خبرة وقيافة فإنه يعرف ولو طال الزمن، كما في حديث خبر وحشي مع عبيد الله بن عدي بن الخيار، وحشي طالت به الحياة، فقال عبيد الله بن عدي بن الخيار وهو من التابعين لصاحب له: نذهب نرى وحشيًّا هذا الذي قتل حمزة عم الرسول، وقتل مسيلمة، هذا شخص أكيد أنه يستحق من يذهب ليراه، وهو كبير جدًّا جاز الثمانين، بل يقرب من التسعين.

المقصود أنهم لما وقفا عليه قال: أنت ابن عبيد الله بن الخيار، ابن عدي بن الخيار، أنت ابن عدي بن الخيار؛ لأنه رآه قبل التسمية، أنت ابن عدي بن الخيار؟ قال: وما يدريك؟ قال: رفعتك إلى أمك على الدابة، وأنت في المهد، وهذه رجلك ما تغيرت هذه، كم كان عمره؟ سنين، عبيد الله بن عدي من كبار التابعين، فإذا كان هناك مزيد قيافة وخبرة وفراسة، ما فيه شك إن يدرك، لكن الكلام في عامة الناس وسائرهم مع تغير الخلقة ما يدركون.

ولذا يشترطون في الصورة في الأمور الرسمية والإثباتات أن تكون حديثة، ما تكون قديمة؛ لأن الإنسان يتغير بلا شك.

**طالب: .....**

عشر سنوات، عشر سنوات، والله المستعان، ولو أُلتزم شرع الله وطُبق بحذافيره ما احتجنا إلى مثل هذه المخالفات.

**"قوله -تعالى-: {وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ} [يوسف: ٥٩] يقال: جهزت القوم تجهيزًا، أي تكلفت لهم بجهازهم للسفر، وجهاز العروس ما يحتاج إليه عند الإهداء إلى الزوج، وجوز بعض الكوفيين الجهاز بكسر الجيم، والجهاز في هذه الآية الطعام الذي امتاروه من عنده.**

**قال السدي: وكان مع إخوة يوسف أحد عشر بعيرًا، وهم عشرة، فقالوا ليوسف: إن لنا أخًا تخلف عنا، وبعيره معنا، فسألهم لم تخلف؟ فقالوا: لحب أبيه إياه، وذكروا له أنه كان له أخ أكبر منه، فخرج إلى البرية فهلك، فقال لهم: أردت أن أرى أخاكم هذا الذي ذكرتم، لأعلم وجه محبة أبيكم إياه، وأعلم صدقكم، ويروى أنهم تركوا عنده شمعون رهينة، حتى يأتوا بأخيه بنيامين.**

وقال ابن عباس: قال يوسف للترجمان: قل لهم: لغتكم مخالفة للغتنا، وزيكم مخالف لزينا، فلعلكم جواسيس، فقالوا: والله! ما نحن بجواسيس، بل نحن بنو أب واحد، فهو شيخ صديق، قال: فكم عدتكم؟ قالوا: كنا اثني عشر فذهب أخ لنا إلى البرية فهلك فيها، قال: فأين الآخر؟ قالوا: عند أبينا، قال: فمن يعلم صدقكم؟ قالوا: لا يعرفنا هاهنا أحد، وقد عرفناك أنسابنا، فبأي شيء تسكن نفسك إلينا؟ فقال يوسف: {ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ} [يوسف: ٥٩] إن كنتم صادقين، فأنا أرضى بذلك، {أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ} [يوسف: ٥٩] أي أتمه ولا أبخسه، وأزيدكم حمل بعير لأخيكم، {فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي} [يوسف: ٦٠] توعدهم ألا يبيعهم الطعام إن لم يأتوا به.

قوله -تعالى-: {أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ} [يوسف: ٥٩] يحتمل وجهين: أحدهما: أنه رخص لهم في السعر فصار زيادة في الكيل.

والثاني: أنه كال لهم بمكيال وافٍ.

{وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} [يوسف: ٥٩] فيه وجهان: أحدهما: أنه خير المضيفين؛ لأنه أحسن ضيافتهم، قاله مجاهد.

الثاني: وهو محتمل، أي خير من نزلتم عليه من المأمونين، وهو على التأويل الأول مأخوذ من النزل وهو الطعام، وعلى الثاني من المنزل وهو الدار.

قوله -تعالى-: {فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي} [يوسف: ٦٠]، أي فلا أبيعكم شيئًا فيما بعد؛ لأنه قد وفاهم كيلهم في هذه الحال. {وَلا تَقْرَبُونِ} [يوسف: ٦٠] أي لا أنزلكم عندي منزلة القريب، ولم يرد أنهم يبعدون منه، ولا يعودون إليه؛ لأنه على العود حثهم. قال السدي: وطلب منهم رهينة حتى يرجعوا، فارتهن شمعون عنده، قال الكلبي: إنما اختار شمعون منهم؛ لأنه كان يوم الجب أجملهم قولًا، وأحسنهم رأيًا. و{تَقْرَبُونِ} [يوسف: ٦٠] في موضع جزم بالنهي، فلذلك حذفت منه النون، وحذفت الياء؛ لأنه رأس آية، ولو كان خبرًا لكان تقربونَ- بفتح النون-.

قوله -تعالى-: {قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ} [يوسف: ٦١] أي سنطلبه منه، ونسأله أن يرسله معنا.

{وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ} [يوسف: ٦١] أي لضامنون المجيء به، ومحتالون في ذلك.

مسألة: إن قيل: كيف استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه؟ قيل له: عن هذا أربعة أجوبة: أحدها: يجوز أن يكون الله -عزَّ وجلَّ- أمره بذلك ابتلاءً ليعقوب، ليعظم له الثواب، فاتبع أمره فيه.

الثاني: يجوز أن يكون أراد بذلك أن ينبه يعقوب على حال يوسف -عليهما السلام-.

**الثالث: لتتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليه.**

**الرابع: ليقَدِّم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل إخوته، لميل كان منه إليه، والأول أظهر. والله أعلم".**

ابتلاء، ابتلاء وامتحان مثل ما حصل ليعقوب بسبب يوسف، حصل له مرة ثانية بسبب الثاني، وكونه اختار شمعون دون غيره؛ لأنه موقفه الذي تقدم من إخوته وحاله مع يوسف وعطفه عليه، ما نسيه يوسف -عليه السلام-.

**"قوله -تعالى-: {وقال لفتيته} [يوسف: ٦٢] هذه قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم، وهي اختيار أبي حاتم والنحاس وغيرهما. وقرأ سائر الكوفيين (لِفِتْيانِهِ) [يوسف: ٦٢] وهو اختيار أبي عبيد، وقال: هو في مصحف عبد الله كذلك. قال الثعلبي: وهما لغتان جيدتان، مثل الصبيان والصبية.**

**قال النحاس: (لِفِتْيانِهِ) [يوسف: ٦٢] مخالف للسواد الأعظم؛ لأنه في السواد لا ألف فيه ولا نون، ولا يترك السواد المجتمع عليه لهذا الإسناد المنقطع، وأيضًا فإن فتية أشبه من فتيان؛ لأن فتية عند العرب لأقل العدد، والقليل بأن يجعلوا البضاعة في الرحال أشبه. وكان هؤلاء الفتية يسوون جهازهم".**

كيف القليل يجعل البضاعة في الرحال أشد؟ يعني ما يحتاج إلى عدد كبير؛ ليجعلوا البضاعة في الرحال، يكفي عدد قليل يقوم بهذه المهمة، لكن مثل هذا، مثل هذا ما تُرد به الرواية، القراءة الثابتة، مثل هذا الكلام ما تُرد به القراءة الثابتة.

**"ولهذا أمكنهم جعل بضاعتهم في رحالهم. ويجوز أن يكونوا أحرارًا، وكانوا أعوانًا له، وبضاعتهم أثمان ما اشتروه من الطعام.**

**وقيل: كانت دراهم ودنانير.**

**وقال ابن عباس: النعال والأدم ومتاع المسافر، ويسمى رحلًا".**

ويجوز أن يكونوا أحرارًا؟

**طالب: وكانوا أعوانًا.**

في بعض النسخ: أجراء، ويجوز أن يكونوا أجراء؛ لأنه الأصل إن كانوا فتية فهم عبيد، يجوز أن يكونوا أحرارًا أو أجراء؟ محتمل، اللفظ محتمل أن يكونوا أجراء، وهم أعوان له.

**"قال ابن الأنباري: يقال للوعاء: رحل، وللبيت رحل. وقال: {لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَها} [يوسف: ٦٢] لجواز ألا تسلم في الطريق.**

**وقيل: إنما فعل ذلك ليرجعوا إذا وجدوا ذلك؛ لعلمه أنهم لا يقبلون الطعام إلا بثمنه. قيل: ليستعينوا بذلك على الرجوع لشراء الطعام.**

**وقيل: استقبح أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمن الطعام.**

**وقيل: ليروا فضله، ويرغبوا في الرجوع إليه".**

يعني رد الثمن والمثمن، رد الثمن والمثمن، وهذا من جوده -عليه السلام-؛ كما فعل النبي -عليه الصلاة والسلام- جابر، رد عليه الجمل وأعطاه الثمن، مثل هذا يُرغب في تكرار الشراء من، فيرجعون؛ لأنه لا يتصور أفضل من هذا؛ لأنه لو أخذ الثمن ولو كان قليلًا، احتمال أن يجدوا أرخص منه، فلا يرجعون إليه في جهة ثانية، لكن إذا رد الثمن كاملًا ما يمكن، ما يتصور أن يوجد أرخص من هذا.

**"قوله -تعالى-: {فَلَمَّا رَجَعُوا إِلى أَبِيهِمْ قالُوا يا أَبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ} [يوسف: ٦٣]؛ لأنه قال لهم: {فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي} [يوسف: ٦٠] وأخبروه بما كان من أمرهم وإكرامهم إياه، وأن شمعون مرتهن حتى يعلم صدق قولهم.**

**{فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا نَكْتَلْ} [يوسف: ٦٣] أي قالوا عند ذلك: {فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا نَكْتَلْ} [يوسف: ٦٣] والأصل نكتال، فحذفت الضمة من اللام للجزم، وحذفت الألف لالتقاء الساكنين. وقراءة أهل الحرمين وأبي عمرو وعاصم {نَكْتَلْ} [يوسف: ٦٣] بالنون، وقرأ سائر الكوفيين (يكتل) [يوسف: ٦٣] بالياء".**

المراد الأخ يكتل، وإذا قال: {نَكْتَلْ} [يوسف: ٦٣]، فالمراد نحن معه، الكل يكتالون، أما من قال: إن اسم الأخ نكتل، فقد أبعد النجعة، بعضهم سمى به، سمى ولده نكتل، أخو يوسف، هذا حاصل.

**"والأول اختيار أبي عبيد؛ ليكونوا كلهم داخلين فيمن يكتال، وزعم أنه إذا كان بالياء كان للأخ وحده. قال النحاس: وهذا لا يلزم؛ لأنه لا يخلو الكلام من أحد جهتين، أن يكون المعنى: فأرسل أخانا يكتل معنا، فيكون للجميع، أو يكون التقدير على غير التقديم والتأخير، فيكون في الكلام دليل على الجميع؛ لقوله: {فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي} [يوسف: ٦٠]. {وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ} [يوسف: ٦٣] من أن يناله سوء.**

**قوله -تعالى-: {قالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَما أَمِنْتُكُمْ عَلى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ} [يوسف: ٦٤] أي قد فرطتم في يوسف، فكيف آمنكم على أخيه؟!".**

فالله عندك؟ لأن عندك الثاني القراءة: حفظًا، حفظًا. نجد الاختلاف الكبير في التفسير، وبينما درجنا عليه في القراءة؛ لأن المغاربة عنايتهم، القرطبي الأندلس، أقول: قراءتهم غير قراءة المشارقة، عنايتهم بقراءة ورش وغيرها، تختلف عن عنايتنا بقراءة حفص عن عاصم.

**"{فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا} [يوسف: ٦٤] نصب على البيان، وهذه قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم. وقرأ سائر الكوفيين: {حافِظاً} [يوسف: ٦٤]، على الحال. وقال الزجاج: على البيان".**

وهذا يدل على أن الآيات المدخلة في التفسير ليست من وضع المؤلف، يعني مثل ما قلنا نظيره في فتح الباري، المتن ليس من وضع الحافظ ابن حجر، وإنما أدخله الطابع، والآيات هنا ليست

من وضع المفسر، وإنما أدخلها الطابع؛ لأن الطبعة الأولى من الكتاب ما فيها آيات إطلاقًا، فالذي طبع الكتاب مرة ثانية أدخل الآيات من أجل التيسير على القارئ، وإذا أراد أن يحفظ وأراد أن يراجع، طيب، مقصد حسن، لكن نقول مثل ما قلنا هناك، أن يختار القراءة المناسبة للكتاب، يختار القراءات المناسبة للكتاب؛ لئلا يقرأ شخص **{فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا}** [يوسف: ٦٤]، **{وقال لفتيته}** [يوسف: ٦٢]، يجر ويصحح، نقول: الآن القرآن أمامنا، كيف يختلف هذا عن هذا؟ لو أدخل الطابع قراءة موافقة لما اعتمده الشارح لكان أولى.

ولا يعني هذا أن الناس كلهم يلزمون بهذه القراءة، لا، لكن اتفاق الشرح مع المشروح أمر مطلوب، وهذا عانينا منه كثيرًا في فتح الباري، وعلى هذا فالأولى أن تبقى الكتب من غير تصرف، لكن إذا أراد شخص أن يحسن وييسر على القارئ ويدخل متنًا، أولًا: يفصل المتن فصلًا تامًّا من الكتاب؛ لئلا يتصرف في كتب الناس من غير إذنهم، والأمر الثاني: أن يختار القراءة المناسبة، وبالنسبة لكتب الحديث الرواية المناسبة.

**"وفي هذا دليل على أنه أجابهم إلى إرساله معهم، ومعنى الآية: حفظ الله له خير من حفظكم إياه. قال كعب الأحبار: لما قال يعقوب: {فَاللَّهُ خَيْرٌ حافِظاً} [يوسف: ٦٤] قال الله -تعالى-: وعزتي وجلالي لأردن عليك ابنيك كليهما بعد ما توكلت عليّ.**

**قوله -تعالى-: {وَلَمَّا فَتَحُوا مَتاعَهُمْ} [يوسف: ٦٥] الآية ليس فيها معنى يشكل. {ما نَبْغِي} [يوسف: ٦٥]، {لَمَّا} [يوسف: ٦٥] استفهام في موضع نصب".**

يعني ما تحتاج إلى تفسير، **{فَتَحُوا مَتاعَهُمْ}** [يوسف: ٦٥]، فيها إشكال؟ ووجدوا البضاعة رُدت إليهم، ما فيه مشكلة، ما يحتاج إلى تفسير.

**"والمعنى: أي شيء نطلب وراء هذا؟! وفى لنا الكيل، ورد علينا الثمن، أرادوا بذلك أن يطيبوا نفس أبيهم.**

**وقيل: هي نافية، أي لا نبغي منك دراهم ولا بضاعة".**

لكن نفس الأب هل تطيب بمثل هذا؟ أو الأب ما جُبل عليه من حساسية على الولد ألا يرد على نفسه أن هذا استدراج أن يأتوا ببقيتهم فيمسك بهم هذا الملك مثل ما أمسك واحدًا منهم؟

**طالب: .....**

أين؟

**طالب: .....**

هذا احتمال، لكن حساسية الأب تجاه أبنائه غير حساسية الأخ، ضع هذا في ذهنك، شفقة الأم والأب غير شفقة الأخ.

**"وقيل: هي نافية، أي لا نبغي منك دراهم ولا بضاعة، بل تكفينا بضاعتنا هذه التي ردت إلينا. وروي عن علقمة (رِدَّتْ إِلَيْنا) [يوسف: ٦٥] بكسر الراء".**

كقراءته: {وَلَوْ رِدُّوا لَعَادُوا} [الأنعام: ٢٨].

**طالب: .....**

نعم، الحساسية موجودة من الأب.

**"لأن الأصل، رُدِدَتْ، فلما أدغم قلبت حركة الدال على الراء. وقوله: {وَنَمِيرُ أَهْلَنَا} [يوسف: ٦٥] أي نجلب لهم الطعام، قال الشاعر:**

بعثتك مائرًا فمكثت حولًا متى يأتي غياثك من تغيث".

الله المستعان، يعني ينتظرون قدوم الطعام، مكث حولًا.

**وقرأ السلمي بضم النون، أي نعينهم على الميرة. {وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ} [يوسف: ٦٥] أي حمل بعير لبنيامين.**

**قوله -تعالى-: {قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ} [يوسف: ٦٦]، فيه مسألتان".**

**طالب: .....**

نعم، لكن عندنا إلى {قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} [يوسف: ٦٦]، كل الآية سطران وزيادة، الآيات هنا الطبعة الذي معنا كاملة، يأتي بأربع آيات، خمس آيات، لا، أنت عندك يبدو أنه على وضع المؤلف، لكنه أحيانًا يأخذ الآية كاملة، قد يحتاج إليها فيأخذها كاملة.

**"فيه مسألتان:**

**الأولى: قوله -تعالى-: {تُؤْتُونِ} [يوسف: ٦٦] أي تعطوني. {مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ} [يوسف: ٦٦] أي عهدًا يوثق به. قال السدي: حلفوا بالله ليردنه إليه ولا يسلمونه، واللام في {لَتَأْتُنَّنِي} [يوسف: ٦٦] لام القسم. {إِلَّا أَنْ يُحاطَ بِكُمْ} [يوسف: ٦٦] قال مجاهد: إلا أن تهلكوا أو تموتوا.**

**وقال قتادة: إلا أن تغلبوا عليه. قال الزجاج: وهو في موضع نصب. {فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلى ما نَقُولُ وَكِيلٌ} [يوسف: ٦٦] أي حافظ للحلف. وقيل: حفيظ للعهد قائم بالتدبير والعدل".**

في موضع نصب على الاستثناء، {أَنْ يُحاطَ بِكُمْ} [يوسف: ٦٦].

**طالب: .....**

هذا اسم أم صفة؟ وكيل اسم أم صفة؟

**طالب: .....**

سميع، عليم، يعني زنتها وزن الأسماء، والاسم لا بد أن يشتمل على صفة، ولا عكس، ولا عكس.

**"الثانية: هذه الآية أصل في جواز الحمالة بالعين والوثيقة بالنفس، وقد اختلف العلماء في ذلك".**

الكفالة، الكفالة، الحمالة الكفالة، الحميل والزعيم والكفيل، كل هذا معناه واحد.

**"فقال مالك وجميع أصحابه وأكثر العلماء: هي جائزة إذا كان المتحمل به مالًا، وقد ضعف الشافعي الحمالة بالوجه في المال، وله قول كقول مالك.**

**وقال عثمان البتي: إذا تكفل بنفس في قصاص أو جراح فإنه إن لم يجئ به لزمه الدية وأرش الجراح، وكانت له في مال الجاني، إذ لا قصاص على الكفيل، فهذه ثلاثة أقوال في الحمالة بالوجه. والصواب تفرقة مالك في ذلك، وأنها تكون في المال، ولا تكون في حد أو تعزير، على ما يأتي بيانه".**

يعني كل ما لا يمكن استيفاؤه من الكفيل والضامن والحميل والزعيم، لا تصح فيه، كيف يستوفى منه إذا لم يحضر؟ إذا لم يحضره فكيف يستوفى منه؟ الدراهم تستوفى، لكن الجنايات يمكن أن تستوفى من الحميل؟ الحدود يمكن أن تستوفى منه؟ لا يمكن؛ لأنها لا تكون بالنيابة.

**"قوله -تعالى-: {وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} [يوسف: ٦٧]، فيه سبع مسائل:**

**الأولى: لما عزموا على الخروج خشي عليهم العين، فأمرهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد، وكانت مصر لها أربعة أبواب، وإنما خاف عليهم العين؛ لكونهم أحد عشر رجلًا لرجل واحد، وكانوا أهل جمال وكمال وبسطة، قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم".**

في قول جمهور المفسرين أنه خشي عليهم العين، خشي عليهم العين.

**طالب: يقول هنا: أحد عشر مع أنه في بداية التفسير قال فيه واحد منهم بقي عند يوسف الذي هو شمعون، فيصير عشرة، كيف؟ فهل هو مضعف القول هذا أم الإجابة؟**

أين؟

**طالب: يعني هل هم كلهم اثنا عشر؟**

{إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ} [يوسف: ٤]، كلهم اثنا عشر المجموع مع يوسف، يوسف هناك، والرهين شمعون عنده.

**طالب: يبقى صار كدا عشرة، وهنا يقول: أحد عشر.**

**طالب: هل يقال يا شيخ: إن تأويل الرؤيا أن الذين سجدوا له إخوانه باستثناء بنيامين؛ لأنه لم يكن منهم، هذا صفيه وابن أمه وحبيبه؟**

لا، لا، هو يسجد، يسجد، هذا المجموع، لكن لكونهم أحد عشر، الداخل محسوب، الداخل محسوب، دخلوا عشرة وواحد عندهم من الأصل أحد عشر.

**طالب: سياق الآيات التي فاتت ما يدل إن هو ترك شمعون رهينة هناك، سياق الآيات.**

ما فيها ما يدل، لكن هذه أخبار تحتمل الثبوت وعدمه.

على كل حال إن كانت ثابتة وأخذه رهينة وهذا الأصل، الأصل أنه للتوثيق، يعني معروف عند الأمم السابقة، وعندنا، فعدهم أحد عشر بما فيهم الذي هناك، هم أحد عشر معروف، واحد منهم موجود من الأصل هناك، وإن كان ما هناك رهينة ورجع وكلهم أحد عشر، فهذا ظاهر.

**طالب: .....**

**"الثانية: إذا كان هذا معنى الآية فيكون فيها دليل على التحرز من العين، والعين حق، وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر».**

**وفي تعوذه -عليه السلام-: «أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» ما يدل على ذلك.**

**وروى مالك عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حُنيف أنه سمع أباه يقول: اغتسل أبي سهل بن حنيف بالخرار، فنزع جبة كانت عليه، وعامر بن ربيعة ينظر، قال: وكان سهل رجلًا أبيض حسن الجلد، قال: فقال له عامر بن ربيعة: ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء! فوعك سهل مكانه واشتد وعكه، فأتي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبر أن سهلًا وعك، وأنه غير رائح معك يا رسول الله، فأتاه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأخبره سهل بالذي كان من شأن عامر، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «علامَ يقتل أحدكم أخاه، ألا بركت، إن العين حق توضأ له»، فتوضأ عامر، فراح سهل مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وليس به بأس.**

**وفي رواية: «اغتسل» فغسل له عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه، وداخل إزاره في قدح ثم صب عليه، فراح سهل مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليس به بأس. وركب سعد بن أبي وقاص يومًا فنظرت إليه امرأة فقالت: إن أميركم هذا ليعلم أنه أهضم الكشحين، فرجع إلى منزله فسقط، فبلغه ما قالت المرأة، فأرسل إليها فغسلت له، ففي هذين الحديثين أن العين حق، وأنها تقتل كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذا قول علماء الأمة، ومذهب أهل السنة، وقد أنكرته طوائف من المبتدعة".**

لكن علاجهم هؤلاء الذين أنكروه، كيف يُرد عليهم؟ مثل من أنكر الجن، أو أنكر تلبث الجن بالإنس، أقول: مثل العلاج العملي، لكن الكلام على أن مثل هؤلاء الذين أنكروا يجوز أن يُعانوا من أجل أن يقتنعوا؟ يجوز؟

**طالب: أحسن الله إليكم، ما معنى: أهضم الكشحين؟**

هذا شيء، الكشح داخلة الإزار.

**طالب: .....**

ما أدري والله، علق عليها في نسختكم؟ ما علق عليها عندك يا أحمد؟ النسخة التي عندك ما علق عليها؟

تراجع، تراجع.

**"وهم محجوجون بالسنة وإجماع علماء هذه الأمة، وبما يشاهد من ذلك في الوجود، فكم من رجل أدخلته العين القبر، وكم من جمل ظهير أدخلته القدر، لكن ذلك بمشيئة الله -تعالى- كما قال: {وَما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} [البقرة: ١٠٢]".**

وهذا في السحر وهو أشد وأقوى نفوذًا، فكيف بالعين؟!

**"قال الأصمعي: رأيت رجلًا عيونًا سمع بقرة تحلب فأعجبه شخبها، فقال: أيتهن هذه؟ فقالوا: الفلانية لبقرة أخرى يورون عنها، فهلكتا جميعًا، المورى بها والمورى عنها".**

**طالب: .....**

هي ما فيه شك أنها قوى، قوى شر يجعلها الله -سبحانه وتعالى- في بعض النفوس، بعض النفوس الشريرة التي تنطوي على شيء من الغل والحقد، فتخرج من عينه هذه القوة إلى نفس المعين، وفي الغالب أن الذي يُعان فيه شيء من الضعف، من الضعف النفسي، وإلا لو قوي توكله ما تضره -بإذن الله-، في الغالب أن هذه العين لا تُسلط إلا على شخص فيه شيء من الضعف، هي قوة شريرة تنبعث من نفس هذا الحاسد؛ بسبب ما ينطوي عليه قلبه من الغل والحقد.

**طالب: .....**

مثل الآشعة، لكنها معنوية، ما فيه شيء حسي.

**طالب: .....**

نعم.

**طالب: .....**

ما يلزم كل شيء يُرى، الذبذبات وغيرها تضر وأنت ما ترى شيئًا، فيها ما يلزم أن كل شيء يُرى؟

**"قال الأصمعي. وسمعته يقول: إذا رأيت الشيء يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني.**

**الثالثة: واجب على كل مسلم أعجبه شيء أن يبرك، فإنه إذا دعا بالبركة صرف المحذور لا محالة، ألا ترى قوله -عليه السلام- لعامر: «ألا بركت» فدل على أن العين لا تضر ولا تعدو إذا برك العائن، وأنها إنما تعدو إذا لم يبرك. والتبريك أن يقول: تبارك الله أحسن الخالقين! اللهم بارك فيه.**

**الرابعة: العائن إذا أصاب بعينه ولم يبرك فإنه يؤمر بالاغتسال، ويجبر على ذلك إن أباه؛ لأن الأمر على الوجوب، لا سيما هذا، فإنه قد يخاف على المعين الهلاك، ولا ينبغي لأحد أن يمنع أخاه ما ينتفع به أخوه ولا يضره هو، ولا سيما إذا كان بسببه، وكان الجاني عليه".**

لا ينبغي لأحد أن يمتنع أن ينفع أخاه بما لا يضره، ولو لم يكن السبب، ولو لم يكن السبب، إذا جيء بشخص معين إلى شخص يظن فيه الخير ليرقيه، لا ينبغي أن يمتنع ويتردد؛ لأنه محسن، وهذا من الإحسان على الآخرين.

**طالب: .....**

هذا بالنسبة، لا، لا، هذا بالنسبة لغير العائن، أما بالنسبة للعائن فالأمر في حقه آكد، الأمر في حقه آكد.

**طالب: .....**

ما فيه شك أن حساسية الناس، أن لو جاء لك شخص قال: هذا معين، وتظن أنه يتهمك أنك العائن وكذا، الأصل سلامة النية والقلب، هذا الأصل في المسلم.

**"الخامسة: من عرف بالإصابة بالعين منع من مداخلة الناس دفعًا لضرره، وقد قال بعض العلماء: يأمره الإمام بلزوم بيته، وإن كان فقيرًا رزقه ما يقوم به".**

إقامة جبرية، إقامة جبرية؛ لئلا يتضرر الناس به، ما دام ثبت ضرره، هذا أشد من الضرر الحسي.

**طالب: .....**

نعم.

**طالب: .....**

الله المستعان.

**"ويكف أذاه عن الناس. وقد قيل: إنه ينفى، وحديث مالك الذي ذكرناه يرد هذه الأقوال، فإنه – عليه السلام– لم يأمر في عامر بحبس ولا بنفي، بل قد يكون الرجل الصالح عائنًا، وأنه لا يقدح فيه ولا يفسق به".**

لكن غالبًا هذه العين إنما تدل على شيء في القلب، تدل على شيء، مرض في القلب.

**طالب: يقولون يا شيخنا: لا يحسد المال إلا أصحابه، المثل، قد يأتي الحسد من بعض أهل البيت لبعضهم، ولا يقصدون.**

عندنا، نعم، عندنا المثل عند العامة يقولون: ما تجيء إلا من صديق، والعدو ما تؤثر فيه.

**طالب: أحسن الله إليكم، هل الإنسان يحسد نفسه؟**

نعم، تصير، ممكن، ممكن، هذا موجود، الإنسان إذا تفطن لشيء بنفسه يتغير عليه، والعوام يقولون: الذي ما ينحت يفطن.

**طالب: يعني؟**

قد يكون الشخص مثلًا يتكلم بكلام فيه شخص، هو بنفسه سليم من هذا الداء، لكن يوجد من حوله ممن إذا انتبه لهذه النعمة أصابه بعينه.

**طالب: يا شيخ التحصن بالأذكار.**

نعم.

**طالب: .....**

ما فيه شك أن الأذكار تقي -بإذن الله-، درع، درع ووقاية.

**"ومن قال: يحبس ويؤمر بلزوم بيته. فذلك احتياط ودفع ضرر، والله أعلم".**

والضرر لا بد من إزالته إذا عُرف واستفاض عن هذا الشخص أنه مؤذٍ، وتكررت الأذية منه، فلولي الأمر أن يحبسه، إذا كان يحبس لأقل من هذا، قد يحبس الإنسان لأقل من هذا.

**طالب: .....**

نعم.

**طالب: .....**

هم إن كانوا حاضرين وبُرك عليهم وعوذوا هذا الأصل، وإن لم يتيسر يكفي ولو من بُعد.

**"السادسة: روى مالك عن حميد بن قيس المكي أنه قال: دخل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بابني جعفر بن أبي طالب فقال لحاضنتهما: «ما لي أراهما ضارعين»، فقالت حاضنتهما: يا رسول الله! إنه تسرع إليهما العين، ولم يمنعنا أن نسترقي لهما إلا أنا لا ندري ما يوافقك من ذلك؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «استرقوا لهما، فإنه لو سبق شيء القدر سبقته العين». وهذا الحديث منقطع، ولكنه محفوظ لأسماء بنت عميس الخثعمية عن النبي -صلى الله عليه وسلم-".**

أمهم، أسماء بنت عميس؛ لأنها كانت تحت جعفر بن أبي طالب لما مات تزوجها أبو بكر، ثم لما مات أبو بكر تزوجها علي.

**"عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من وجوه ثابته متصلة صحاح، وفيه أن الرقي مما يستدفع به البلاء، وأن العين تؤثر في الإنسان وتضرعه، أي تضعفه وتنحله، وذلك بقضاء الله تعالى وقدره. ويقال: إن العين أسرع إلى الصغار منها إلى الكبار، والله أعلم.**

**السابعة: أمر -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حديث أبي أمامة العائن بالاغتسال للمَعِين، وأمر هنا بالاسترقاء، قال علماؤنا: إنما يسترقى من العين إذا لم يعرف العائن، وأما إذا عرف الذي أصابه بعينه فإنه يؤمر بالوضوء على حديث أبي أمامة، والله أعلم.**

**قوله تعالى: {وَما أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} [يوسف: ٦٧] أي من شيء أحذره عليكم، أي لا ينفع الحذر مع القدر.**

**{إِنِ الْحُكْمُ} [يوسف: ٦٧] أي الأمر والقضاء. {إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} [يوسف: ٦٧] أي اعتمدت ووثقت. {وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} [يوسف: ٦٧]".**

اللهم صلِّ على محمدٍ، اللهم صلِّ وسلم، الله أكبر، الله أكبر.

بسم الله الرحمن الرحيم

# تفسير القرطبي

# سورة يوسف

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

| | | | |
|---|---|---|---|
| **تاريخ المحاضرة:** | **١٤٣١/١١/١٨هـ** | **المكان:** | |

**"بسم الله الرحمن الرحيم.**

**قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى-:**

**"قوله -تعالى-: {فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ} [يوسف: ٨٠] أي يئسوا، مثل عجب واستعجب، وسخر واستسخر. {خَلَصُوا} [يوسف: ٨٠] أي انفردوا وليس هو معهم. {نَجِيًّا} [يوسف: ٨٠] نصب على الحال من المضمر في {خَلَصُوا} [يوسف: ٨٠] وهو واحد يؤدي عن جمع، وكما في هذه الآية، ويقع على الواحد كقوله -تعالى-: {وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} [مريم: ٥٢] وجمعه أنجيه".**

فعيل، فعيل يخبر به عن الواحد المذكر والمؤنث، والمثنى، والجمع، على حد سواء، فعيل {إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [الأعراف: ٥٦].

**"قال الشاعر:**

إنـــي إذا مـــا القـــوم كـــانوا أنجيـــه

واضـــطرب القـــوم اضـــطراب الأرشـــيه

هنـــاك أوصـــيني ولا توصـــي بيـــه

**وقرأ ابن كثير: (استايسوا) [يوسف: ٨٠]، (ولا تايسوا) [يوسف: ٨٧]، (إنه لا يايس) [يوسف: ٨٧]، (أفلم يايس) [الرعد: ٣١] بألف من غير همز على القلب، قدمت الهمزة وأخرت الياء، ثم قلبت الهمزة ألفًا؛ لأنها ساكنة قبلها فتحة".**

ويأتي هذا الأصل أيس ويأس.

**"والأصل قراءة الجماعة؛ لأن المصدر ما جاء إلا على تقديم الياء -يأسًا-، والإياس ليس بمصدر أيس، بل هو مصدر استه أوسًا وإياسًا أي أعطيته.**

**وقال قوم: أيس ويئس لغتان، أي فلما يئسوا من رد أخيهم تشاوروا فيما بينهم لا يخالطهم غيرهم من الناس، يتناجون فيما عرض لهم. والنجي فعيل بمعنى المناجي".**

فعيل بمعنى الفاعل، الفاعل أو المفعول؟ نجي، {قَرَّبْنَاهُ نَجِياً} [مريم: ٥٢]؟ هل هو مناجٍ أو مناجى؟

**طالب:** .....

{قَرَّبْنَاهُ نَجِياً} [مريم: ٥٢]، مناجٍ أو مناجى؟

**طالب:** .....

المناجاة بلا شك مفاعلة من طرفين، والفعيل يأتي بمعنى الفاعل، ويأتي بمعنى المفعول، قتيل، وجريح.

"قوله -تعالى-: {قَالَ كَبِيرُهُمْ} [يوسف: ٨٠] قال قتادة: وهو روبيل، كان أكبرهم في السن. وقال مجاهد: هو شمعون، كان أكبرهم في الرأي. وقال الكلبي: يهوذا، وكان أعقلهم. وقال محمد بن كعب وابن إسحاق: هو لاوي، وهو أبو الأنبياء.

{أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ} [يوسف: ٨٠] أي عهدًا من الله في حفظ ابنه، ورده إليه. {وَمِنْ قَبْلُ ما فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ} [يوسف: ٨٠]، (ما) في محل نصب عطفًا على {أَنَّ} [يوسف: ٨٠]، والمعنى: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من الله، وتعلموا تفريطكم في يوسف، ذكره النحاس وغيره. و{مِنَ} [يوسف: ٨٠] في قوله: {وَمِنْ قَبْلُ} [يوسف: ٨٠] متعلقة بـ{تَعْلَمُوا} [يوسف: ٨٠]، ويجوز أن تكون (ما) زائدة، فيتعلق الظرفان اللذان هما {مِنْ قَبْلُ} [يوسف: ٨٠]، و{فِي يُوسُفَ} [يوسف: ٨٠] بالفعل وهو {فَرَّطْتُمْ} [يوسف: ٨٠]".

الجار والمجرور متعلق في الموضعين {مِنْ قَبْلُ} [يوسف: ٨٠]، و{فِي يُوسُفَ} [يوسف: ٨٠]، المقصود بالظرفين هنا الجار والمجرور في الموضعين؛ لأن كلًا منهما من الجار والمجرور والظرف شبه جملة، فيطلق على الجار والمجرور ظرف من هذا الوجه؛ لأنه شبه جملة مثل الظرف.

"ويجوز أن تكون (ما) والفعل مصدرًا، و{مِنْ قَبْلُ} [يوسف: ٨٠] متعلقًا بفعل مضمر، والتقدير: تفريطكم في يوسف واقع من قبل، فما والفعل في موضع رفع بالابتداء، والخبر هو الفعل المضمر الذي يتعلق به {مِنْ قَبْلُ} [يوسف: ٨٠].

{فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ} [يوسف: ٨٠] أي ألزمها، ولا أبرح مقيمًا فيها، يقال: بَرِحَ بَراحًا وبُروحًا أي زال، فإذا دخل النفي صار مثبتًا.

{حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي} [يوسف: ٨٠] بالرجوع فإني أستحي منه. {أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي} [يوسف: ٨٠] بالممر مع أخي فأمضي معه إلى أبي.

وقيل: المعنى أو يحكم الله لي بالسيف، فأحارب وآخذ أخي، أو أعجز فأنصرف بعذر، وذلك أن يعقوب قال: {لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحاطَ بِكُمْ} [يوسف: ٦٦]، ومن حارب وعجز قد أحيط به".

يعني ما تم الشرط، ما تم الشرط؛ لأنه إلى الآن ما أُحيط بهم، فأراد أن يفي بما اشترط، لن يذهب إلى أبيه حتى يحاط به، لكن الشيء إذا استُحق حكمًا، فالحكم معه الغلبة، فأخذ المال يكون قهرًا عن الإنسان، وإن أداه بطيب نفسه من باب الحكم، ما فيه أحد يفرط بالمال من غير رغبة عنه في الجملة إلا إذا كان هناك شيء مقابل له أعظم منه، فما دام أُخذ أخوهم حكمًا، فالحكم قهر، والقهر إحاطة، فهل الإنسان يحاول إذا حُكم عليه بشيء -وإن لم يكن هناك ضرب وسجن وتهديد- مجرد حكم، هل الإنسان يحاول أن يتخلص من هذا الحكم؟

ولنفرض المسألة في فتيا، أُلزم بدم، الفتوى ليس فيها إلزام من حيث التنفيذ، هي بيان حكم، أُلزم شرعًا، هل نقول: إن هذا أُحيط به فلم يُترك له خيار في ذبح الدم وعدم ذبحه؟ هذا أُحيط به حكمًا وإن لم يكن حقيقةً -قتالًا ظاهرًا ومجاهدة وأخذًا-.

**طالب: .....**

نعم، ما فيه شك، ما فيه شك، لكن هو فهم الإحاطة بعد المقاتلة، لا يُحاط به إلا بعد المقاتلة.

**"وقال ابن عباس: وكان يهوذا إذا غضب وأخذ السيف فلا يرد وجهه مائة ألف، يقوم شعره في صدره مثل المسال فتنفذ من ثيابه. وجاء في الخبر أن يهوذا قال لإخوته -وكان أشدهم غضبًا".**

كل هذا من الإسرائيليات، كما جاء عن موسى -عليه السلام- أنه إذا غضب احترقت قلنسوته، هذا كله مائة ألف، والشعر شعر الصدر يخرج مثل المسامير.

**"وكان أشدهم غضبًا، إما أن تكفوني الملك ومن معه أكفكم أهل مصر، وإما أن تكفوني أهل مصر أكفكم الملك ومن معه، قالوا: بل أكفنا الملك ومن معه نكفك أهل مصر، فبعث واحدًا من إخوته فعدوا أسواق مصر فوجدوا فيها تسعة أسواق، فأخذ كل واحد منهم سوقًا، ثم إن يهوذا دخل على يوسف وقال: أيها الملك! لئن لم تخل معنا أخانا لأصيحن صيحة لا تبقي في مدينتك حاملًا إلا أسقطت ما في بطنها، وكان ذلك خاصة فيهم عند الغضب، فأغضبه يوسف وأسمعه كلمة، فغضب يهوذا واشتد غضبه، وانتفجت شعراته، وكذا كان كل واحد من بني يعقوب، كان إذا غضب اقشعر جلده، وانتفخ جسده، وظهرت شعرات ظهره، من تحت الثوب، حتى تقطر من كل شعرة قطرة دم، وإذا ضرب الأرض برجله تزلزلت وتهدم البنيان، وإن صاح صيحة لم تسمعه حامل من النساء والبهائم والطير إلا وضعت ما في بطنها، تمامًا أو غير تمام، فلا يهدأ غضبه إلا أن يسفك دمًا، أو تمسكه يد من نسل يعقوب".**

هذا تُلقي من أخبار بني إسرائيل، وظاهره النكارة الظاهرة، والمؤلف اشترط على نفسه ألا يذكر مثل هذه الأخبار، لكنه لم يف بذلك، ذكر منها الشيء الكثير، وإن كان من أنظف التفاسير في هذا الباب.

**"فلما علم يوسف أن غضب أخيه يهوذا قد تم وكمل كلم ولدًا له صغيرًا بالقبطية، وأمره أن يضع يده بين كتفي يهوذا من حيث لا يراه، ففعل فسكن غضبه، وألقى السيف، فالتفت يمينًا وشمالاً لعله يرى أحدًا من إخوته فلم يره، فخرج مسرعًا إلى إخوته وقال: هل حضرني منكم أحد؟ قالوا: لا! قال: فأين ذهب شمعون؟ قالوا: ذهب إلى الجبل، فخرج فلقيه، وقد احتمل صخرة عظيمة، قال: ما تصنع بهذه؟ قال أذهب إلى السوق الذي وقع في نصيبي أشدخ بها رءوس كل من فيه، قال: فارجع فردها أو ألقها في البحر، ولا تحدثن حدثًا، فو الذي اتخذ إبراهيم خليلًا! لقد مسني كف من نسل يعقوب، ثم دخلوا على يوسف، وكان يوسف أشدهم**

**بطشًا، فقال: يا معشر العبرانيين! أتظنون أنه ليس أحد أشد منكم قوة، ثم عمد إلى حجر عظيم من حجارة الطاحونة فركله برجله فدحا به من خلف الجدار -الركل الضرب بالرجل الواحدة، وقد ركله يركله، قاله الجوهري- ثم أمسك يهوذا بإحدى يديه فصرعه لجنبه، وقال: هات الحدادين أقطع أيديهم وأرجلهم وأضرب أعناقهم، ثم صعد على سريره وجلس على فراشه، وأمر بصواعه فوضع بين يديه، ثم نقره نقرة فخرج طنينه، فالتفت إليهم وقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا! قال: فإنه يقول: إنه ليس على قلب أبي هؤلاء هم ولا غم ولا كرب إلا بسببهم، ثم نقر نقرة ثانية وقال: إنه يخبرني أن هؤلاء أخذوا أخًا لهم صغيرًا فحسدوه ونزعوه من أبيه ثم أتلفوه، فقالوا: أيها العزيز! استر علينا ستر الله عليك، وامنن علينا منَّ الله عليك، فنقره نقرة ثالثة وقال إنه يقول: إن هؤلاء طرحوا صغيرهم في الجب، ثم باعوه بيع العبيد بثمن بخس، وزعموا لأبيهم أن الذئب أكله، ثم نقر نقرة رابعة وقال: إنه يخبرني أنكم أذنبتم ذنبًا منذ ثمانين سنة لم تستغفروا الله منه، ولم تتوبوا إليه، ثم نقره خامسة وقال إنه يقول: إن أخاهم الذي زعموا أنه هلك لن تذهب الأيام حتى يرجع فيخبر الناس بما صنعوا، ثم نقره سادسة وقال إنه يقول: لو كنتم أنبياء أو بني أنبياء ما كذبتم ولا عققتم والدكم، لأجعلنكم نكالًا للعالمين. ايتوني بالحدادين، أقطع أيديهم وأرجلهم، فتضرعوا وبكوا وأظهروا التوبة، وقالوا: لو قد أصبنا أخانا يوسف إذ هو حي لنكونن طوع يده، وترابًا يطأ علينا برجله، فلما رأى ذلك يوسف من إخوته بكى وقال لهم: اخرجوا عني! قد خليت سبيلكم إكرامًا لأبيكم، ولولا هو لجعلتكم نكالًا".**

قوله: لو كنتم أنبياء أو بني أنبياء ما كذبتم، الآن حصل منهم الكذب أم ما حصل؟ حصل منهم الكذب، كونه يقول لهم: لو كنتم بني أنبياء، هم بنو أنبياء بلا شك، هم بنو أنبياء، كونهم أنبياء محل خلاف بين أهل العلم، لكن كونهم بني أنبياء، ما فيه خلاف بين أهل العلم، هذا يكذب ما نقل من هذا الكلام، وحصل من هذا كله.

**"قوله -تعالى-: {ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ} [يوسف: ٨١] قاله الذي قال: {فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ} [يوسف: ٨٠]. {فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ} [يوسف: ٨١]".**

**طالب: .....**

نعم، كل الخبر فيه نكارة ظاهرة، نكارة ظاهرة؛ لأنه ما أخبرهم إلا بأشياء هو يعرفها، لكنه يوري بهذا النقر أن هذا الصواع يتكلم، لكن أخبرهم بأمور يعرفها هو، وهم لا يدرون ولا يعرفون أنه يعرفها.

**طالب: .....**

يظنون به ما يظنون، ويُوحى إليه، أو شيء من هذا، لكن هم يظنون بهذا أنه يخبره.

**"وقرأ ابن عباس والضحاك وأبو رزين: (إن ابنك سُرِّق) [يوسف: ٨١] قاله النحاس. وحدثني محمد بن أحمد بن عمر قال حدثنا ابن شاذان قال حدثنا أحمد بن أبي سُرَيج البغدادي قال:**

**سمعت الكسائي يقرأ: (يا أَبانا إِنَّ ابْنَكَ سُرِّق) [يوسف: ٨١] بضم السين وتشديد الراء مكسورة".**

يعني اتهم، اتهم بالسرقة.

**"وتشديد الراء مكسورة، على ما لم يسم فاعله، أي نسب إلى السرقة ورمي بها، مثل خونته وفسقته وفجرته إذا نسبته إلى هذه الخلال.**

**وقال الزجاج: (سُرِّقَ) [يوسف: ٨١] يحتمل معنيين: أحدهما: علم منه السرق".**

يعني وُجد، وُجد منه السرق.

**"والآخر: اتهم بالسرق".**

السرق والسرقة بمعنى واحد.

**"قال الجوهري: والسرق والسرقة بكسر الراء فيهما هو اسم الشيء المسروق، والمصدر سرق يسرق سرقًا بالفتح.**

**قوله -تعالى-: {وَما شَهِدْنا إِلَّا بِما عَلِمْنا} [يوسف: ٨١]، فيه أربع مسائل:**

**"الأولى: قوله -تعالى-: {وَما شَهِدْنا إِلَّا بِما عَلِمْنا} [يوسف: ٨١]".**

مثل ما قال الشيخ سليمان بن علي في منسكه قال: وما تأليفي إلا تسويد الورق، والتحلي بحلية السرق، وهذا ما فيه شك أنه كثير من المؤلفين من يصنفون بعد الأئمة هذه حليتهم، تسويد الورق، والتحلي بحلية السرقة من كتب الناس، ونسبة الكلام إليه، والله المستعان.

**"قوله -تعالى-: {وَما شَهِدْنا إِلَّا بِما عَلِمْنا} [يوسف: ٨١] يريدون ما شهدنا قط إلا بما علمنا، وأما الآن فقد شهدنا بالظاهر، وما نعلم الغيب، كأنهم وقعت لهم تهمة من قول بنيامين: دس هذا في رحلي من دس بضاعتكم في رحالكم، قال معناه ابن إسحاق".**

يعني ما جزموا بأنه سرق، ما جزموا بأنه سرق؛ لأنه جاء بحجة قوية، دُس في رحله كما دُست في رحالهم البضاعة.

**طالب: .....**

نعم، شك، الشك موجود، لكنه يعطي غلبة ظن، هذا الشك أعطى غلبة ظن بناءً على الحكم الظاهر هو الأصل.

**"وقيل المعنى: ما شهدنا عند يوسف بأن السارق يسترق إلا بما علمنا من دينك، قاله ابن زيد. {وَما كُنَّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ} [يوسف: ٨١] أي لم نعلم وقت أخذناه منك أنه يسرق فلا نأخذه.**

**وقال مجاهد وقتادة: ما كنا نعلم أن ابنك يسترق ويصير أمرنا إلى هذا، وإنما قلنا: نحفظ أخانا فيما نطيق.**

**وقال ابن عباس: يعنون أنه سرق ليلًا وهم نيام، والغيب هو الليل بلغة حمير، وعنه: ما كنا نعلم ما يصنع في ليله ونهاره وذهابه وإيابه.**

**وقيل: ما دام بمرأى منا لم يجر خلل، فلما غاب عنا خفيت عنا حالاته. وقيل معناه: قد أُخذت السرقة من رحله، ونحن أخرجناها وننظر إليها، ولا علم لنا بالغيب، فلعلهم سرقوه ولم يسرق.**

**الثانية: تضمنت هذه الآية جواز الشهادة بأي وجه حصل العلم بها، فإن الشهادة مرتبطة بالعلم عقلًا وشرعًا، فلا تسمع إلا ممن علم، ولا تقبل إلا منهم، وهذا هو الأصل في الشهادات، ولهذا قال أصحابنا: شهادة الأعمى جائزة، وشهادة المستمع جائزة، وشهادة الأخرس إذا فهمت إشارته جائزة، وكذلك الشهادة على الخط -إذا تيقن أنه خطه أو خط فلان- صحيحة، فكل من حصل له العلم بشيء جاز أن يشهد به وإن لم يشهده المشهود عليه، قال الله -تعالى-: {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: ٨٦]، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ألا أخبركم بخير الشهداء؟ خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها»، وقد مضى في البقرة".**

إذا تحمل الشهادة وجب عليه أداؤها، وحرم عليه كتمانها، لكن يؤديها إذا طُلبت منه؛ كما هو الأصل، فإذا خشي أن يذهب الحق بسبب تأخير الشهادة؛ لعدم علم المشهود له بذلك، فعليه أن يؤديها ولو لم تطلب منه، وبهذا تتفق النصوص؛ لأنه جاء ذم من تسبق شهادته يمينه، ومن تسبق يمينه شهادته، بادروا بالشهادات قبل طلبها، هؤلاء جاء ذمهم، لكن إذا علمنا وجه التوفيق بين هذه النصوص «ألا أخبركم بخير الشهداء؟ خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها»، ما يتعب صاحب الحاجة والمشهود له، يأتي بها ولا يكتم، وهذا يدل على أن صاحب الحق لا علم بهذه الشهادة، أما إذا كان عند صاحب الحق علم بأن هذا لديه شهادة له يطلبها منه، ولا يضيع حقه.

**"الثالثة: اختلف قول مالك في شهادة المرور، وهو أن يقول: مررت بفلان فسمعته يقول كذا فإن استوعب القول شهد في أحد قوليه، وفي القول الآخر لا يشهد حتى يشهداه. والصحيح أداء الشهادة عند الاستيعاب".**

عند الاستيعاب، ما هو يمر بين أناس يتخاصمون، يأخذ بعض الكلام ويترك بعضًا، إن استوعب القصة بكاملها لا بأس، إن حفظ ما سمع ولو كان بغير لغته وأداه كما سمعه، وهذا حصل لمن؟ هو حصل لواحد من الشناقطة المتأخرين، حصل خصومة بغير العربية، فطُلبت شهادة قالوا: ما عندنا إلا فلان عربي، قال: فلان ماذا يدريه ما تقولون؟ فحضر فلان وأدى جميع ما قالوه بلغتهم، جميع ما دار بينهم.

**طالب: معاصر؟**

معاصر نعم، حتى قصة المعري شبيهة، قريبة منها.

**"وبه قال جماعة العلماء، وهو الحق؛ لأنه قد حصل المطلوب وتعين عليه أداء العلم، فكان خير الشهداء إذا أعلم المشهود له، وشر الشهداء إذا كتمها والله أعلم".**

الشيخ ابن حميد -رحمه الله- مثل بين يديه خصوم، فادعى المدعي بكلام طويل جدًّا، الشيخ أظهر نفسه أنه غافل عنه، وفيه شيء من النعاس، ثم لما انتهى قال له: أعد، ما انتبهت، فأعاد الكلام، والشيخ يقابل على ما حفظه، فلما انتهى قال: قلت في كلامك الأول كذا، وقلت في كلامك الثاني كذا، قلت في كلامك الأول كذا، فحفظ جميع ما قاله بحروفه، في العرضة الأولى، وفي العرضة الثانية، -رحمه الله-.

**"الرابعة: إذا ادعى رجل شهادة لا يحتملها عمره ردت؛ لأنه ادعى باطلًا، فأكذبه العيان ظاهرًا".**

إذا قال: يشهد بأن فلانًا على فلان الأرض الفلانية قبل أن يعمرها مثلًا، وعُرف أن عمارة هذا البيت قبل ولادته أو قبل إدراكه، شهادة باطلة يردها الواقع، كما لو ادعى شخص السماع من فلان من الرواة، لما سُئل عن مولده ذكر تأريخًا بعد وفاة ذلك الراوي الذي ادعى الرواية عنه، بهذا عرف كذب كثير من الرواة بهذه الطريقة، بمعرفة التاريخ.

**"{وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنا فِيها وَإِنَّا لَصادِقُونَ} [يوسف: ٨٢]، فيه مسألتان:**

**الأولى: قوله -تعالى-: {وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها وَالْعِيرَ} [يوسف: ٨٢] حققوا بها شهادتهم عنده، ورفعوا التهمة عن أنفسهم لئلا يتهمهم. فقولهم: {وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ} [يوسف: ٨٢] أي أهلها، فحذف، ويريدون بالقرية مصر.**

**وقيل: قرية من قراها نزلوا بها وامتاروا منها. وقيل المعنى {وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ} [يوسف: ٨٢] وإن كانت جمادًا، فأنت نبي الله، وهو ينطق الجماد له، وعلى هذا فلا حاجة إلى إضمار، قال سيبويه: ولا يجوز كلم هندًا وأنت تريد غلام هند؛ لأن هذا يشكل. والقول في العير كالقول في القرية سواء. {وَإِنَّا لَصادِقُونَ} [يوسف: ٨٢] في قولنا".**

لأنه إذا قال: كلم هندًا، وأنت تريد غلام هند، وهند تصلح لأن تُخاطب، يوقع في لبس كبير، وحينئذ يحمل على الحقيقة دون المجاز، وإلا لو جُوز المجاز في مثل هذا ما استقام كلام، ما استقام كلام إطلاقًا؛ لأن الكل يتكلم، ثم إذا قيل له، قال: أردت كذا، أضمرت مضافًا، فعلى هذا؛ إذا كان المضاف إليه ممن يمكن أو تمكن أن يسند إليه هذا الأمر، فإنه حينئذٍ لا يجوز المجاز، إذا كان المضاف إليه لا يليق به مثل هذا الكلام، أو لا يحصل منه مثل هذه المخاطبة، مثل القرية، {وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ} [يوسف: ٨٢] كيف تسأل القرية؟ كيف تسأل بيوت؟ كيف تسأل الجمادات؟ هذا حجة من قال بجواز المجاز في القرآن وغيره، فقالوا: هذا مجاز بالحذف، مجاز بالحذف، الذين يدفعون المجاز يقولون: إن هذا نبي، يمكن يسأل القرية وتجيبه من جهة، ومنهم من يقول: أن الجواب لا يلزم أن يكون بلسان المقال، لا يلزم أن يكون الجواب بلسان المقال،

يمكن أن تُسأل القرية وتجيب، إذا قيل: أين أهلك؟ أين ساكنوك؟ فالمقصود القائل بأين أهلك في قرية خراب، يسأل أهل القرية؟ هو يسأل القرية نفسها، ما يسأل أهل القرية، إذا سأل القبور: ما صنع الله بكم يا أهل القبور؟ من يخاطب؟ ثم يردون؛ كما فعل عليّ -رضي الله عنه-.

الجواب لا يلزم أن يكون بلسان المقال، بل قد يحصل بلسان الحال، وقد يكون الجواب بلسان الحال أقوى منه من جواب لسان المقال، وهذا قول من يدفع المجاز عن مثل هذه الأساليب، والله المستعان.

**طالب: .....**

هو حقيقة، هو حقيقة.

**طالب: .....**

هو مستعمل، وهذه حقيقة، وليست بمجاز.

**"الثانية: في هذه الآية من الفقه أن كل من كان على حق، وعلم أنه قد يظن به أنه على خلاف ما هو عليه أو يتوهم أن يرفع التهمة وكل ريبة عن نفسه، ويصرح بالحق الذي هو عليه، حتى لا يبقى لأحد متكلم، وقد فعل هذا نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- بقوله للرجلين اللذين مرا وهو قد خرج مع صفية يقلبها من المسجد: «على رسلكما، إنما هي صفية بنت حيي»، فقالا: سبحان الله، وكَبُرَ عليهما، فقال النبي: «إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا»، رواه البخاري ومسلم".**

الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، لا شك أن الإنسان إذا كان بمكان بحيث يُتهم فلا بد أن يرفع التهمة عنه، لا بد أن يرفع، فإذا أخبر بخبر اتُهم بالكذب، لا بد أن يبين ويذكر ما يرفع التهمة عن نفسه، وهكذا، فإذا كان بحيث يُتهم إذا روى الخبر تامًا، وقد رواه من هو أوثق منه ناقصًا، لا يأتي إلا بما يتفق مع غيره، إذا كان يُتهم إذا روى الخبر ناقص بأنه أخل به وضيعه وقد به غيره تامًا، لا بد أن يسوقه تامًا، وهذا يشترطونه في الاختصار من الحديث، حكم الاختصار من الحديث يجيزه أهل العلم إذا كان المحذوف لا يرتبط بالموجود، يعني الموجود لا يحتاج إلى المحذوف، يعني يكون استثناءً مثلًا أو وصفًا مؤثرًا لا بد منه قالوا: بحيث ترتفع منزلة الراوي عن التهمة، أما إذا وُجدت التهمة فإنه لا يجوز له أن يختصر الحديث.

**"قوله -تعالى-: {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [يوسف: ٨٣]، فيه مسألتان:**

**الأولى: قوله -تعالى-: {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ} [يوسف: ٨٣] أي زينت. {لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ} [يوسف: ٨٣] أن ابني سرق وما سرق، وإنما ذلك لأمر يريده الله. {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} [يوسف: ٨٣] أي فشأني صبر جميل، أو صبر جميل أولى بي، على ما تقدم أول السورة.**

**الثانية: الواجب على كل مسلم إذا أصيب بمكروه في نفسه أو ولده أو ماله أن يتلقى ذلك بالصبر الجميل، والرضا والتسليم لمجريه عليه وهو العليم الحكيم".**

يقول ابن عبد القوي -رحمه الله-:

وكـــن صـــابرًا للفقيـــر وادرع الرضـــا بمـــا قـــدر الـــرحمن واشـــكره واحمـــد

الله المستعان.

الصبر عاقبته في الدنيا قبل الآخرة، **{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}** [الزمر: ١٠]، هذا في الآخرة، لكن عاقبة الصبر في الدنيا، شوف نفسية من يصبر ونفسية من يجزع ولا يصبر ولا يحتمل، هذا يثبت، وهذا يصاب بالهلع والخور، ولا نتيجة.

**"ويقتدي بنبي الله يعقوب وسائر النبيين، صلوات الله عليهم أجمعين".**

قد يقول قائل: كيف صبر؟ كيف نقتدي بيعقوب وصبر يعقوب وهو **{ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ}** [يوسف: ٨٤]؟

**طالب: .....**

**{ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ}** [يوسف: ٨٤]، يعني ما أظهره للناس، يعني كون الأمر يحز في النفس، ويؤثر فيها من غير تشكِّح إلى الناس، يكون هذا من حديث النفس معفو عنه.

**"وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال: ما من جرعتين يتجرعهما العبد أحب إلى الله من جرعة مصيبة يتجرعها العبد بحسن صبر وحسن عزاء، وجرعة غيظ يتجرعها العبد بحلم وعفو.**

**وقال ابن جريج عن مجاهد في قوله -تعالى-: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} [يوسف: ٨٣] أي لا أشكو ذلك إلى أحد.**

**وروى قاتل بن سليمان عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «من بث لم يصبر».**

**وقد تقدم في البقرة أن الصبر عند أول الصدمة".**

**«من بث لم يصبر»**، الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: **«وأنا وارأساه»**، وقال -عليه الصلاة والسلام-: **«إني أُعوك كما يوعك الرجلان منكم»**، هذا مجرد إخبار، فإذا كان مجرد إخبار لا سبيل التشكي، فإن لا يضر ولا يؤثر؛ كمن يخبر الطبيب، أو يخبر القريب ما أصابه شريطة ألا يسترسل؛ لأن من أخبر في الغالب عموم الناس وغالبهم أنه إذا أخبر واسترسل في الإخبار فلا بد أن يصيبهم ما يصيب غيرهم من الجزع والتشكي، فمثل هذا يحسم المادة، لا مانع أن يحسم المادة، وإلا؛ فالأصل الجواز، أن مجرد الإخبار جائز؛ لثبوته عنه -عليه الصلاة والسلام-.

"وقد تقدم في البقرة أن الصبر عند أول الصدمة، وثواب من ذكر مصيبته واسترجع وإن تقادم عهدها.

وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن يعقوب أعطي على يوسف أجر مائة شهيد، وكذلك من احتسب من هذه الأمة في مصيبته فله مثل أجر يعقوب -عليه السلام-".

أما كونه مائة شهيد، فلا، لا يؤجر أجرهم، إنما يوفى أجره بغيره حساب، بغير حساب، لا أجر مائة شهيد، قد يكون أقل، وقد يكون أكثر، لكنه بغير حساب.

"قوله -تعالى-: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً} [يوسف: ٨٣]؛ لأنه كان عنده أن يوسف -صلى الله عليه وسلم- لم يمت، وإنما غاب عنه خبره؛ لأن يوسف حُمل وهو عبد لا يملك لنفسه شيئًا، ثم اشتراه الملك فكان في داره لا يظهر للناس، ثم حُبس، فلما تمكن احتال في أن يعلم أبوه خبره، ولم يوجه برسول؛ لأنه كره من إخوته أن يعرفوا ذلك فلا يدعوا الرسول يصل إليه.

وقال: {بِهِمْ} [يوسف: ٨٣]؛ لأنهم ثلاثة، يوسف وأخوه، والمتخلف من أجل أخيه، وهو القائل: {فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ} [يوسف: ٨٣]. {إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ} [يوسف: ٨٣] بحالي. {الْحَكِيمُ} [يوسف: ٨٣] فيما يقضي.

قوله -تعالى-: {وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ} [يوسف: ٨٤]، فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله -تعالى-: {وَتَوَلَّى عَنْهُمْ} [يوسف: ٨٤] أي أعرض عنهم، وذلك أن يعقوب لما بلغه خبر بنيامين تتام حزنه، وبلغ جهده، وجدد الله مصيبته له في يوسف فقال: {يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ} [يوسف: ٨٤]، ونسي ابنه بنيامين فلم يذكره، عن ابن عباس".

لأن مصيبة بنيامين وإن كانت مصيبة، لكن أين هذه المصيبة من مصيبته بيوسف، الله المستعان.

"وقال سعيد بن جبير: لم يكن عند يعقوب ما في كتابنا من الاسترجاع، ولو كان عنده لما قال: {يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ} [يوسف: ٨٤]. قال قتادة والحسن: والمعنى يا حزناه! وقال مجاهد والضحاك: يا جزعاه! قال كُثير:

فيا أسفا للقلب كيف انصرافه ... وللنفس لما سليت فتسلت

والأسف شدة الحزن على ما فات. والنداء على معنى: تعال يا أسف فإنه من أوقاتك.

وقال الزجاج: الأصل يا أسفي، فأبدل من الياء ألف لخفة الفتحة".

النداء، نداء ما لا يعقل، أو نداء المعاني، البصريون يقدرون قبل المنادى الظاهر ما يصلح أن ينادى، كأن يقال هنا مثلًا: {يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ} [يوسف: ٨٤]، يا قومي أسفًا على يوسف، والله المستعان.

"{وَابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ} [يوسف: ٨٤] قيل: لم يبصر بهما ست سنين، وأنه عمي، قاله مقاتل.

وقيل: قد تبيض العين ويبقى شيء من الرؤية، والله أعلم بحال يعقوب، وإنما ابيضت عيناه من البكاء، ولكن سبب البكاء الحزن، فلهذا قال: {مِنَ الْحُزْنِ} [يوسف: ٨٤].

وقيل: إن يعقوب كان يصلي، ويوسف نائمًا معترضًا بين يديه، فغط في نومه، فالتفت يعقوب إليه، ثم غط ثانية فالتفت إليه، ثم غط ثالثة فالتفت إليه سرورًا به وبغطيطه".

وهو في الصلاة، وهو في الصلاة، فعوقب من هذا الالتفات، كأنه يريد هذا، والله المستعان.

"فأوحى الله -تعالى- إلى ملائكته: «انظروا إلى صفيي وابن خليلي قائمًا في مناجاتي يلتفت إلى غيري، وعزتي وجلالي! لأنزعن الحدقتين اللتين التفت بهما، ولأفرقن بينه وبين من التفت إليه ثمانين سنة؛ ليعلم العاملون أن من قام بين يدي يجب عليه مراقبة نظري»".

هذا فيمن أصل صلاته مبنية على المراقبة لله -سبحانه وتعالى-، فكيف بمن لم يلتفت أصلًا إلى خالق وهو يصلي؟

هذا حال كثير من الناس، يدخل في الصلاة ويخرج منها ما يدري ماذا يفعل، والله المستعان، ولذا تسأل كثيرًا من المصلين: وماذا قرأ الإمام في الصلاة الجهرية؟ ما يدري، لا شك أن هذه عقوبة، عقوبة مصيبة على المسلم لا سيما من ينتسب إلى طلب العلم، هذا موجود، يعني نفيه مكابرة، هذا موجود، كل إنسان يحسه من نفسه، توقع أن الإمام لو يصلي عشر ركعات أن يوجد من يتابع من غير تنبيه، ما يدرون ماذا يصلي، وهذا حاصل -نسأل الله العافية-، وهذا من الأمراض التي شاعت سببها الانصراف عن تدبر القرآن من جهة، والتخليط في المطعم من جهة أخرى، والله المستعان.

**طالب: .....**

ذكره أهل العلم ابن القيم وابن رجب وغيرهما، لكن الذي يزهد في الخشوع حقيقة مع ما جاء فيه من كثرة، من النصوص المتكاثرة أن جمهور أهل العلم على أنه سنة، وليس بواجب، هذا يجعل كثيرًا من طلاب العلم يزهدون في الخشوع، سنة وليس بواجب، أن لا أثر له في الصلاة، لكن الذي حققه جمع من أهل العلم أن الخشوع واجب في الصلاة، وأنه إذا فقد يخل بالصلاة، نعم كون الإنسان خاشعًا متبتلًا في صلاته كلها هذا قد يكون من طلب التكليف بما لا يطاق، اللهم إلا بعض الناس ممن ارتبط وتعلق قلبه بالله ارتباطًا وثيقًا، لكن عموم الناس تكليفه بمثل هذا تكليف ما لا يطاق، لكن أيضًا التفريط بحيث يقال: لو صلى ولا خشع في أي جزء من صلاته،

صلاته صحيحة ما فيها إشكال، ولا يأثم، هذا يجعل الناس يزهدون في الخشوع، الغزالي في الإحياء نصر القول بوجوب الخشوع، وأيده ودعمه بالأدلة، والخشوع كما هو معروف لب الصلاة.

ما الفائدة من الصلاة التي لا خشوع فيها؟! إذا قام الإنسان ركع وسجد، نعم هي مسقطة للطلب ومجزئة، بمعنى أنه لا يؤمر بها ثانية، لكن الآثار المترتبة عليها من كونها تنهى عن الفحشاء والمنكر، هذه الصلاة الكاملة، أما الصلاة المسقطة للطلب فتوجد صلاة مسقطة للطلب، وهذا حال كثير من المسلمين، يصلون ولا يؤمرون بالإعادة قولًا واحدًا، لكن مع ذلكم لا تترتب الآثار على هذه الصلاة.

فالعبادات إنما شُرعت لحكم عظيمة، الصلاة تقوم سلوك الإنسان فعلًا وتركًا، الصوم، إذا صام الإنسان على مراد الله من الصوم، فإن الصوم يجره إلى التقوى، هذه الفائدة الحقيقية من الصوم، وهكذا، العبادات كلها لها حكم عظيمة، لكن هذه الحكم وهذه الفوائد وهذه المصالح لا تترتب آثارها على نفس الفعل إذا لم يكن على هدي الرسول -عليه الصلاة والسلام- مقصودًا بذلك مرادًا به وجه الله -سبحانه وتعالى-.

**طالب: .....**

لا، الطمأنينة يقابلها الحركة، يقابلها الحركة، وقد لا يتحرك، لكنه ما يخشع.

**طالب: .....**

أين؟

**طالب: .....**

هذا الخبر، خبر عين مثل الخبر الذي يذكره، مثل الخبر الذي يُذكر، لكن متنه ما فيه نكارة ظاهرة، يلتفت عن الله فعوقب.

**طالب: .....**

لا ما نزعت، ابيضت.

**طالب: .....**

كان مثل التي فاتت، الأخبار كلها من هذا النوع.

**"الثانية: وهذا يدل على أن الالتفات في الصلاة -وإن لم يبطل- يدل على العقوبة عليها، والنقص فيها، وقد روى البخاري عن عائشة قالت: سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الالتفات في الصلاة فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد». وسيأتي ما للعلماء في هذا أول سورة المؤمنون موعبًا -إن شاء الله تعالى-".**

عند قوله -تعالى-: **{الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ}** [المؤمنون: ٢].

"الثالثة: قال النحاس: فإن سأل قوم عن معنى شدة حزن يعقوب -صلى الله عليه وسلم- وعلى نبينا- فللعلماء في هذا ثلاثة أجوبة: منها: أن يعقوب -صلى الله عليه وسلم- لما علم أن يوسف -صلى الله عليه وسلم- حي خاف على دينه، فاشتد حزنه لذلك.

وقيل: إنما حزن؛ لأنه سلمه إليهم صغيرًا، فندم على ذلك.

والجواب الثالث -وهو أبينها- هو أن الحزن ليس بمحظور، وإنما المحظور الولولة وشق الثياب، والكلام بما لا ينبغي، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب». وقد بيَّن الله -جلَّ وعزَّ- ذلك بقوله: {فَهُوَ كَظِيمٌ} [يوسف: ٨٤] أي مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبثه، ومنه كظم الغيظ وهو إخفاؤه، فالمكظوم المسدود عليه طريق حزنه، قال الله -تعالى-: {إِذْ نادى وَهُوَ مَكْظُومٌ} [القلم: ٤٨] أي مملوء كربًا".

هذا عند علماء النفس وبعض الأطباء خطأ، ما تكظم؛ لأن هذا -من وجهة نظرهم- يولد انفجار، لا بد أن تبث حزنك للناس حتى تتنفس، لكن عندهم أن الكظم هذا داء، وله آثار يزعمون أنها سيئة، لكن مُدح بالنصوص، {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ} [آل عمران: ١٣٤]، والله المستعان.

"ويجوز أن يكون المكظوم بمعنى الكاظم، وهو المشتمل على حزنه. وعن ابن عباس: كظيم مغموم، قال الشاعر:

فإن أك كاظمًا لمصاب شاس ... فإني اليوم منطلق لساني

وقال ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال: ذهبت عيناه من الحزن {فَهُوَ كَظِيمٌ} [يوسف: ٨٤] قال: فهو مكروب.

وقال مقاتل بن سليمان عن عطاء عن ابن عباس في قوله: {فَهُوَ كَظِيمٌ} [يوسف: ٨٤] قال: فهو كمد، يقول: يعلم أن يوسف حي، وأنه لا يدري أين هو، فهو كمد من ذلك. قال الجوهري: الكمد الحزن المكتوم، تقول منه كمد الرجل فهو كمد وكميد. قال النحاس: يقال: فلان كظيم وكاظم، أي حزين لا يشكو حزنه، قال الشاعر:

فحضضت قومي واحتسبت قتالهم ... والقوم من خوف المنايا كظم

قوله -تعالى-: {قالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ * قالَ إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ} [يوسف: ٨٥-٨٦].

قوله -تعالى-: {قالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ} [يوسف: ٨٥] أي قال له ولده: {تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ} [يوسف: ٨٥] قال الكسائي: فتأت وفتئت أفعل ذلك أي ما زلت. وزعم الفراء أن (لا) مضمرة، أي لا تفتأ، وأنشد:

فقلـــت يمـــين الله أبـــرح قاعـــدًا ولـو قطعـوا رأسـي لـديك وأوصـالي".

يعني: لا أبرح.

**"أي لا أبرح، قال النحاس: والذي قال حسن صحيح. وزعم الخليل وسيبويه أن (لا) تضمر في القسم؛ لأنه ليس فيه إشكال، ولو كان واجبًا لكان باللام والنون، وإنما قالوا له ذلك؛ لأنهم علموا باليقين أنه يداوم على ذلك، يقال: ما زال يفعل كذا، وما فتئ وفتأ فهما لغتان، ولا يستعملان إلا مع الجحد قال الشاعر:**

فمـــا فتئـــت حتـــى كـــأن غبارهـــا ســـرادق يـــوم ذي ريـــاح ترفـــع

**أي ما برحت فتفتأ تبرح.**

**وقال ابن عباس: تزال. {حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً} [يوسف: ٨٥] أي تالفًا.**

**وقال ابن عباس ومجاهد: دنفًا من المرض، وهو ما دون الموت".**

لأن هذه الحرض دون الموت؛ لأن الموت هو الهلاك، {حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً} [يوسف: ٨٥] يعني مقاربًا للموت، مقاربًا للهالكين، أو تكون من الهالكين، أما تالفًا، وإن قُصد بها التلف التام الذي هو الهلاك، فغير صحيح.

**"قال الشاعر:**

ســـــرى همـــــي فأمرضـــــني وقـــــدما زادنـــــي مرضًـــــا

كـــــذا الحـــــب قبـــــل اليـــــو م ممـــــا يـــــورث الحرضـــــا

**وقال قتادة: هرمًا. وقال الضحاك: باليًا داثرًا. وقال محمد بن إسحاق: فاسدًا لا عقل لك. وقال الفراء: الحارض الفاسد الجسم والعقل، وكذا الحرض. وقال ابن زيد: الحرض الذي قد رد إلى أرذل العمر. وقال الربيع بن أنس: يابس الجلد على العظم. وقال المؤرج: ذائبًا من الهم.**

**وقال الأخفش: ذاهبًا. وقال ابن الأنباري: هالكًا، وكلها متقاربة".**

ما كنية المؤرج السدوسي؟ كنيته إيش؟ ولا واحد عرف؟

**طالب:** .....

كنية المؤرج السدوسي هذا، كنيته معروفة؟

**طالب:** .....

نعم.

**طالب:** .....

لغوي، إمام عندهم، في اللغة والأمثال والأدب، كل هذا فنه.

**"وأصل الحرض الفساد في الجسم أو العقل من الحزن أو العشق أو الهرم، عن أبي عبيدة وغيره، وقال العرجي:**

إنــي امــرؤ لــج بــي حــب فأحرضــني حتـــى بليـــت وحتـــى شـــفني الســـقم

**قال النحاس: يقال حرض حرضًا، وحرض حروضًا وحروضة إذا بلي وسقم، ورجل حارض وحرض، إلا أن حرضًا لا يثني ولا يجمع، ومثله قَمِن وحري لا يثنيان ولا يجمعان. قال الثعلبي: ومن العرب من يقول: حارض للمذكر، والمؤنثة حارضة، فإذا وصف بهذا اللفظ ثنى وجمع وأنث. ويقال: حرض يحرض حراضة فهو حريض وحرض. ويقال: رجل محرض، وينشد:**

طلبتـــــه الخيـــــل يومًـــــا كـــــاملًا ولـــــو ألفتـــــه لأضـــــحى مُحْرَضًـــــا

**وقال امرؤ القيس:**

أرى المــرء ذا الأذواد يصــبح محرضًــا كــإحراض بكــر فــي الــديار مــريض

**قال النحاس: وحكى أهل اللغة أحرضه الهم إذا أسقمه".**

بِكر أم بَكر؟

**طالب: .....**

هو ضابطه بالكسر هكذا.

**طالب: .....**

نعم، بَكر وليس بِكر.

أرى المــرء ذا الأذواد يصــبح محرضًــا .....

صاحب الإبل الكثيرة.

..... كــإحراض بكــر فــي الــديار مــريض

**طالب: .....**

نعم، هذا صاحب الدنيا كلها هكذا، والله المستعان.

**"قال النحاس: وحكى أهل اللغة أحرضه الهم إذا أسقمه، ورجل حارض أي أحمق. وقرأ أنس: (حُرضا) [يوسف: ٨٥] بضم الحاء وسكون الراء، أي مثل عود الأشنان".**

**طالب: يا شيخ مثل عود الأشنان، ما وصفه؟**

ما أدري والله، ما أعرف، الأشنان نبت كان يستعمل بدل الصابون، تنظف به الثياب والأواني وغيرها، لكن ما أعرف أن حقيقته موجودة – الظاهر – الآن، قد يوجد عند العطارين، أنا ما أعرفه.

**طالب: .....**

ما هو بعيد.

"وقرأ الحسن بضم الحاء والراء. قال الجوهري: الحرض والحرض الأشنان. {أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ} [يوسف: ٨٥] أي الميتين، وهو قول الجميع، وغرضهم منع يعقوب من البكاء والحزن شفقة عليه، وإن كانوا السبب في ذلك.

قوله -تعالى-: {قالَ إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي} [يوسف: ٨٦] حقيقة البث في اللغة ما يرد على الإنسان من الأشياء المهلكة التي لا يتهيأ له أن يخفيها، وهو من بثثته أي فرقته، فسميت المصيبة بثًّا مجازًا، قال ذو الرمة:

وقفت على ربع لميـة ناقتي ... فما زلت أبكي عنده وأخاطبه

وأسقيه حتى كاد مما أبثه ... تكلمني أحجاره وملاعبه

وقال ابن عباس: بثِّي همي. وقال الحسن: حاجتي.

وقيل: أشد الحزن، وحقيقته ما ذكرناه.

{حُزْنِي إِلَى اللَّهِ} [يوسف: ٨٦]، معطوف عليه، أعاده بغير لفظه.

{وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ} [يوسف: ٨٦]، أي أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأني سأسجد له. قاله ابن عباس. وقال قتادة: إني أعلم من إحسان الله -تعالى- إلى ما يوجب حسن ظني به.

وقيل: قال يعقوب لملك الموت: هل قبضت روح يوسف؟ قال: لا، فأكد هذا رجاءه".

طالب: .....

هو ما فيه شك أن الفراق موجب للحزن في حد ذاته.

"وقال السدي: أعلم أن يوسف حي، وذلك أنه لما أخبره ولده بسيرة الملك وعدله وخلقه وقوله أحست نفس يعقوب أنه ولده فطمع، وقال: لعله يوسف. وقال: لا يكون في الأرض صديق إلا نبي.

وقيل: أعلم من إجابة دعاء المضطرين ما لا تعلمون.

{يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ} [يوسف: ٨٧].

قوله -تعالى-: {يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ} [يوسف: ٨٧] هذا يدل على أنه تيقن حياته، إما بالرؤيا، وإما بإنطاق الله -تعالى- الذئب كما في أول القصة، وإما بإخبار ملك الموت إياه بأنه لم يقبض روحه، وهو أظهر. والتحسس طلب الشيء بالحواس، فهو تَفَعُّل من الحس، أي اذهبوا إلى هذا الذي طلب منكم أخاكم، واحتال عليكم في أخذه فاسألوا عنه وعن مذهبه. ويروى أن ملك الموت قال له: اطلبه من هاهنا! وأشار إلى ناحية مصر.

**وقيل: إن يعقوب تنبه على يوسف برد البضاعة، واحتباس أخيه، وإظهار الكرامة، فلذلك وجههم الى جهة مصر دون غيرها".**

التحسس والتجسس معناهما الطلب، الطلب، فالتحسس الطلب مع قصد الخير بخلاف التجسس، فالله المستعان.

**"{وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ} [يوسف: ٨٧] أي لا تقنطوا من فرج الله، قاله ابن زيد، يريد: أن المؤمن يرجو فرج الله، والكافر يقنط في الشدة. وقال قتادة والضحاك: من رحمة الله. {إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ} [يوسف: ٨٧] دليل على أن القنوط من الكبائر، وهو اليأس، وسيأتي في الزمر بيانه -إن شاء الله تعالى-.**

**قوله -تعالى-: {فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قالُوا يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ} [يوسف: ٨٨] أي الممتنع. {مَسَّنا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ}[يوسف: ٨٨] هذه المرة الثالثة من عودهم إلى مصر، وفي الكلام حذف، أي فخرجوا إلى مصر، فلما دخلوا على يوسف قالوا: {مَسَّنا}[يوسف: ٨٨] أي أصابنا، {وَأَهْلَنَا الضُّرُّ}[يوسف: ٨٨] أي الجوع والحاجة، وفي هذا دليل على جواز الشكوى عند الضر، أي الجوع، بل واجب عليه إذا خاف على نفسه الضر من الفقر وغيره أن يبدي حالته إلى من يرجو منه النفع، كما هو واجب عليه أن يشكو ما به من الألم إلى الطبيب ليعالجه".**

أما الوجوب فلا وجوب، لا وجوب شكوى على الطبيب ولا وجوب علاج؛ لأن شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- يقول: لا أعلم سالفًا أوجب العلاج، سالفًا يعني أحدًا من السلف، أوجب العلاج ولو ترتب على تركه الهلاك.

**طالب: .....**

أما كونه لا يعلم سالفًا فهذا موجود في الكتب بالجزء والصفحة، أما بالنسبة للمضطر يموت جوعًا ولا يسأل، مسألة أخرى.

**طالب: .....**

لا أعلم.

**"كما هو واجب عليه أن يشكو ما به من الألم إلى الطبيب ليعالجه، ولا يكون ذلك قدحًا في التوكل، وهذا ما لم يكن التشكي على سبيل التسخط، والصبر والتجلد في النوائب أحسن، والتعفف عن المسألة أفضل، وأحسن الكلام في الشكوى سؤال المولى زوال البلوى، وذلك قول يعقوب: {إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ} [يوسف: ٨٦] أي من جميل صنعه، وغريب لطفه، وعائدته على عباده، فأما الشكوى على غير مُشْكٍ فهو السفه، إلا أن يكون على وجه البث والتسلي، كما قال ابن دريد:**

لا تحسبن يا دهر أني ضارع لنكبة تعرقني عرق المُدى
مارست من لو هوت الأفلاك من جوانب الجو عليه ما شكا
لكنها نفثة مصدور إذا جاش لغام من نواحيها غما"

من المقصورة لابن دريد.

"**قوله -تعالى-: {وَجِئْنا بِبِضاعَةٍ} [يوسف: ٨٨] البضاعة القطعة من المال يقصد بها شراء شيء، تقول: أبضعت الشيء واستبضعته أي جعلته بضاعة، وفي المثل: كمستبضع التمر إلى هجر.**

**قوله -تعالى-: {مُزْجاةٍ} [يوسف: ٨٨] صفة لبضاعة، والإزجاء السَّوق بدفع، ومنه قوله -تعالى-: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحاباً} [النور: ٤٣] والمعنى أنها بضاعة تدفع، ولا يقبلها كل أحد. قال ثعلب: البضاعة المزجاة الناقصة غير التامة. واختلف في تعيينها هنا، فقيل: كانت قديدًا وحيسًا، ذكره الواقدي عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-".**

الذي يذهب في ذلك الوقت من بلادهم إلى مصر بلد الخيرات في تلك الأزمان بقديد، لحم ميبس، وحيس، هذه البضاعة المزجاة، من يشتري؟ والله المستعان، لكن هي الأيام دول، في يوم من الأيام ما يحتاجون هذه الأشياء، وفي أيام أخرى يحتاجونها، وفي أيام يصدرونها، وهكذا.

**طالب: .....**

إذا قال: {بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ} [يوسف: ٨٨]، هو يقصد قلة ما معه من هذه البضاعة، يعني قلة ما عنده من النصوص، أو معرفته بهذه النصوص، وإن كانت عنده، مقبول على سبيل هضم النفس، لكن إذا قصد أن البضاعة هذه التي هي الكتاب والسنة مزجاة فلا.

**طالب: ما يمنع منها يا شيخ؟**

يمنع منها إذا كانت بهذا القصد، أما إذا كان يتحدث عن نفسه، وما معه من هذه البضاعة العظيمة، الذي عنده من هذه البضاعة العظيمة مزجاة، لا بأس، لا بأس.

"**وقيل: خلق الغرائر والحبال**".

خَلَق، خَلَق، خَلَق القديم منها، بالي.

"**خَلَق الغرائر والحبال. روي عن ابن عباس.**

**وقيل: متاع الأعراب صوف وسمن، قاله عبد الله بن الحارث.**

**وقيل: الحبة الخضراء والصنوبر وهو البطم، حب شجر بالشام، يؤكل ويعصر الزيت منه لعمل الصابون، قاله أبو صالح، فباعوها بدراهم لا تنفق في الطعام، وتنفق فيما بين الناس، فقالوا: خذها منا بحساب جياد تنفق في الطعام.**

**وقيل: دراهم رديئة، قاله ابن عباس أيضًا.**

**وقيل: ليس عليها صورة يوسف، وكانت دراهم مصر عليها صورة يوسف.**

**وقال الضحاك: النعال والأدم، وعنه: كانت سويقًا منخلًا. والله أعلم".**

**{وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}** [آل عمران: ١٤٠]، استبضع التمر إلى هجر، كان في يوم أن أهل هجر يصيرون من أشد الناس حاجة إلى التمر؛ كما أن أهل العراق في هذه الأيام من أشد الناس إلى ما يؤكل، بحاجة، وهي بلاد الخيرات، والله المستعان.

بلادنا الآن -ولله الحمد- ينفق فيها كثير من السلع التي تجبى إليها من كل بلد، بالنسبة للكتب والمخطوطات أغلى سوق في الدنيا عندنا للكتب، والكتب تمشي في هذه البلاد أكثر من غيرها، وتجبى إليها من كل بلد، وقد كان أهل هذه البلاد ينسخون الكتب ويصدرونها ويبيعونها للناس، وقع في يدي خطاب لشخص من أهل القصيم نسخ كتب شيخ الإسلام -رحمه الله- بيده، هذا قبل مائة سنة إلا سبع سنوات، سنة تسع وعشرين، وبعث بها إلى مصر لتباع هناك من أجل ماذا؟

من أجل إن ساوت قيمة طيبة اشترى بها كتابًا واحدًا مطبوعًا، تصوروا يعني حال أهل هذه البلاد قبل، يعني ينسخون كالأجراء، ويبيعون للناس هناك، ثم بعد ذلك تغيرت الأحوال، هل يتصور النجدي ينسخ لواحد من الآفاق في هذه الأيام؟ بغض النظر عن كون ذاته أو بلده أو عرقه أو نسبه، لا، يعني وضع البلد عمومًا، ما يتصور هذا، ومع ذلكم ما جاءت بالقيمة التي يحصل بها الكتاب، نسخ الكتب بخطه، كتب مخطوطة بعث بها إلى مصر؛ لتباع من أجل أن يُشترى بها كتاب واحد مطبوع الدر المنثور، ما جاءت بالقيمة التي يُشترى بها الكتاب، وأكاد أجزم أن الكتاب في ذلك الوقت لا يتجاوز الجنيه الواحد، الذي هو الدر المنثور، وصاحب الكتب المخطوطة في خطابه يقول: إن جاءت بقيمة طيبة فتشتري لنا كتاب الدر المنثور؛ لأنه جامع لتفاسير السلف، جامع لتفاسير السلف، فما الذي يدلنا عن الكتاب؟ ما جاءت بالكتاب؟ نسخة هذا الرجل من الدر المنثور عندي موقوفة عليه من محسنٍ ثانٍ، يعني لو مشتري النسخة، وبيعت كتبه المخطوطات بقيمة تساوي قيمة الكتاب ما أحسن عليه محسن ووقف عليه نسخة، والله المستعان.

الألوسي يبعث نسخته إلى نجد، إلى القصيم من نقض التأسيس لشخص ينسخ له.